



التصوير بالاشعة التي تحت الاحمر
 تمثل الصورة العليا تمثل نصفياً وعلى جانبه مكواتان وقد صور تصويراً عادياً بضوء
 الشمس او بضوء المغنيزيوم . اما الصورة الثانية فالتمثال نفسه في غرفة مظلمة
 وانما اُحيت المكواتان فانبعثت منها اشعة حرارة وهي الاشعة التي تحت الاحمر
 فاثرت في جهاز تصويري استنبط حديثاً

المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد الحادي والثمانين

١ جمادى الثانية سنة ١٣٥١

١ أكتوبر سنة ١٩٣٢

القوى الكامنة في الذرة

الايديروجين وأصل العناصر

وزن الايديروجين الذري في اصطلاح الكيمياء واحدٌ وعند التدقيق واحد وسبعة وسبعون جزءاً من عشرة آلاف جزء (١٦٠٠٧٧) وفي هذه الزيادة على الواحد اعظم مصدر للقوة اذا عرفنا كيف نطلقها ونستخدمها فنستعملها حينئذٍ بخير الناس اوليهم ولتعليل هذه الزيادة يجب ان نلتفت الى مبادئ المذهب الذري . فاذا قلنا ان وزن الايديروجين واحد لم نفهم شيئاً عن حقيقة الواحد الا اذا فهمنا ما هو القياس الذي بني عليه لان المقاييس نسبية

نشر دلتن الكيماوي مذهبه الذري سنة ١٨٠٣ وبعد ما مضى على نشره نحو عشر سنوات لاحظ العالم الانكليزي بروت ان الاوزان الذرية للعناصر قريبة جداً من الاعداد الصحيحة حتى يصح القول بانها لم تحدث كذلك اتفاقاً وظن ان العناصر المختلفة مركبة من مقادير متباينة من الايديروجين بحسب اعدادها . وان الكسر الذي يظهر في اعداد بعضها يمكن تعليله فاهتم العلماء بهذا القول اولاً ثم اهملوه زمناً طويلاً لانه ظهر ان بين اوزان العناصر الذرية ما لا استطاع جعله عدداً صحيحاً بطريقة من الطرق العلمية المعروفة . واشهر هذه العناصر عنصر الكلور الذي وزنه الذري $\frac{35}{2}$ فما من وسيلة علمية الا واستخدمها العلماء لجعل وزنه الذري ٣٦ او ٣٥ تأييداً لقول بروت فلم يستطيعوا . ولو كان الكلور كالبيوتاسيوم

الذي وزنه الذري ٣٩.١ او كاليود الذي وزنه الذري ٢٦.٩ لقالوا ان الفرق بين الوزن الذري والعدد الصحيح قليل وقد يكون سببه خلل في الموازين . وللكور اشباه اهمها السلكون ووزنه الذري ٢٨.٣ والمغنيسيوم ووزنه الذري ٢٤.٣ لذلك اهمل مذهب بروت مع ما في اوزان سائر العناصر من الدلالة على صحته

لكن الاهمال لم يقض عليه فصرح السر وليم كروكس في مجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم في برمنغهام سنة ١٨٨٦ ان العناصر ليست مواد بسيطة كما يظن وان الاوزان الذرية ليست اعداداً محدودة فما اسمه مغنيسيوم قد لا تكون ذراته من وزن واحد بل قد يكون مزيجاً من ذرات وزن بعضها الذري ٢٤ ووزن البعض الآخر ٢٥ او ٢٦ فيتكوّن من اجتماعها عنصر وزنه الذري ٢٤.٣ او نحو ذلك . وهذا يعني ان الاوزان الذرية كما تظهر بالامتحان ليست سوى ارقام تقريبية تدل على متوسط وزن الذرات في عنصر ما مع ان الوسائل الكيميائية المستخدمة لذلك كانت غاية في الدقة

ولا بدّ من اقتباس العبارة التي ذكرها كروكس في هذا الصدد ونشرت قبل ان يتحقق قوله بسنوات كثيرة . قال :

«ارى انه اذا قلنا ان وزن الكلسيوم الذري ٤٠ عنيانا ان اكثر ذرات الكلسيوم وزنها الذري ٤٠ ولكن قد يكون بينها جواهر اخرى كثيرة وزنها الذري ٤١ و ٣٩ او ٤٢ و ٣٨» كان هذا القول حينئذ مجرد ظن او تكهن على انه ككثير من آراء السر وليم كروكس كان مبنيّاً على المعية وزكاته فيه يجب احترامهما . وكان هذا الرأي حقيقاً بان يمتحن حين الادلاء به لكن وسائل امتحانه لم تكن مستطاعة حينئذ والبحث عما تتركب منه العناصر اذا صح القول بانها مركبة لا بسيطة لم يكن مما تيسر معرفته بالوسائل الكيميائية لان الاجزاء التي يتركب منها العنصر ذات خواص كيميائية متماثلة فلا تختلف الاوزان ذرياً ، فلا يمكن تمييز بعضها عن بعض . ولولم تكن كذلك لفرق بينها الكيميائيون وحسبوها من عناصر مختلفة

وكان الاستاذ صُدي يبحث في الاشعاع فخطر له انه توجد عناصر تتألف من ذرات تختلف وزناً ولكنها تتماثل في ما عدا ذلك اي ان خواصها الكيميائية واحدة وطيف نورها واحد فسمّاها بالعناصر المتماثلة isotope — وترجمها المقتطف قبلاً بالنظائر — اي انها توجد في مكان واحد من جدول مندليف الدوري ولكنها تختلف وزناً ذرياً . كان ذلك سنة ١٩١٠ . ثم استنبط الاستاذ طمس (السر جوزف طمس) اسلوباً في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ لتحليل المواد باسلوب طبيعي في انبوب مفرغ يعرف باسلوب الاشعة الالجابية فاخذه الاستاذ أُسْتُن واثقته واستعمله فاثبت قول كروكس واستنتاج صُدي . واعلنت هذه النتائج في مجمع تقدم العلوم البريطاني في برمنغهام سنة ١٩١٣ مع اثبات جديد للقول بأن الاوزان الذرية

أعداد صحيحة وان ما يظهر في بعضها من الكسر سببه امتزاج ذرات العنصر المتماكنة (النظائر) اي التي تختلف اوزانها وتماثل خواصها وطيوها

واثبت استن ايضاً ان الكالور الذي وزنه الجوهري ٣٥٥٥ وعند التدقيق ٤٦ و ٣٥ هو في الحقيقة مزيج من عنصرين مختلفين وزناً اي ان هذين العنصرين يشغلان مكاناً واحداً في جدول مندليف الدوري هو مكان الكالور ولكن وزن احدهما الذري ٣٥ والاخر ٣٧ وفي مزيجهما ٣ اجزاء من الاول وواحد من الثاني. كذلك أبان ان ذرة السلكون الذي وزنه الذري ٢٨٣ مزيج من ثلاث ذرات : ذرتين وزن كل منهما ٢٨ وذرة وزنها ٢٩

وليست كل العناصر امزجة كهذين العنصرين فوزن الكربون الذري ١٢ تماماً ووزن النروجين ١٤ تماماً. اما جوهر المنغنيس فمزيج من ثلاثة ذرات اوزانها ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ والارغون مزيج من ذرات كثيرة وزن كل منها ٤٠ وذرات قليلة وزن كل منها ٣٦.

ولكن الاساس الذي بنيت عليه هذه الارقام عدد صحيح وقد وضع تحكماً لعنصر بسيط التركيب هو الاكسجين فجعل ١٦ ومن ثم قيست به سائر العناصر فجاء الكربون ١٢ تماماً والهليوم ٤ تماماً والغريب ان وزن الايدروجين الذري على هذا القياس ليس واحداً بل واحد وسبعة وسبعون جزءاً من عشرة آلاف جزء كما تقدم في صدر هذا الكلام فكيف يصح القول ان مذهب بروت قد تحقق او ان صحة المذهب القائل ببناء جميع العناصر من الايدروجين محتملة

كل ما نستطيع ان نقوله الآن ان العناصر مؤلفة من دقائق نستطيع احصاءها واما مسألة بنائها من الايدروجين فما يجب البحث فيه والبحث فيه يكون من وجهين الاول الوجه العملي والثاني الوجه النظري فلنبداً بالاول لانه اسهلها

من المقرر ان الذرة مؤلفة من نواة كثيفة تحيط بها كهارب خفيفة ومعظم الوزن الذري هو وزن النواة. حتى في الايدروجين الذي نواته اخف النوى فان وزنها يزيد ١٨٥٠ ضعفاً على وزن الكهرب الذي يحيط بها. اما الاورانيوم وهو من اثقل العناصر فوزن نواته اكبر من وزن كل كهرب حول نواته ١٧٠٢٠٠ ضعف. ولذلك حينما يذكر الوزن الذري يقصد به وزن النواة فاذا قلنا ان الذرة الواحدة من ذرات احد العناصر مؤلفة من الايدروجين فعلياً ان نواته مؤلفة من الايدروجين

ان ذرة الايدروجين مؤلفة من نواة كهربائيتها ايجابية وفي المنطقة التي حولها كهرب سلبية. فاذا كانت نوى ذرات العناصر الاخرى مؤلفة من ايدروجين فيجب ان تكون

مركبة من نوى ذرات الايدروجين محشوة حشكاً حتى تتكوّن النوى الثقيلة في العناصر الثقيلة وقد كان علماء الطبيعة يعرفون ان النواة هنة صغيرة محشوة مشحونة بالكهربائية الايجابية ولم يعرف عدا ذلك شيء عن صفاتها قبل ان استنبط السر ارنست رذرفرد اسلوباً لحلها ودرس بنائها . لم يستطع ان يحلها بالحرارة العالية ولا بالبرد الشديد ولا بالضغط لان هذه العوامل الطبيعية على قوتها لا تؤثر فيها بالغة شدة ما بلغت . فاستنبط وسيلة استطاع بها ان يجعل نواة تصطدم باخرى فتمزقها . عرف بناقب نظره ان الدقائق التي تنطلق من الراديوم بسرعة آلاف الاميال في الثانية يمكن استخدامها لهذا الغرض لكن النواة صغيرة جداً يندر ان تصاب . على ان الدقائق المنطلقة كثيرة والذرات التي صوّبت الدقائق اليها كثيرة كذلك فكانت لا بد ان يصطدم بعضها ببعض او واحدة منها بأخرى وكانت النتيجة انه حينما مُزقت النواة بهذه الوسيلة خرج منها ايدروجين . والادلة على ذلك متوافرة فيما كتبه رذرفرد

فلدينا هنا دليل عملي يثبت وجود الايدروجين في النواة كالدليل على وجوده في الماء ولا يخفى ان الايدروجين استطاع اخراجه من الماء بامرار تيار كهربائي فيه . على ان مقدار الايدروجين الخارج من الماء كبير جداً اذا قيس بالمقدار الذي يخرج من النواة كما في تجارب رذرفرد . لكن العلماء اعتادوا البحث في الذرات على صغرها والادلة التي اقامها رذرفرد على صحة مذهبه صحيحة في نظرهم وهي تثبت ان في النواة ايدروجيناً كما ذكرنا ولكنها لا تثبت ولا تنفي هل تتألف النواة من ايدروجين متمزج بمادة اخرى او من ايدروجين صرف . ولا بد من ان يسأل سائل : ماذا خرج من النواة عند تمزيقها غير الايدروجين . فنجيب ان ذرات الهليوم تنطلق من النواة ايضاً . ولكننا نعلم ان ذرات الهليوم موجودة ان لم يكن في كل العناصر ففي كثير منها هناك لانها تنطلق من نفسها في حالة الاشعاع من العناصر المشعة ، فيظهر كأن كل شيء مؤلف من ايدروجين وهليوم

ننتقل الآن الى البحث فيما تتألف منه ذرات الهليوم . فوزن الهليوم الذري اربعة تماماً . فاذا كان وزن الايدروجين الذري واحداً لم يخامرنا شك — بناء على القول بان كل العناصر مؤلفة من الايدروجين — في ان ذرة الهليوم مؤلفة من اربع ذرات ايدروجين محشوة معاً . لكن وزن الذرة الواحد من الايدروجين ليس واحداً تماماً بل هو واحد وسبعة وسبعون جزءاً من عشرة آلاف جزء ! فكيف يصح القول بان اربع ذرات منه تؤلف ذرة واحدة من الهليوم

هنا يصل الكلام بنا الى الوجه النظري في هذا البحث ولا بد من ذكر شيء عن المذهب الكهربائي في بناء المادة . فالعلماء اقرّوا الآن ان المادة مركبة تركيباً كهربائياً وان ما يسمى « قوة استمرار » سببه شحنات كهربائية متحركة في حقل مغنط وبالتالي « ان قوة الاستمرار

امر كهربائي او صفة من صفات الاثير وان هذه القوة او الوزن ليست ناتجة عن شيء في المادة نفسها بل ناتجة عن شيء يحيط بها . ووزن الشحنة الكهربائية سببه الاثير الذي تحركه معها في حركتها »

ذلك كله كلام مبهم — وهو السر اولثر الذي لا يزال الاثير في نظره اساس كل فهم للكون ومظاهره — لا نستطيع ان نبني عليه امراً عملياً والافضل ان نقول بان هذه القوة او هذا الوزن يعمل بالقوى الكهربائية المغنطيسية وان كل شحنة كهربائية لها وزن مرتبط بها وانه حين اجتمع الشحنات الكهربائية تجتمع اوزانها ايضاً

ولكن متى حشكت الشحنات الكهربائية معاً عدل بعضها بعضاً الى درجة ما ، فيعدل الايجابي منها السلبي واذا استطعنا ان نحشكها معاً حتى يزول كل فارق مكاني بينها لاشت قوة الواحد منها قوة الآخر . وهذا محال على ما نعلم ولكننا نستطيع ان تقرب هذه الشحنات بعضها من بعض فيكاد يعدل بعضها بعضاً ويقل وزنها . فاذا فصل بين شحنتين كهربائيتين مسافة معينة كان وزنها مضاعف وزن احدهما . اما اذا حشكتهما تلاشى بعض وزنها فيصير وزنها اقل من مضاعف وزن احدهما . فيظهر كأن شيئاً من وزنها قد تلاشى

قلنا انه اذا كانت نواة الهليوم مؤلفة من اربع ذرات ايدروجين فهذه الذرات يجب ان تكون محشوة حشكاً . والحشك كما قدمنا يقلل الوزن فمجموع الذرات الاربع وهي محشوة لا وزن اربعة اضعاف الشحنة الواحدة بل اقل من ذلك قليلاً اي ان المجموع لا وزن اربعة اضعاف ١٦٠٠٧٧ وهو الوزن الذري للايدروجين بل اربعة اضعاف واحد وهذا ما ينتظر حدوثه . وبه نستطيع ان نعلل ازالة الفرق بين وزن الايدروجين الذري لما يكون صرفاً وبين وزنه وهو داخل في بناء ذرات العناصر الأخرى فهو في الاولى ١٦٠٠٧٧ وفي الثانية واحد فقط . ولذلك فالهليوم قد يكون مؤلفاً من ذرات ايدروجين محشوة حشكاً فيكون الايدروجين في هذه الحال وزنه الذري واحد لا ١٦٠٠٧٧

فيظهر مما تقدم كأن المادة قابلة للفناء والافان فحين ذهب الأجزاء السبعة والسبعون من عشرة آلاف جزء من وزن الايدروجين الذري ؟ لكن المادة اذا فنيت او ظهر انها فنيت ترك أثراً وهذا ما يجب ان ننظر فيه الآن فاذا اختفت المادة فأى أثر تترك وراءها هنا يدخل مذهب النسبية القائل ان القوة والمادة تتبادلان بطريقة من الطرق فاذا زالت المادة تولدت قوة واذا زالت القوة تولدت المادة . وهذا امر لم نستطع ان نفعله في معاملنا

العلمية بعد. وما من عالم استطاع ان يحول المادة الى طاقة او الطاقة الى مادة . وسيكون ذلك اليوم يوماً مشهوداً اذا تمّ لنا ذلك وأملنا معقود بأنه سيتمّ

هنا نقف لنرى كيف نستطيع ان نفهم ذلك ونبحث عن رأي طبيعي نقدر ان نبنيه على هذا التحول او التبادل بين المادة والقوة . اما لدج فيرى ان هذا التبادل لا يتم الا بواسطة الاثير . فلقد ثبت ان الاثير مرتبط بسرعة عظيمة محدودة وهي سرعة انتقال الامواج او ايضاً سرعة النور . ويجب ان نتطلع الى الاثير المتحرك حركة زويعية او رحوية بالسرعة المتقدم ذكرها كأساس لتعليل تركيب المادة . فحركة زويعية في سائل تقارب الجدا في بنائها ويصير لها وجود خاص كما اثبت هاملتز ولورد كلفن . فاذا حدث ما اعاق هذه الحركة ضعفت قوتها فينتهي كونها مادة وتصبح قوة

لكن القوة التي تتولد من شيء يدور او يتحرك بسرعة الضوء كبيرة جداً لأن القوة ترتبط بمربع السرعة فاذا تحركت ذرة غبار صغيرة بتلك السرعة ولدت قوة تنقل ما وزنه طننا آلافاً من الاقدام . والقوة المتولدة من عشر المليمغرام المتحرك بسرعة النور تساوي قوة سبائة طن هابطة من علو ميل

فاذا اختفى مقدار صغير من المادة المنظورة تولدت قوة كبيرة من ذلك الاختفاء كذلك حينما يحشك الايدروجين حتى يصير من حشكه هليوم لا يتعرض كل الايدروجين للفناء بل يفنى من كل جوهر منه ٠٠٧٧ر وهذا المقدار صغير جداً لكن ما يختفي حينما يصنع مقدار كبير من الهليوم كبير جداً حتى ليصبح مصدر قوة نحجل امامها بما عندنا من مصادر القوة الهائلة لكن العلماء لم يستنبطوا حتى الآن اسلوباً يحشكون به ذرات الايدروجين حتى تتألف من جواهر هليوم . ولا شك في ان ذلك حدث في مكان من الامكنة وعصر من العصور الخالية ولعله حدث في داخل الكواكب على أساليب لا نفهمها الآن . فاذا صح ذلك فهذا تعليل يفسّر لنا ارتباط المادة بالقوة . ولعل هذا الارتباط سبب الحرارة العظيمة في النجوم . ولعلّ انطلاق قليل من هذه القوة سبب حركة النجوم السريعة . فهذه الاجرام الفلكية كلها تدور وكل جرم كبير منها حام . ولا نستطيع تعليل هذه القوة العظيمة باحدى القوى المعروفة لدينا انما نستطيع تعليلها بما تقدم

فلذلك نرى ان مقدار القوة في الفضاء عظيم . وليس ثمة صعوبة في تعليله بحسب ما تقدم . ومتى تسنى للبشر ان يطلقوا بعض القوة الكامنة في الجواهر على هذا السيار الصغير توصلا الى قوة نتألمها تضر او تنفع وفقاً لاحوال العمران ونوازع النفس حينئذٍ



السرعة



بين الجوارح والانساء

يروى الاستاذ اندروز العالم والرحالة الاميركي انه كان سائراً بسيارته في صحراء جوبي فرأى امامه ظبياً فاغذ في السير للحاق به فلما كانت سيارته تقطع خمسين ميلاً في الساعة كان الظبي يعدو بسرعة ستين ميلاً ولم يلبث حتى اختفى عن بصره

وقد قيس سرعة ارنب (خرنق) فاذا هي خمسة وثلاثون ميلاً في الساعة . اما كلاب صيد الثعالب فتسير بسرعة اربعين ميلاً في الساعة ولكن الثعالب في اثناء الطراد تسبقها مسافة اميال قبل ان تخور . وقد ذكر بعض الرحالين ان الرنة (جنس من الايائل) تقطع خمسين ميلاً في الساعة اذا طارده مطارد

اما الطيور فاسرع من ذلك . فقد جاء حديثاً في انباء اميركا ان حمامة من حمام اميركا قطعت مسافة ٣٠٠ ميل بسرعة ٧١ ميلاً في الساعة . وفي اوربا نسر يعرف بكاسر العظام . قيل ان احد ضباط سلاح الطيران البريطاني رأى وهو محلق بطيارته احد هذه النسور فالحق به فظل النسر سابقاً الطائرة حتى بلغت سرعتها ١١٠ في الساعة ، وحينئذ كف عن السباق ونكس رأسه وهوى وأخذت سننوة من عشاها في انقرس الى بلدة تبعد ١٤٨ ميلاً عن انقرس واطلق سراحها فكانت في عشاها بعد انقضاء ساعة وثمانى دقائق اي انها قطعت المسافة بمتوسط ١٣٤ ميلاً في الساعة . وانها لمن اسرار الخلق ان تجد طائراً صغيراً ضعيفاً كهذه السننوة يستطيع ان يطير بقوته العضلية الضئيلة هذا الطيران السريع !

واذا قيس عضلات الانسان بعضلات الحيوانات المتقدمة واشباهها بدا لنا ضعفاً . فنورمي الحضار الفنلندي المشهور عدا ميلاً واحداً في اربع دقائق وعشرون فكان سرعته لاتعدو ١٤ ميلاً في الساعة . ولكن اذا اعتلى الانسان سنام الجمل قطع ١٦ ميلاً في الساعة واذا امتطى صهوة فرس قطع ٤٠ ميلاً في الساعة . اما سرعة الانسان في الماء فلا تعدو ميلين ونصف ميل في الساعة مع ان الحوت الضخم الجثة يسير بسرعة عشرة اميال في الساعة والسمون النضي سمك يستطيع ان يفري الماء في فترات معينة بسرعة ١٧ ميلاً في الساعة . اما اذا تزحلق الانسان على سطح جليدي فقد تفوق سرعته عشرين ميلاً في الساعة

على ان سرعة الانسان المستمدة من قوته العضلية تكاد تكون زحفاً ازاء سرعته التي تعتمد على عضلات ميكانيكية. فالماجر سيجريف بلغت سرعة سيارته ٢٣١ ميلاً على ساحل فلوريدا وتلاه الكابتن كبل فبلغت سرعة سيارته ٢٤٣ ميلاً. اما سرعة الطيارات في الهواء فاقصاها ٥١٤ ميلاً في الساعة بلغها الطيار ستينفورت باحدى الطيارات المائية الانكليزية التي صنعت لمسابقة كاس شنيدر

ان هذه السرعات العظيمة تبين ما يستطيعه الانسان لمحو المسافات وتنبؤ بما قد تكون عليه سرعة المواصلات في المستقبل القريب !

تاريخ السرعة

كان تحقيق الانسان للسرعة الميكانيكية العظيمة تحقيقاً بطيئاً. فان الآلة البخارية استعملت مدة قرن كامل تقريباً في نزع المياه من المناجم قبلما خطر لاحدهم ان يستعملها في عربة فتسير العربة تدفعها قوة الآلة. وكانت السكك الحديدية اولاً تجرّها الخيل ومضى عليها نحو قرنين قبلما استبدلت الخيل بالآلة البخارية. واول قطار صنع على هذا الطراز كان في ويلز سنة ١٨٠٤ فبلغت سرعته خمسة اميال في الساعة. ثم انقضت خمس سنوات قبلما عنيت شركة من شركات سكك الحديد باستعمال الاسلوب الميكانيكي الجديد في دفع عرباتها

وكان الناس يوجسون خيفة من السرعة. فقد كتب احد الكتاب الانكليز مقالة في المجلة الربعية « Quarterly » قال فيها: « انه من المحال ان نزين للناس صنع قطارات سرعتها مضاعف سرعة العربات العمومية. وخير لاهل ولتش ان يسلموا بالانطلاق في صاروخ من الاستسلام الى آلة تسيير بهذه السرعة »

وكانت مسألة السرعة من المسائل الخطيرة التي اثيرت لما طلبت شركة انكليزية من البرلمان اذنًا في مد خط سكة حديدية بين لثربول ومنشستر. وكان المهندس جورج ستيفنسن قد جرب القاطرة البخارية وامفرت تجاربهُ عن اقتناعه بتفوقها على العربات التي تجرها الخيل. ولكن رجال الفن في انكلترا حينئذ لم يقرّوه على ذلك الزأي فكتب تروجولد Tredgold في سنة ١٨٢٥ رسالة انكر فيها احتمال استنباط طريقة لنقل الناس تزيد سرعتها على عشرة اميال في الساعة. والقي لاردنر Lardner خطبة في لندن قال فيها « ان عربات هذه القطارات لا تستطيع ان تسيير بالسرعة المذكورة فاذا حاولت ذلك وقفت جامدة في مكانها لان عجالاتها تدور حينئذ على محاورها وتظل حيث هي »

اما وقد قال رجال العلم كلمتهم فلا ريب فيما يقوله رجال الادارة ! فانهم ترددوا طويلاً في الترخيص بمد سكة حديدية يقودها ويرشدها « حَقَق » ستيفنسن. وقبلما مثل ستيفنسن امام لجنة البرلمان اشار عليه محامي الشركة بالآ ذكر سرعة لا تصدّق كسرعة ٢٠ ميلاً في

الساعة لأنه اذا فعل حكم المجلس عليه وحسبوه مجنوناً افلت من المستشفى . فلجم ستيفنسن خياله ولسانه ولم يذكر الا سرعة ١٢ ميلاً في الساعة ، ومع ذلك ظل اعضاء اللجنة البرلمانية يشكون في صحة عقله واقترحوا ضده . ولكن الشركة فازت بمرسوم تأسيسها بطريقة من الطرق . فاقنع ستيفنسن رجالها ان يسمحوا بتجربة القطار الحديدي — قاطرة فيها آلة بخارية تجر عربات وتسير على خط حديدي مزدوج — فعينت جائزة مالية قدرها ٥٠٠ جنيه تمنح لاي مخترع يستطيع قطاره ان يسير مسافة ٣٠ ميلاً بسرعة عشرة اميال في الساعة وفي اكتوبر سنة ١٨٢٩ تمت هذه المباراة فحضرها عشرة آلاف متفرج وتبارت فيها قطارات خمسة مخترعين احداها قاطرة ستيفنسن

وكانت قاطرة ستيفنسن تدعى « الروكت » اي الصاروخ وكانت تجر وراءها قطاراً من العربات المحملة فبلغ متوسط سرعتها ١٥ ميلاً في الساعة . ثم فصل ستيفنسن القاطرة عن سائر القطار ليبين للجمهور ما تستطيعه وحدها . فسارت اولاً بسرعة عشرة اميال ثم بسرعة خمسة عشر ميلاً ثم زادت سرعتها رويداً رويداً الى عشرين خمسة وعشرين وثلاثين ثم خمسة وثلاثين ميلاً فوقف الناس دهشين ثم انطلقت اكنفهم بالتصفيق اذ رأوا القاطرة ولم تتبدد هباءً منثوراً كما قيل ولم تدّر عجلاتها حيث هي وها هو ذا المهندس يقفز منها معافى لم تضر به السرعة والسكة الحديدية في الولايات المتحدة الاميركية تاريخ شبيه بتاريخها في انكلترا

السيارة والقطار

ومن ثم اخذت سرعة القطارات تزداد رويداً رويداً بزيادة علم المهندسين وخبرتهم الى ان بلغت في احد القطارات الاميركية سنة ١٩٠١ مائة وعشرين ميلاً في الساعة فوق خط مستوٍ مستقيم . اما قصب السرعة قبل الحرب مدى مسافة تزيد على خمسمائة ميل في طريق غير مستقيم او مستوٍ فلقطار اميركي كذلك اذ قطع سنة ١٩٠٥ مسافة ٥٢٥ ميلاً في ٧ ساعات وخمسين دقيقة فكان متوسط سرعته ٦٧ ميلاً في الساعة . وسرعة بعض القطارات الانكليزية الآن تفوق ذلك ولما كانت الشركات تعنى بسلامة الركاب ورفاهتهم وتوفير النفقات عنايتها بالسرعة او اكثر عدلت عن السباق لزيادة سرعة قطاراتها من دون النظر الى اي اعتبار آخر . وقد كانت بعض الشركات الاميركية في مطلع هذا القرن تسيّر قطاراتها بين نيويورك وشيكاغو في ١٨ ساعة اما اليوم فانها لا تتعدى عشرين ساعة على الاقل

وكانت السيارة في مهدها اذ بلغ القطار اوجه — من ناحية السرعة — في سنة ١٩٠١ ربح هنري فورد سباقه الاول بسيارته المشهورة فكانت سرعته اقل قليلاً من ٤٥ ميلاً في الساعة . اما في اوربا فكانت سرعة السيارات تفوق سرعة فورد قليلاً . ولكن اصحاب السكك

الحديدية لم يروا في «عربة البنزين» ما يثير مخاوفهم. وفي سنة ١٩٠٣ نزل اسم فوردي في صفحات الجرائد الاولى اذ بلغت سرعة سيارته تسعين ميلاً في الساعة. ومضى اصحاب المصانع في اتقان سياراتهم وزيادة سرعتها ففي سنة ١٩١٠ بلغت اقصى سرعة سيارة ١٤١ ميلاً في الساعة وفي ١٩٢٠ بلغت ١٥٦ ميلاً في الساعة وفي سنة ١٩٢٦ بلغت ١٧٠ ميلاً في الساعة وفي سنة ١٩٢٧ انطلق المايجر سيجريث بسيارته بسرعة ٢٠٠ ميل في الساعة وفي ١٩٢٨ بلغت سرعة كاي دُنْ ٢٠٧ اميال في الساعة وفي ١٩٢٩ اعاد سيجريث الكرة فبلغت سرعته ٢٣١ في الساعة وبعد وقته تفوق عليه الكبتن مَلْكَسْم كبل اذ بلغت سرعته ٢٤٣ ميلاً في الساعة وهي اقصى سرعة مركبة تسير على سطح الارض — حتى الآن

على ان الانسان لم يكتف بالسير على سطح الارض او سطح الماء بل غزا مملكة النسر والعقاب وجارها فيها بل وتفوق عليها

ففي ١٧ ديسمبر ١٩٠٣ طار اورثيل ريط — لاول مرة في التاريخ — بطائرة اقل من الهواء فقطع مسافة ١٢٠ قدماً في ١٢ ثانية اي ان متوسط سرعته بلغ ستة اميال في الساعة او اكثر قليلاً. ولا ريب في ان اية عربة من عربات السفر التي كانت شائعة في القرن الثامن عشر واول القرن التاسع تستطيع ان تباري طائرة هذا متوسط سرعتها

ولكن افسح المجال للانسان وقد اخذ اجنحة الطير حتى يتعلم استعمالها ! ففي سنة ١٩٠٥ طار اورثيل ريط مسافة ١١ ميلاً بسرعة ٣٦ ميلاً في الساعة وفي ١٩٠٨ بسرعة ٤٠ ميلاً في الساعة ثم قدم الصحافي الاميركي بنت — J. G. Bennett — كأساً للفائز في مباراة دولية للطيران ففرت المباراة في ريمز بفرنسا في شهر اغسطس سنة ١٩٠٩ ففاز فيها كرتس الاميركي وبلغ متوسط سرعته ٤٧ ميلاً في الساعة. ومن ثم اخذ متوسط سرعة الطيران يزداد زيادة تفوق ما يتوقع. ففي ١٩١٢ فاز فدرين الفرنسي بكأس بنت الدولية وبلغت سرعته ١١٢ ميلاً في الساعة. ولما وضعت الحرب اوزارها واستؤنفت المباراة في الطيران فازت فرنسا بكأس بنت وكانت سرعة الفائز ١٧٠ ميلاً في الساعة

اما كأس شنيدر فاشهر من كأس بنت لدى قراء المقتطف. وجاك شنيدر من رجال الطيران والالعب الرياضية عند الفرنسيين. صنع سنة ١٩١٢ كأساً من الذهب والفضة والبرونز قيمتها نحو الف جنيه وجعلها جائزة دولية يفوز بها المجلس في سباق للطائرات المائية يقام كل سنة او سنتين. ومن غرائب القدر ان شنيدر هذا مات فقيراً معدماً سنة ١٩٢٨ اذ كان المتنافسون ينفقون مئات الالوف من الجنيهات استعداداً لمحاولة الفوز بكأسه

والى القارىء بياناً مفصلاً بأسماء الفائزين وسرعتهم

السنة	الاسم	الجنسية	السرعة بالأميال	السنة	الاسم	الجنسية	السرعة بالأميال
١٩١٣	بروفو	فرنسي	٤٥٨٧٥	١٩٢٥	دولتل	اميركي	٢٣٢ ر ٥٧
١٩١٤	بكستن	انكليزي	٧٦٨٧٥	١٩٢٦	ده برناردي	ايطالي	٢٤٦ ر ٤٩
١٩٢٠	بولونا	ايطالي	١٠٧ ر ١٢	١٩٢٧	وبستر	انكليزي	٢٨١ ر ٦٥
١٩٢١	ده بريغانتي	ايطالي	١١٥ ر ٨٤	١٩٢٩	أشيري	انكليزي	٣٢٨ ر ٦٣
١٩٢١	بيارد	انكليزي	١٤٥ ر ٦٢	١٩٣١	بوثن	انكليزي	٣٤٠ ر ٠٨
١٩٢٣	رتنهوس	اميركي	١٧٧ ر ٣٨				

ولما كان شروط هذه المباراة ان الدولة التي تفوز بها ثلاثاً متوالية تحوزها نهائياً فالكأس الآن ملك انكلترا. وبعد المباراة الاخيرة حاول الطيار الانكليزي ستينفورت ان يبلغ بطيارته البحرية اقصى سرعة بلغها الطيارون فطار اربع مرات فوق مسافة طولها ثلاثة كيلومترات فبلغ متوسط سرعته ٤٠٨ اميال وبلغت سرعته في احد الاشواط ٤١٥ ميلاً في الساعة. وهذا اقصى ما استطاعه الانسان حتى الآن في ميدان « السرعة »

مستقبل السرعة

ما مستقبل السرعة ؟ هل بلغنا الحد الاقصى او لها حدود ابعد مما ذكر يستطيع الانسان بلوغها بالادوات الميكانيكية التي في متناوله وتحت سيطرته ؟
يرى السر الآن كوجههم الطيار البريطاني المشهور ان بلوغ سرعة ٣٠٠ ميل للطائرات التجارية امر سوف يتم في جيلنا . ويقول الاستاذ لو العالم والمستنبط الانكليزي ان سرعة المستقبل لا تنقص عن خمسمائة ميل . ويذهب بلريو اول من عبر بحر المانش بالطيارة ان سرعة طائرات السباق سوف تبلغ « في عشر سنوات ٧٠٠ ميل في الساعة » . ويتناهى غيرهم فيذكر سرعة الف ميل في الساعة . فالستر هلند (Holland) المهندس الذي بنى الطائرات المائية البريطانية التي فازت بكأس شنيدر يقول « ولست ارى ما يمنع ان تكون سرعة الطيارة الفائزة سنة ١٩٥٠ الف ميل في الساعة »

والراجع ان مقاومة الهواء والفرك (او الاحتكاك) والقوة الطاردة من المركز هي الحوائل التي تحول عند تحقيق المهندسين ما يرونه حقيقة بعين خيالهم . والعالم او المستنبط الذي يقترب من اخضاع هذه الحوائل او تخطيها هو اول من يصل الى تحقيق سرعة الف ميل في الساعة

ان القوة الطاردة من المركز يمكنها ان تدمر السيارة او الطائرة . فقد حسب احد علماء الطبيعة انه لما كانت سرعة سيارة سيجريف ٢٠٠ ميل في الساعة كانت عجلاتها تدور ثلاثين دورة في الثانية الواحدة وكانت القوة الطاردة لدقائق العجلة من المركز تعدل ضغط اربعة اطنان . وزيادة سرعة السيارة تقتضي زيادة دوران العجلات وبالتالي زيادة القوة الطاردة حتى اذا بلغت السيارة سرعة معينة لم تستطع عندها جزيئات المادة ان تبقى متماسكة فتتطاير . وما يقال عن العجلات يقال عن محرك الطائرة ومراوحها

اما الفرق (او الاحتكاك) فظاهر فيما تنفقه السيارة من الزيت . ولكن المهندس العالم فقط يستطيع ان يقدّر ما تنفقه المحركات من قوتها لمقاومة الاحتكاك . فقوة المحركات في سيارة سيجريف كانت الف حصان تنفق قوة ١٠٠ حصان منها لمقاومة الفرق بين اجزائها فاذا زادت السرعة اصبح تزييت الآلة اكثر تعقيداً بما يصيب الزيت من التحول الكيميائي . وهذا يقتضي اضافة اسلوب جديد للتبريد لئلا تزداد حرارة الآلة فينحل الزيت ويغدو لا يزيّتها . واداة التبريد تزيد ثقل الطائرة وتنقص القوة المستعملة في تسييرها

اما عدو السرعة الاكبر فهو مقاومة الهواء . فسيارة سيجريف كانت تنفق مائة حصان من قوتها لمقاومة الاحتكاك و ٥٠٠ للتغلب على مقاومة الهواء فلم يبق من القوة الاصلية الا ٤٠٠ حصان لتسيير السيارة

ان مقاومة الهواء غول القوة المسيّرة . فلنفترض ان امامك سيارة قوة آلتها عشرة احصنة تستطيع ان تسير بك سرعة ٣٠ ميلاً في الساعة . وانت تريد ان تسير بسرعة ٦٠ ميلاً فهل يكفي ان تجعل قوة آلة السيارة عشرين حصاناً ، اي هل يكفيك ان تضاعف القوة لتضاعف السرعة ؟ كلا اذ قد وجد الباحثون ان القوة تختلف كمكعب السرعة . فلكي تضاعف السرعة في طائرة يجب ان تزيد قوتها المحركة ثمانية اضعاف . فاذا كانت السيارة التي قوتها ١٠ احصنة تسير بسرعة ٣٠ ميلاً وجب ان تكون قوة السيارة التي تسير بسرعة ٦٠ ميلاً ٨٠٠ حصان — هذا اذا تساوت السيارتان في كل امر عدا القوة

ولكن السيارات قلما تتساوى في كل امر . وهنا مجال الابداع لبناء السيارات والطائرات . فقد اجريت مباحث كثيرة لمعرفة اي شكل من الاشكال المادية يلقي اقل مقاومة من الهواء في اثنا سيره فيه . فوجد ايثل — المهندس الفرنسي باني برج ايفل بباريس — ان جسماً اسطوانياً الشكل مقدمة نصف كرة هو هذا الشكل . وقد قام المهندسون المحدثون بتجارب من هذا القبيل فبني على نتيجة مباحثهم علم stream-lining الحديث ويقصد به بناء جسم السيارة — او الطائرة — وكل جزء ظاهر منها حتى يقاوم الهواء اقل مقاومة ممكنة ولعل الطريقة المثلى للتغلب على مقاومة الهواء هي التحليق الى طبقات الهواء اللطيف .

فكثافة الهواء على ارتفاع عشرة اميال هي عشر كثافته على سطح البحر وكثافته على ارتفاع عشرين ميلاً جزء من مائة جزء من كثافته على سطح البحر . فالقوة التي تسير طيارة بسرعة ١٠٠ ميل او ١٢٥ ميلاً على ارتفاع الف قدم تستطيع ان تضاعف هذه السرعة على ارتفاع عشرة اميال مثلاً . ولكن طياراتنا تحتاج الى الهواء الكثيف . فهو كالماء للسفينة . واذا فالطيران بسرعة ١٠٠٠ ميل في الساعة في طبقات الجو العليا يحتاج الى استعمال مبدأ آخر في الطيران — غير مبدأ مقاومة الهواء بسطح منحني — كبداً الصاروخ او السفن السهمية ^(١)

السرعة ومجسم الانسان

هل يستطيع جسم الانسان ان يحتمل سرعة اعظم من سرعة كامبل بسيارته وستينفورت بطيارته ؟ انها لمسألة قديمة وجهت في ايام ستيفنسن وفي كل سنة اذ تقام مباريات السرعة توجه من جديد . ولعل افضل جواب عنها اننا كسكان السيارات المعروف بالارض نسير الآن في الفضاء معياً بسرعة تفوق اقصى ما يتخيله المهندسون . قال ادنجنجت : الحركة لا تتعب احداً . فنحن الآن نسير مع الارض حول الشمس بسرعة ٢٠ ميلاً في الثانية . ونحن نسير مع النظام الشمسي بسرعة ١٢ ميلاً في الثانية في خلال النظام المجري ومع النظام المجري بسرعة ٢٥ ميلاً في الثانية بين السدم اللولبية . فلو كانت الحركة تتعب لكاننا متناً تعباً

ان جسم الانسان ودمه لا يستطيعان ان يحتملا حرارة تحت الصفر في طبقات الجو العليا ولا هو يستطيع ان يتنفس في هواء لطيف جداً . وعليه فكل طائرة سائرة في اعالي الجو لا بد لها من ان تقل ركبها في حجرات محكمة الاقمال ضغط الجو فيها مثل ضغطه على سطح الارض وحرارتها مماثلة للحرارة الطبيعية التي اعتادوها

ولكن هل نرغب في زيادة السرعة ؟ ان نبحاج البريد الجوي في كل البلدان يدل على رغبة الناس في سرعة النقل وخصوصاً نقل الاشياء الضرورية مثل الرسائل والعقاقير والامصال والجنود في ساعة الحاجة القصوى وغير ذلك . فطيارة تسير بسرعة الف ميل في الساعة تستطيع ان تقطع المسافة بين هليوبوليس وبغداد في نحو ساعة بدلاً من ان تستغرق نحو شهر ثم هنالك الحلم الجري الذي اعرب عنه العالم البريطاني هولدين (J.B.S.) وغيره وهو الخروج من منطقة جذب الارض الى الاجرام السماوية الاخرى

ما هي السرعة اللازمة للتغلب على قوة جذب الارض ؟ مبعة اميال في الثانية قرب سطح الارض ثم اقل من ذلك متى حلت الطائرة في الفضاء . والقائمون على درس السفن السهمية يقولون ان توليد هذه السرعة مستطاع . . . !!

(١) راجع مقالاتنا في المقتطف نوفمبر ١٩٢٨ ص ٢٤٩ ابريل ١٩٢٩ ص ٣٨١ مارس ١٩٣١ ص ٣٠٧

حافظ ابراهيم

لمصطفى صادق الرافعي

فرغت الآن من قراءة شعر حافظ بعد ان لم يعد حافظ بيننا الا شعره ونثره ، فبالله أحلف ما نظرت في صفحة مما بين يدي الا وأحسست أن ذلك الشاعر العظيم يقول في بيانه الرائع وصناعته البديعة : انا هنا

ولغة هذا الشعر المتدفقة بالحياة كأن كلماتها القوية عروق في جسم حي متوثب — لم تخرج عن ان تكون هي العربية المهيمنة في جزالتها ونصاعتها ودقة تركيبها البياني ، ومع ذلك فليس في هذا العصر كله من يكابر أو يماري في انها هي لغة حافظ وحده كأنه ارغم التاريخ ان يحتفظ به في أجل آثاره

وأنا اعرف في شعره مواضع من الاضطراب والضعف والنقص سأشير الى بعضها ، ولكنني على ما اعرفه اجد هذا الشعر كالتيار يعب عبابه لا يبالي ما تنثر منه وما ركد وما وقع في غير موقعه ، اذ كانت عظمته في اجتماع مادته لا في اجزاء منها وفي السر الذي يدفعها في كل موضع لا في المظهر الذي تكون به في موضع دون موضع فهو ابدأ يقول لمن يتصفح عليه او ينتقده : انظر لما بقي

ترجع صداقتي لحافظ رحمه الله الى سنة ١٩٠٠ اول عهدي بالادب وطلبه وقد شهدت من يومئذ بناءه الادبي عالياً فعالياً الى الذروة التي انتهى اليها ، وأخلص لي ثقته وأصفاني مودته وكان همك من اخ كريم وله في نفسي مكان لم ينكره مذ عرفته ولم يضق بمحبته منذ اتسع لها وكنت واياه يرى احداً الآخر من هذه اللغة كالجانبين لصورة واحدة لا يتهاى في الطبيعة ان يختلفا والصورة بعد قائمة ولا ان يضطرب ما بينهما والصورة منهما على وزن وتقدير ولكن هذا لا يمنعني ان اقرر انه كان عندي اكبر من شعره — ولعله كذلك عند كل من خاطوه بأنفسهم — فانه يتعاضدك بنفسه القوية وبالمعنى الذي تحسه في العبقرى ولا تدري ما هو . وذلك من سحر العبقرين وأثرهم في نفس من يتصل بهم فيتسق لهم اركان من امر واحد وحظان بحظ ونصيبان بنصيب لان مع الاعجاب بآثارهم إعجاباً آخر بالقوة التي ابدعت هذه الآثار . ففي ذواتهم المحبوبة يستمر الاعجاب كالمسار على طريق لا موقف عليه

وفي آثارهم يكون الإعجاب في موقف قد انتهت الطريق به فوقف على حد إن بُعد وإن قرب
لاجرم كان شاعرنا عبقرية عجيب الصنعة قوي الإلهام بليغ الأثر في عصره يشبه تحوُّلاً
وقع في صورة من صور التاريخ ، ولكنه كذلك في مذاهب من الشعر دون غيرها فلم يكن
معه من التمام في فنون الشعر ما يكون به الشاعر التام أو الأديب الكامل الأداة . ولم من
مرة كلمته في ذلك ونهته إلى أنه كالنمط الواحد وأنه يجب أن يتسرَّ شعره بين النفس الإنسانية
وأغراضها الكثيرة المختلفة ، فإذا كانت السياسة من الحياة فليست الحياة هي السياسة ولا ينبغي
أن يكون شعره كله كشمس الصيف فإن للربيع شمساً أجمل منها وأحبَّ كأنها مجتمعة من
أزهاره وعطره ونسيمه

ولقد كان يفخر بأنه (الشاعر الاجتماعي) وهذا لقب ميزه به صديقنا الأستاذ محمد كرد علي أيام
كان في مصر قديماً فتعلَّق به حافظ ورآه تعبيراً صحيحاً لما في نفسه وللملكة التي اختصَّ بها
قال لي يوماً في سنة ١٩٠٣ : أنا لا أعد شاعراً إلا من كان ينظم في الاجتماعيات . فقلت له
ومالك لا تقول بالعبارة المكشوفة إنك لا تعد الشاعر إلا من ينظم مقالات الجرائد
ولا بد لي أن أبسط هذا المعنى في هذا الفصل فإنه كان يخيل إليّ دائماً أن شاعرنا (حافظ)
خلق للتاريخ في أصل طبيعته ثم زيدت فيه موهبة الشعر ليكون مؤرخاً حيّ الوصف بليغ
التأثير قوي التصرف ، ومن ثم جاء أكثر ما نظمته وأساسه التاريخ والسياسة وصحَّ له بهذا
الاعتبار أن يقول أنه الشاعر الاجتماعي ، ولكن مادة الشعر غير روح الشعر فإذا كان في المادة
اجتماعي وسياسي فليس في الروح إلا الشاعر على إطلاقه . والاجتماعيات ليست كلَّ حقائق
الحياة وهي بعد ذلك معان خاصة محصورة في زمنها ومكانها . على أن الحقائق ليست هي الشعر
وأما الشعر تصويرها والاحساس بها في شكل حيّ تلبسه الحقيقة من النفس . فالشاعر الاجتماعي
شاعر في حيز محدود من وجوه الشعر ومذاهبه وإذا كان الاجتماع كل شعره فلا يسمى
شعره فناً إذ كان الفن إنسانياً وكان شاملاً عاماً . والمقاييس التي يطرد عليها الفن الأدبي
لا تكون في الزمن ولا في الموضع بل في النفس الإنسانية التي لا تخص بوقت ولا مكان .
فإذا لم يكن الشعر إنسانياً عاماً يولد كل جيل من الناس فيجده كأنما وضع له وأرتته بأغراضه
وحقائقه فهو شعر (كالأخبار المحلية) وهذا وجه الشبه بينه وبين ما اشرت إليه آنفاً من نظم
مقالات الجرائد

فمقالات الجرائد هذه لا تأتينا بالأشياء التي نحن منها في الإنسانية والطبيعة والجمال
وحقائق الحياة والموت ، بل التي يكون منها يومنا المرقوم بأنه يوم كذا من شهر كذا من
سنة كذا فإذا مات اليوم ماتت الجريدة ثم تولد ثم تموت . وقد أدرك المتنبئ سر الشعر
وأنه قائم على تحويل الشعور الإنساني إلى معرفة إنسانية فخلد شعره فلا يمكن أن يمحي من

العربية ما بقيت وهذا على ما يقدر من وجوه الاعتراض والنقص وعلى ان المتنبى كان ضعيفاً في ناحية الجمال والحب ضعفاً ظاهراً كضعف شاعرنا حافظ في هذا المعنى ، ولكن حكمته الانسانية ودقة اوصافه واقامته الفضائل والذائل في كمالها الفني مقام تماثيل بارعة من الجمال، كل ذلك ترك شعره مستمراً باستمرار الحياة وباستمرار الانسانية وباستمرار الذوق

ان هذا الكون مبني في نفسه مما يعلم العلم تركيبه ولا يعلم سر تركيبه الا الله وحده ، ولكنه مبني في انفسنا من عمل الحواس ثم من التعليل والتفسير ، أما الحواس ففي كل حي لا تسبق بصناعة ولا عمل ، وأما التعليل والتفسير فهما من صناعة الشاعر والاديب فكلاهما يُخلق لاتمام الخلق في الحقيقة وهي منزلة لا ادري كيف يمكن ان تمسخ حتى تقتصر على معنى الشاعر الاجتماعي او السياسي فترجع به نمطاً واحداً مع ان الآثار الادبية وفي جللتها الشعر ان هي الا قوى الفكر والهام النفس وبصيرة الروح مسجلة كلها في بواعثها واسبابها من نفس عالية ممتازة ، وهذه القوى كثيرة التحول فيجب ضرورة ان تكون آثارها كثيرة التنوع . وتنوع الصور الفكرية في آثار الشاعر او الاديب ومحيثها متوافرة متتابعة هو معيار أدبه وقياس نبوغه عالياً او نازلاً ومتبعاً او مبتكراً وفيما يضيء من نواحيه وما ينطفئ

على ان شاعرنا الاجتماعي (كما كان يحب ان يوصف رحمه الله) وان كان قد نفخ في روح الشعب أنفاساً الهية واحسن في وصف حوادثه وآلامه وعبوبه وأبلغ البيان في كل ذلك - فإنه نزل في هذه المرتبة عن وضعه الصحيح فكان في منزلته بمكان الشرطي في الطريق يقف للجرائم والحوادث على حين ان مقامه الاجتماعي من الشعب مقام المعلم في مدرسته يجلس للطباع والاخلاق . ليس الشأن أن توجد في شعر الشاعر حوادث عصره اكثرها او اقلها فان فوق هذه منزلة اعلى منها وهي ان توجد حوادث النهضة بشعر الشاعر وأن يكون في شعره العنصر الناري من اللغة الشعبية

على ان (حافظ) رحمه الله أدرك كل هذا في آخر عهده فكان يريد ان يميت ديوانه ويستخرج منه جزءاً صغيراً يختار فيه الف بيت ويسقط ما عداها وإن . . . وإن كان فيه شعر اجتماعي ومع هذا النقص الذي بعثت عليه طبيعة الزمن وطبيعة الشاعر معاً فان تمام حافظ في مذهبه الاجتماعي الذي نبغ فيه جاء من وراء القوة وفوق الطاقة لا يجاريه فيه شاعر آخر بحيث دل على ان النابغة قد ر إلهي لا ينقص من عظمتها ان يكون حادثة واحدة تدوي دويها في الدنيا . فهو ميسر منذ نشأته لما خلقه من ذلك فأحكمت المدرسة الحربية ثم قيده الجيش ثم تقادفه السودان ثم قذف به الظلم ثم تولاه امام عصره الشيخ محمد عبده وهو كذلك في غاياته الوعرة ومقاصده العمرانية ومعاناته للاصلاح - مدرسة حربية وجيش وفلاة . فلم يكن حافظ الا الصوت الانساني الذي أعيد بخصائصه للتعبير عن حوادث امته وخصائصها،



حافظ ابراهيم

امام صفحة ٢٦٩

مقتطف اكتوبر ١٩٣٢

وكانه في نقلته من السودان الى مصر قد انتقل من جيش يحارب الاقوام الاعداء لأمته الى جيش آخر يحارب المعاني الأعداء لأمته

ولد حافظ ابراهيم سنة ١٨٧١ وكان الكتاب الاول الذي هداه الى سر الادب العربي وأرهف ذوقه وأحكم طبيعته هو كتاب الوسيلة الادبية للشيخ حسين المرصفي المطبوع في مصر لحس وخمسين سنة ، ففي هذا الكتاب قرأ حافظ خلاصة مختارة محققة من فنون الادب العربي في عصوره المختلفة ودرس ذوق البلاغة في اسمي ما يبلغ بها الذوق ووقف على أسرار تركيبها وعرف منه الطريقة التي نبغ بها البارودي وهي قراءة دواوين خول الشعراء من العرب ومن بعدهم وحفظه الكثير منها ، فبنى شاعرنا من يومئذ قريحته على الحفظ ولم يزل يحفظ الى آخر عمره اذ كانت قريحته كآلة التصوير لا تنبئه لشيء الا علقته وهذا سبب من اسباب ضعف خياله ولكنه رد عليه من القوة في اللغة ما تنأى فيه الى الغاية . واتفق لذلك العهد ان طبعتم زوميات المعري في مصر فتناولها حافظ واستظهرها اكثرها فكانت باعث ميله ونزعه الى الشعر الاجتماعي . والفرق بين حافظ وبين المعري في الموهبة الفلسفية هو الذي نفذ بالمعري الى اسرار كثيرة ووقف بحافظ عند الظاهر وما حوله يطير هناك ويقع

فقد كان صاحبنا ضعيفاً من هذه الناحية فاستصعبت عليه اسرار واستغلقت أخرى من أسرار الخير والشر في الحياة ، والجمال والحسن في الخليقة ، والجلال والابداع في الكون والاقرار والشك في كل ذلك ، وقد بلغ المعري من هذا مبلغاً لا بأس به الا انه لم يُصِفْ كما تصفني الاشياء في عين مبصرة نخب وخلط ووضع من اغراض نفسه المريضة على الصحيح والمريض جميعاً . وتابعه حافظ في طريقة أخرى سنشير اليها بعد

وفتن شاعرنا بما قرأ في «الوسيلة» من شعر البارودي فاصبح من يومئذ تلميذه وسار على نهجه في قوة اللفظ وجزالة السبك ومثانة الصنعة وجودة التأليف على نعم الالفاظ وأجراس الحروف ولكنه لم يدرك شأو البارودي في ذلك لان هذا جمع من دواوين الشعراء وكتب الادب ما لم يتفق لغيره في عصره وأدخل في شعره أحسن ما صنعت الدنيا في الف سنة من تاريخ البلاغة العربية ولذا انتقل عنه حافظ الى طريقة مسلم بن الوليد في التصنيع ولزمها الى آخر مدته وابتدأ يعالج الشعر في السودان وينظم في جنس ما هو بسبيله من وصف الهم المستولي عليه من جميع جهاته اذ كان يتيماً فقيراً مشرداً ويرى نفسه شاعراً تصده الحياة عن منزلة الشاعر وعن أمكنة الشعر كالذي غُصِبَ ميراثه من عرش وملك ونُفي الى غير أرضه ووضعت روحه بازاء روح الفقر وقيل لها عدو ما من صداقته بُدَّ

ثم جاء الى مصر واتصل بالامام الشيخ محمد عبده واستقال من الجيش وفرغ للادب

فبدأ من ثم تكوينه الادبي المندمج المحكم . اما قبل ذلك الى سنة ١٩٠١ التي طبع فيها الجزء الاول من ديوانه فكان شعره قليلاً ظاهراً للتكلف واكثره يدل على طريقة مضطربة لم تستحكم وفكر لم ينضج وموهبة في التوليد الشعري بينها وبين الاستقلال أمد قريب ودرس في مدرسة الشيخ محمد عبده من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٥ وهذا الامام رحمه الله كان من كل نواحيه رجلاً فذاً وكأنه نبي تأخر عن زمنه فأعطي الشريعة ولكن في عزيمته ووهب الوحي ولكن في عقله واتصل بالسر القدسي ولكن من قلبه . ولولا هو ولولا انه بهذه الخصائص لكان حافظ شاعراً من الطبقة الثانية فانه من الشيخ وحده كانت له هذه القوة التي جعلته يصيب الالهام من كل عظيم يعرفه وكان له من اثرها هذا الشعر المتين في وصف العظاء والعظام وهو أحسن شعره

ولم يجد حافظ من قومه ما يجعله لسانهم حتى تنطقه بالوحي نفسيتهم التاريخية الكبرى، ولا تولاه ملكاً او امير يرغب في أدبه رغبة اديب ملك او اديب امير ليظهر منه عبقرية جديدة في التاريخ ، ولا عرف الحب الذي يجعل للشاعر من سحر الحبيب ما يجمع النفسية التاريخية والملكية معاً ويزيد عليهما . وهذه الثلاثة التي لم تتفق لحافظ هي التي لا ينبغ الشاعر نبوغاً يفرد ويميزه الا بواحد منها او باثنين او بها كلها . غير ان حافظ وجد في الامام ما هو اسمي من كل هؤلاء في النفس والجاذبية وعرف فيه من ذوق الادب والبلاغة ما لم يعرف شاعر في ملك ولا أمير . وقد حضر دروسه في المنطق واسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وخرج منها بذوقه الدقيق واسلوبه المتمكن ، وحضر مجالسه وخرج منها بمواضيعه الاجتماعية واغراضه الوثابة ، وحضر نظرات عينيه وخرج منها بروحانية قوية هي التي تتضرم في شعره الى الأبد . حافظ احدى حسنات الشيخ على العالم العربي وهو خطة من خطته في عمله للإصلاح الشرقي الاسلامي والنهضة المصرية الوطنية واحياء العربية وآدابها، واذا ذكرت حسنات الشيخ أو عدت للتاريخ وجب ان يقال اصلح وفعل وفعل وفسر القرآن وأنشأ حافظ ابراهيم ومضى شاعرنا موجهاً بفكرة الامام وروحه واستمر في ذلك بعد موت الشيخ كما يستمر النهر اذا احتفر مجراه لا يستطيع أن يخرج عنه ما دام يجري الى مقاربه

وكان حافظ في بديعه وصناعته على مذهب مسلم بن الوليد كما قلنا وهو مثله ابطاء في عمل الشعر وتلوماً على حوكة وانقزاداً بكل لفظة منه وتقليباً للنظر فيما بين الكلمة والكلمة واعتبار كل بيت كالعروس لها معرض وحلية وزينة . فاذا عمل شعراً انبثت خواطره في كل وجه وذهب وراء الالفاظ والمعاني وترك هاجسه (العقل الباطن) يعمل عمله فيما التوى عليه او استصعب وهو واثق انه سينقاد ويتسهل بقوة ان لم تكن فيه الآن فستكون فيه . ثم

ينظم ما يتسمَّح إن جاء في موضعه من القصيدة او في غير موضعه فلا يتبع فيها نسقاً بعينه وانما القصيدة عنده كلٌ سيجمع من بعد ، تهيأ اجزاؤه متسقة ومبعثرة كما يجيء بها الالهام واسباب الاتفاق . فالقصيدة أولاً في أبياتها ثم تكون أبياتها فيها اي ثم ترتب الابيات وتنزل في منازلها ، ولا ينظم الا متغنياً يروض الشعر بذلك لان النفس تتفتح للموسيقى فتسمح وتنقاد . وهو يتبع في ذلك طريقة معروفة ذكرها ابن حجة الجوهري في كتابه خزانة الادب وهي من وصية ابي تمام البحتري وكان المتنبي يعمل عليها . وبالجملة فان حافظ يرمي فكره بالقصيدة التي ينظمها ويتوفر عليها وعلى اسبابها لا كما يفرغ الشاعر للشعر ولكن كما يتوفر المؤلف العظيم على كتاب يؤلفه . وهو كذلك يبسط في نثره اكثر مما يبسط في الشعر ، دلني بنفسه رحمه الله على صفحة في الجزء الثاني من ترجمة البؤساء وقال انه ترجمها في خمسة عشر يوماً^(١)

وحضرته مرة يترجم اسطراً من الجزء الاول (في قهوة الشيشة) يخطها في دفتر صغير دون حجم الكف فاجتمعت له ثلاثة اسطر في ثلاث ساعات وهذا لا يعيبه ما دام يريد قسط الفن وما دام يحاول أن يخرج الكلمات من عالمها الى عالمه هو المتموج من الالفاظ والعبارات بمثل الكواكب في الاستواء والجاذبية والشعاع والرونق والجمال

ويرى مع الصناعة ان يكون سبك شعره سبك البدوي المطبوع جزلاً سهلاً مشرقاً ممتلئاً متعادل الاجزاء والتقاسيم يرتن رنيناً كأنما قذفت به سليقة أعرابي فصيح تحت ضوء كواكب البادية على برد الرمل في نسائم الليل حين تمتلئ تلك النفس البدوية بمحنين الحب او شوق الجمال او عظمة القوة . وهذا هو الاصل الذي اتبعه وقفني عليه هو بنفسه في سنة ١٩٠٢ وقرظني به في الجزء الاول من ديواني فقال

أنت والله كاتبٌ حضري إن عددناك شاعراً بدوياً

ولو أنك أجريت شعر حافظ في أبلغ ما قاله المطبوعون من الأعراب وشعراء القرن الاول لالتأم به وزاد عليه في الصناعة وبعض المعنى . وقل ان تجد في شعره كلمة ينبو بها مكانها الا لفاظاً قليلة كان يستكرهها بحسب انه يستطرف منها ويرى في غرابتها شيئاً جديداً وهذا من خطأ رأيه في الاسلوب لانه مع بلاغته كان ينقصه ان يكون فيلسوفاً في البلاغة . وانا أرى انه لو تمت له الموهبة الفلسفية لما جراه شاعر آخر ولكن الكمال عزيز في البشرية وقد عرفت رأيه في الاسلوب في سنة ١٩٠٦ اذ نشرت له مجلة الافلام التي كان يصدرها صاحبنا الاديب جورج طنوس كلمات كان يريد ان يضمها كتابه (ليالي سطوح) اظهر فيها رأيه في الشعراء فقال في اسماعيل صبري : يقول الشعر لنفسه لا للناس . وفي شوقي : ارق الشعراء طبعاً

(١) لما اهدى الى هذا الجزء كنا قبل الظهر فلم يدعني حتى قرأته كله معه الى العصر وكتبت عنه في المقدم بعد ذلك

وأسماء خيالاً . وفي مطران أسرعهم بديهةً واقدرهم ابتكاراً . وقال فيّ ولم يكن مضى عليّ
الاستسنيين في طلب الادب : مكثار راقى الخيال بعيد الشوط في ميادين الأدب غير
ناضج الاسلوب . فلما اجتمعت به فاحتته في ذلك وسألته رأيه في الاسلوب الناضج فلم أر
عنده طائلاً وكل ما قاله في ذلك ان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قرر ان البلاغة ليست في
اللفظ ولا في المعنى ولكنها في الاسلوب . وعبد القاهر لم يقل هذا ولا قاله غيره فان الاسلوب
عنده « طريقة مخصوصة في نسق الالفاظ بعضها على بعض لترتيب المعاني في النفس وتنزيلها »
« وان المنزلة من حيز المعاني دون الالفاظ وانها ليست لك حيث تسمع باذنك بل حيث
تنظر بقلبك وتستعين بفكرك »

وقد قررت له ان للالفاظ ما يشبه الألوان فليست كلها زرقاء ولا صفراء ولا حمراء .
وربّ لفظة رقيقة تقع ضعيفة في موضع فيكون ضعفها في موضعها ذاك هو كل بلاغتها
وقوتها كفترة السكوت بين انغام الموسيقى هي في نفسها صمت لا قيمة له ولكنها في موضعها
بين الانغام نغم آخر ذو تأثير بسكونه لا برنينه وهذا من روح الفن في الاسلوب
وأدرك شاعرنا من يومئذ ما سميت قوة الضعف ولعلّ هذا هو السبب في ان طبعه رجع
يعدل به الى التسهيل حتى انه لتقع في شعره ابيات متهافة فيأتي بها ولا ينكرها . ولقيني
مرة فانشدني قول الشاعر :

أنا لم أرزق محبتها إنما للعبد ما رزقا

وجعل يُعَجِّبني من بلاغة قوله (لم أرزق) وانها مع ذلك ضعيفة مُبْتَدَلَة تجري
في منطق كل عامي قلت ولكن (محبتها) جعلتها كمحبتها

وضعف الموهبة الفلسفية في حافظ عوضه ناحية أخرى من اقوى القوة في الشعروهي
اهتداؤه الى حقيقة الغرض الذي ينظم فيه وتركه الحواشي والزيادات وانصراف قواه الى دقة
الوصف حين يصف وتعويله على احساسه اكثر من تعويله على فكره ، فزاد ذلك في رونق
شعره ومائه ونحا به منحى المطبوعين فخرج يتدفق سلاسة وحلاوة ممتلئاً من صواب المعنى
وبلاغة الاداء وقوة التأثير . وبهذا نبغ في الرثاء ووصف الفجائع نبوغاً انفرد به حتى
لاحسب أن هناك رُوحاً يمدّه في هذه المواقف وأن الحقيقة تبرّج له في هذه العظام
خاصة ليرى منها ما لا يراه غيره . وهو يتحد بالعظيم الذي يرثيه فيجيد فيمن يعرفه اعادة
منقطعة النظير تتبين الفرق بينها وبين شعره فيمن لا يعرفه تلك المعرفة . وأحسبه يسأل روح
العظيم الذي يصفه او يرثيه : أين المعنى الذي فيه حقيقتك وأين الحقيقة التي فيها معنك
والفلسفة الشعرية كلها أن يحل في الشاعر الملمم ذلك السرّ الجميل الجاذب والمنجذب

معاً المستقر والمتحول جميعاً الباطن والظاهر في وقت ، فيكتمه الشاعر ما لا يدركه غيره
 فيقف على الجمال والحسن والركة ويلهم الحكمة والبصيرة ويتناول الأغراض بالتحليل والتركيب
 ويؤتي التعبير عن كل ذلك في طريقة خاصة به هي أسلوبه وهذا لم يتفق على أمته وأحسنه في
 حافظ فقصّر به في توليد المعاني المبتكرة ونزل به في الغزل ووصف الجمال . بيد أنه اتفق
 له مثل هذا الجلال بعينه في (الجانب المتألم من شعره) اي الرثاء والشكوى ووصف الفجيعة ،
 ولو ذهبت تستعرض المراثي في الشعر العربي ومثلت بينها وبين رثاء حافظ للعظماء الذين
 خالطهم كالاستاذ الامام والبارودي ومصطفى كامل وثرثوت ، لراعتك انك واجدٌ للشعراء ما هو
 اسمي من معانيه واغوى من خياله ولكنك لا تجد البتة ما هو اخم وادق مما جاء به في هذا
 الباب كأنه منفرد في العربية بهذه الخاصة
 وهذا المعري يقول :

ولولا قولك الخلاق ربي لكان لنا بطلعتك افتتاحان
 ويقول في شعر آخر

أسهب في وصفه علاك لنا حتى خشينا النفوس تبعدها
 وهذان البيتان تراهما صعلوكين اذا قستهما بقول حافظ في رثاء الشيخ عبده :
 فلا تنصبوا للناس تمثال (عبده) وان كان ذكرى حكمة وثبات
 فاني لأخشى ان يضلّوا فيؤمّثوا الى نور هذا الوجه بالسجّادات
 مع ان معنى حافظ مأخوذ منهما ولكن انظر كيف جاء به . ويقول المعري في رثاء ابيه
 ولو حفروا في درّة مارضيتُها لجسمك ابقاءً عليك من الدفن
 ويقول في رثاء غيره :

واخبسوا الاكفان من ورق المص حف كبراً عن أنفَس الابرار
 وهذان ايضاً كالصعاليك عند قول حافظ في البارودي :
 لو أنصفوا اودعوه جوف لؤلؤة من كنز حكمته لاجوف اخدود
 وكفّنوه بدرج من صحيفته او واضع من قميص الصبح مقدود
 مع ان حافظ ألمّ بقول المعري . ومن بديع ما اتفق له في قصيدة (الامتان تتصالحان)
 قوله يصف السوريين :

رادوا المناهل في الدنيا ولو وجدوا الى المجرة ركباً صاعداً ركبا
 او قيل في الشمس للراجلين منتجع مدّوا لها سبباً في الجو وانتدبوا
 فاقراً هذين واقراً بعدها قول المتنبي في سيف الدولة
 وصول الى المستضعفات بخيلهم فلو كان قرن الشمس ماءً لأوردا

فانك تجد بيت المتنبي صعلوكاً على بيتي حافظ مع انه المبتدع السابق
وأعجب ما عجبت له هذا البيت من شعر صاحبنا في مقطوعة يخاطب بها الامريكان نشرها
في المقتطف من ثلاث سنوات او نحوها . قال :

وتخذتم موج الاثير بريداً حين خلت أن البروق كسالى
واتفق يومئذ أن كنت جالساً في زيارة الصديق الاستاذ فؤاد صرّوف محرر المقتطف
فجاء حافظ فلم يكده يصاخي حتى قال كيف ترى هذا البيت وتخذتم موج الاثير بريداً الخ
فانثيت عليه الذي يهوى وهنأته بهذا المعنى واظهرت له ما شاء من الاعجاب ولكنني أضمرت
عجبي من حسن ما اتفق له ، فان الجمال الشعري في البيت انما هو في استعارة الكسل للبروق وهذا
بعينه من قول ابن نباتة السعدي في سيف الدولة :

وما تمهل يوماً في ندى وردى الأ قضيت للمح البرق بالكسل
غير ان حافظ نقل المعنى الى حقه ومكن له أحسن تمكين في صدر كلامه واتم جماله في
قوله (حين خلت) فاقطع المعنى وانفرد به وعاد معنى السعدي كالصعلوك على باب بيته .
وكانت هذه المقابلة في المقتطف آخر عهدي بحافظ فلم اره من بعدها رحمه الله
وما مرّ بك انما كان من صناعة الشاعر في غير الجزء الاول من ديوانه بعد ان استفحل
وتخرّج في مدرسة الامام ، اما في الجزء الاول فله هو صعاليك كقوله في الحمر
خمرة قيل انهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس

فهذا البيت صعلوك عند قول ابن الجهم :

مُشْعِشَةً من كف ظبي كأمّا تناولها من خده فأدارها
وقول حافظ (عصروها من خدود الملاح) كلام من لم ينضج في البيان ولا النوق لا
يكاد يُتوهّم معه الا ان في خدود الملاح (خراجات) عصرت وعلى ضد هذا قول
ابن الجهم (تناولها من خده) فهي كلمة اكثر نعومة من ذلك الخد واجل نضرة
وقول حافظ في مدح الخديوي :

يا من تنافس في اوصافه كلي تنافس العرب الامجاد في النسب
فهو صعلوك على بيت ابي تمام

تغايّر الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل
ولا نطيل الاستقصاء فانما يزيد التمثيل حسناً

وكان الشاعر اول نشأته يأخذ في طريقة المعري الذي عمي عن الطبيعة فجعل يخلقه من
فكره ومحفوظه بمبالغات كاذبة يُغرق فيها يحسب انه بذلك يعظم الحقائق فتخرج له الاخيلة
الكبيرة وما يدري انه بهذا الغلو لا يجيء الا بالابطال الكبيرة ولكن حافظ في

مزاجه وتركيبه ونشأته كان رجلاً مبنيًا على الوضوح والقصد فلم يفلح في طريقة المعري ووضوحه كذلك بأعده من الفلسفة وإبهامها ومن الطبيعة والغازها ومن الغزل ووساوسه ، وهو الذي اداه الى الشغف بالحقيقة واستخلاصها في كل اغراضه التي أجاد فيها ، ومن ثم خلا شعره او كأنه خلا من أوصاف الطبيعة في جمالها بلغة الفكر المتأمل ومن اوصاف الجمال في سحره بلغة القلب العاشق

وانت فلا تحسبن الشاعر يحيد في الغزل والنسيب من أنه شاعر يحسن الصنعة ويحيد الاسلوب فيكون غرض من الشعر سيلاً الى غرض وفن عوناً على فن وتكون رقة الالفاظ وهلهلة النسيج وقلبي وكبدى ويا ليلة ويا قرأ ويا غزلاً واشباه ذلك غزلاً ونسيباً . كلاً ثم كلاً والثالثة . كلاً ايضاً . . .

ان الغزل واوصاف الجمال موهبة في الشاعر او الكاتب تسخر لها قوى هي اشبه في معجزاتها بما سخر لسليمان من قوى الجن والريح غير انها قوى آلام ولذات ووساوس . تلك عظيمة في بعض النفوس الشاعرة كعظمة الملوك والابطال غير انها لا تكمل الا خائبة او مغلوبة فاذا انتصرت سقطت . فلا بد لها من تاريخ وحوادث ومزاج عصبي يهيئ لها بروحانية شديدة الحس شديدة الفسورة ثائرة أبداً لا تهدأ الا على توليد معنى بديع في جمال من تحبه او كبراله . ثم اذا هدأت بذلك أثارها انها هدأت فتعود الى التوليد فلا تزال تبتدع وتصف كأنها آلة تعبير تدور بقلب وعصب . هناك قوتان احدهما تؤدي الحب كما يصاح غراماً وعشقاً والاخرى فوق هذه تؤدي الحب كما يصلح فكراً وتعبيراً . والاولى تجعل صاحبها عاشقاً يحب ويدرك ليس غير ، والثانية تجعله محباً عمله ان ينقل من لغة ما في نفسه الى ما حوله ومن لغة ما حوله الى ما في نفسه فهو مترجم النفس الى الطبيعة ومترجم الطبيعة الى النفس . والذي عرفه ان حافظ لم يرزق لا هذه ولا تلك فلا طبيعة فيه للغزل وفلسفة الجمال . ثم ان التاريخ حصره في (الشاعر الاجتماعي) الذي اختار ان يمتاز به فهو في اكثر شعره كان ليس فيه شخص بل فيه شعب مأسور غفل عن الجمال وعن الطبيعة وعن النشوة بهما ، اذ يعيش في معاناة الحرية لا في التأمل الجميل وفي اسباب القوة لا في اسباب الرقة ويريد ان يعمل ليوجد حقيقة قبل ان يعمل ليبدع خياله

ومع ذلك فقد جاء في ديوان حافظ غزل قليل كان كله متابعة وتقليد في فن يحسن التقليد الا فيه خاصة . عمل صدرًا لقصيدة مدح بها الخديوي مطلعها :

كم تحت أذيال الظلام مقيم دامي الفؤاد وليله لا يعلم

وقد ابن ابي ربيعة في حكاية حب لفقها تلفيقاً ظاهراً ثم زعم ان الحبيبة قالت له في آخرها :

فأذهب بسحرك قد عرفتك واقتصد ... فيما تزين للحسان وتوهم
وكلمة صاحبة ابن أبي ربيعة :

اهذا سحرك النسوان ؟ قد عرفتني الخبرا

اهذا سحرك النسوان ؟ هذه كلمة لا تخرج الا من فم حبيته آية في الظرف وفيها تجاهلها
وعرفانها وابتسامها واشراق وجنتيها وأكاد والله ارى فيها تلك الجميلة وهي تدق بيدها على صدرها
دقة الاستفهام المتدلل المتظاهر بالدهشة ليتهد فيه الكلام والمتكلم معاً، اما قول حبيبة حافظ
الخشبية او الحجرية اذهب . . قد عرفتك واقتصد . . . فهذا خليك ان يكون من
فم قاض وهو ينصح المتهم بعد الامر بالاخراج عنه . . . او مأمور قسم عند ضبط الحادثة
اكبر ظني ان روح حافظ نفسه هي التي اوحى الي الآن هذه (النكتة) فانه رحمه الله كان آية
في هذا الباب وله من النوارد محفوظة ومختصرة ما لا يلحق فيه . ولو كان كاتباً على قدر ما
كان شاعراً وزاول النقد واستظهر للكتابة فيه بتلك الملكة المبدعة في التندر والتهمك مع ما
أوتي من القوة في اللغة والبيان — لكانت النعمة قد تمت به على الادب العربي ولقلنا في شعره
وكتابته وأدبه ما قال هو في الاستاذ الامام : فأطلعت نوراً من ثلاث جهات

وما دمنا قد ذكرنا النقد فن الوفاء للتاريخ الادبي ان نذكر مذهب شاعرنا فيه . فلم يكن
عنده منه الا ذوق الكلام وادراك النسبة والنسبوة في الحرف والغلط والجساسة في
اللفظ والضعف والتهافت في التركيب ، ثم ما يجيش في الخاطر او يتلجلج في الفكر من ذوق
المعنى وادراك كنهه والنفاذ الى آثار النفس الحية فيه . فكان النقد هو الحس بالكلام
كما تلمس الحار والبارد وما بينهما . ووصف لي مرة امما عيل صبري باشا وأراد ان يبالغ في دقة
تمييزه وحسن بصره بالشعر وادراكه دقائق المعاني فقال :

« ذواق يا مصطفى » ولم يزد

ومذهب الحس بالكلام هذا وان صلح ان يكون من بعض معاني النقد فلا يتهاى ان
يكون هو النقد بمعناه الفلسفي او الادبي وهو في جملة امره كقولك حسن حسن وردي
رديء. اما كيف كان حسناً او رديئاً وبماذا ولماذا فذلك ما لا سبيل اليه من مذهب (ذواق)
ولا وسيلة له الا العلم المستفيض والاطلاع الواسع والحس المرهف والقدرة المتمكنة مضافة
كلها الى الادب البارع وفلسفته الدقيقة . ولا نعرف لحافظ كتابة في النقد البتة وقد كان حاول
شيئاً من هذا في مقدمة كتابه (ليالي سطيج) فتناول بعض خصومه بكلمات رأى هو ان
يححوها بعد ان طبعت الكراسة الاولى فأسقطها وأعاد كتابة المقدمة وطبعها مرة ثانية وكانت
عندي النسخة التي محاها وهذا ما لا اظن احداً يعرفه الآن . رحم الله شاعراً كان اصني
من الغمام وكان شعره كأنه البرق والرعد



حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر

لحضرة صاحب السعادة الدكتور شاهين باشا

وكيل الداخلية للشؤون الصحية



— ٢ —

سار ابناء واحفاد محمد علي الذين تولوا الحكم بعده على منواله وقطع كل منهم في هذا السبيل شوطاً يختلف عن الآخر تبعاً للموارد التي كانت لديه ووفقاً لمشورة الرجال الذين كانوا يعملون معه حتى اتى الخديوي اسماعيل باشا الذي امتاز عصره بالتجديد في كل النواحي الاجتماعية والمادية وقد تقدمت وفقاً لخطته الاصلاحية الشؤون الصحية تقدماً عظيماً لا سيما وان علم الصحة كان قد خطا خطوات واسعة في عصره مما كان خير معوان له على هذا التقدم وما حلّ القرن العشرون حتى اصبح علم الصحة غير قاصر على مكافحة الوبئة ومراقبة زيادة الوفيات وقيد المواليد بل تعدى ذلك الى الناحية الوقائية وابتدأت النهضة الصحية في مصر بالازدهار على ضوء التقدم الحديث للعلوم والفنون الطبية الذي انبثق فجره في اواخر القرن التاسع عشر لما اكتشفت جرائم الامراض في الانسجة . وان ننس لا ننسى ما قام به باستور من العمل الخالد في اكتشافه اسباب التخمر في سنة ١٨٥٧ وابحاثه في الجراثيم في سنة ١٨٧٧ وفي الطعوم في السنتين من سنة ١٨٨٠ حتى ١٨٨٢ التي هي اساس الطب الحديث . هذا مع ما استنبطه كوخ من المزارع الصلبة والطرق المتقنة لتمييز الجراثيم وقد كان ذلك فتحاً عظيماً في الطب فتتابع الاكتشافات الباهرة التي امتاز بها عصرنا من سنة ١٩٠٥ وفيها اكتشف هتسن لباشلس الجذام ونيمر لميكروب السيلان وابت وجانكي لباشلس الحمى التيفودية واجستن لبزور التقيح وكوخ لباشلس التدرن وباشلس الكوليرا بالقطر المصري وكلبس ولوفر لباشلس الدفتريا وكيتساتو ويرسن لباشلس الطاعون ونيكولاير لباشلس التيتانوس واكتشف لافران في سنة ١٨٨٠ طفيلي الملاريا وهلمّ جرّاً حتى اتت سنة ١٩٠٥ فاكتشف شودن حلزونيّ الزهري ثم اكتشف ان لهذه الجراثيم سموماً تفعل في الجسم وعقب ذلك تحضير بهرنج وكيتساتو مصلاً مضاداً للدفتريا وبهذه الاكتشافات الموفقة وصلنا الى معرفة حقيقة هامة وهي ان الجسم السليم اذا هاجمه ميكروب قد يتأثر بفعل سمومه غير انه يمكن لخلاياه وسوائله ان تقوم بالدفاع عن الجسم باتلاف الميكروب وهضمه وهذا الدفاع يحصل بواسطة مواد مضادة بفعلها لفعل سم الميكروب . وقد سبق ذلك بسنتين كشف متشكوف لفعل الكريات البيضاء في اتلاف الجراثيم وتلا ذلك اكتشافات عديدة كالتلبد

وغیره . ثم في سنة ١٩١٠ أعلن أرلخ اكتشافه لمركب ٦٠٦ الذي يقضي على طفيلي الزهري في جسم الانسان . فما تقدم بيانه نرى ان اول فعل باهر رفع من شأن علوم الطب وفروعها على اقوى الدعائم يرجع الفضل فيه الى باستور الكيماوي وكان ذلك في سنة ١٨٥٧ وكان الفضل في اتمام هذا العمل الباهر لكيماوي آخر وهو أرلخ . ولن تنسى الانسانية مهما كرت الدهور وتعاقبت العصور فضل هذين النابغين عليها

وقد اخذت مصر بنصيبها في تطبيق نتائج هذه المكتشفات لتحسين الحالة الصحية العامة بها لانه متى اكتشفت الجرثومة المسببة للمرض امكن مكافحته بالتغلب على هذه الجرثومة . وقد كان الدافع الى هذا التطبيق بمصر آتياً عن طريقين الاول رغبة اولي الامر في تمدن مصر والاخذ بالاساليب الاوروبية النافعة . والثاني تكرر حدوث الاوبئة بها بسبب وقوعها على حافة البركان كما يقول المثل الاوربي اشارة الى موقعها الجغرافي الذي جعلها على الدوام صلة الاتصال بين ممالك العالم . ومما يذكر في هذا الموطن مع الاغتراب أنه في اثناء نهضة مصر الصحية الحالية وفق بلهارس لاكتشاف ديدان البلهارسيا ولوس لطريق العدوى بها وبديدان الانكستوما وانتهى الامر بالبحث في جميع النواحي الصحية والعمل على تحسينها وبالتالي لرفع مستوى الحياة الصحية لكل فرد من الافراد وللمجتمع المصري كله على اختلاف طبقاته مما كان له اكبر الاثر في تمدن مصر . ولو كانت موارد البلاد المالية سمحت بتمشي مستوى الثقافة العامة مع رقي الصحة العامة خطوة خطوة لبلغت مصر من المدنية شأواً عظيماً ولاستفادت البلاد من الجهود الصحية اضعاف ما تستفيد الآن اذ من البديهي انه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالحالة الصحية بالقطر المصري الآن مرضية فقد كانت نسبة الوفيات في سنة ١٨٨٨ تبلغ ٥٠٦٢ في الالف وفي سنة ١٨٨٩ تبلغ ٥١٦٦ في الالف وكان عدد السكان ٦٨٢٩٦٠٠ بينما انخفضت نسبة الوفيات بالقطر في سنة ١٩٣٠ الى ٢٤٦٤ في الالف وهي اقل نسبة في الخمس والعشرين السنة الاخيرة وعدد سكان القطر الآن نحو الخمسة عشر مليوناً من الانفس ثم ان زيادة نسبة المواليد عن نسبة الوفيات كانت قليلة بينما هي الان عالية جداً ففي سنة ١٨٨٩ كانت نسبة المواليد في القاهرة مثلاً ٥٨٦٨ ونسبة الوفيات ٥١٦٦ لكل الف ساكن بينما في سنة ١٩٣٠ كانت نسبة المواليد في القطر المصري ٤٤٦٤ ولم تتعد نسبة الوفيات ٢٥٦٤ والبولن شاسع بين النسبتين وهذا دليل من اهم الادلة على تقدم الصحة العامة بلا نزاع . اما اذا لوحظ وجود قلة في نسبة المواليد فهذه القلة احد مظاهر المدنية التي تدعو الى الاقلال من تعدد الزوجات ومن الزواج المبكر لكثرة تكاليف الحياة الآن والرغبة في التقليل من النسل لتوفير العناية بالتقليل منه ليسبب الابناء اصحاء ويصيروا اعضاء نافعين في الهيئة الاجتماعية . ومع ذلك فيقابل قلة النسل قلة الوفيات بين المواليد فبعد ان كان يتوفى في السنوات من ١٩٠١ الى ١٩٠٥ : ٢٨٢ : في كل الف مولود انخفض هذا العدد في سنة ١٩٣٠ الى ١٥١ وفاة لكل الف

مولود . . . واذا نظرنا الى هذه النسبة وجدناها عالية لو قرنت بما يقابلها ببعض الممالك الاخرى كإنجلترا او فرنسا ولكن يخفف وطأتها ان نسبة المواليد بمصر اعلى كثيراً مما هي في هذه الممالك حتى ان عدد سكان مصر دائماً في ازدياد فعدد سكان مصر الآن خمسة امثاله في اول عهد نهضة الحديثة أي في اول عصر محمد علي باشا

ومع ذلك فسأله زيادة وفيات الاطفال بالقطر المصري هي من المسائل التي بحثت بحثاً مستفيضاً وقد بدى بالعمل على مكافحتها بافعال الوسائل العملية اذ انشئ في كل عاصمة مديرية مركز لرعاية الطفل وحماية الامومة كما انشئت عدة مراكز بالقاهرة والاسكندرية وانشئت فروع بالمستشفيات العامة لمعالجة الاطفال ومراكز ومستشفيات متنقلة كما ألحقت دور للولادة بهذه المراكز ونظمت زيارات صحية بواسطة زائرات خصاصات لارشاد الحوامل والامهات في طرق العناية وتربية الطفل وغير ذلك من الوسائل الفعالة لمعالجة الامراض الوراثية وتحسين النسل. وقد ألمعنا الى اثر هذه الجهود في نقص نسبة الوفيات. ولا شك ان انتشار التعليم الازامي بين طبقات الشعب سيكون خير معوان على الوصول الى تقليل وفيات الاطفال الى الحد الأدنى ولم يكن اثر الاهتمام بالطفل قاصراً على تقليل نسبة الوفيات بين الاطفال فقط بل المقصود به ايضاً انشاء جيل قوي البنية ذي كفاية للعمل المنتج يعيش الى اقصى مدى مستطاع ولقد ظهرت طلائع هذا الجيل وشواهد ذلك جلية في فتيان اليوم وفتياته . فأتين شباب اليوم من شباب خمسين سنة مضت وخصوصاً شبابت ذاك العهد اذ كن صفراوات هزيلات أو سمينات مترهلات . واما شبان اليوم وشباباته فمتاثرون صحة وعافية اذ يعنى بصحتهم من يوم ولادتهم حتى يخرجوا الى معترك الحياة—واذا ازدادت عناية المصريين بممارسة الالعب الرياضية رجوعاً منهم الى سنة اجدادهم من قبل أصبح محيى هذا الجيل قريباً ولا شك فيه

ولا ازيد القارى بياناً بما اتخذ ويتخذ الآن في مقاومة الاوبئة بل ومنعها فقد اصبحت بعض الامراض ائراً بعد عين كالجدرى كما اصبح البعض الآخر يتقى بالحقن كالدفتريا والحُميات المعوية او يقاوم بسهولة كالطاعون الذي كان الشبح المخيف بمصر كما سبق لنا بيانه في هذا المقال

هذا وقد نثرت معاهد العلاج في كل ناحية من نواحي القطر فلا يخلو الآن مركز من مستشفى ولا عاصمة مديرية من مستشفى عمومي كبير ولا قرية كبيرة من عيادة خارجية مع تيسير وسائل التشخيص بالانشاء المعامل بكل انواعها وتزويدها بالاجهزة المختلفة وتوفير كل طرق المعالجة الحديثة بمعاهد العلاج حتى اصبح بالقطر المصري الآن ٨١ مستشفى عمومياً

ولما كانت مصر منذ القدم موطناً لامراض كالبلهارسيا والانكلستوما وبعض امراض العيون كالرمد الحبيبي وهذه الامراض—علاوة على الملاريا التي فشت في بعض جهات القطر بسبب وجود المستنقعات التي نشأت على الاخص بسبب حفر حفر لاخذ التراب منها لصنع الآجر المستعمل في بناء المخازن بالقرى وعدا عن الزهري والامراض الدرنية—تقلل من كفاية السكان

وتضعف قوة انتاجهم وتهد من كيان الامة بصفة عامة ، فقد وجهت اليها العناية بنوع خاص وانشئت المستشفيات والمستوصفات لمعالجتها وكذلك لمعالجة الجذام كما بذلت الجهود في عمل الابحاث الخاصة بمنشئها وطرق معالجتها المعالجة الناجعة وخصوصاً الانكستوما والبلهارسيا اللذان نشيء معهد خاص لعمل التجارب المتعلقة بمقاومتها فضلاً عن نشر الدعوة ضد هذه الامراض نشرًا مستمرًا بكل طرق الاذاعة المعروفة الآن

ولا يوجد برهان على تقدم المدنية وزيادة الرفاهية في بلد من البلاد اقطع في الدلالة من توفير المياه النقية الكافية للشرب وللاستعمال المنزلي ومنع تلوث المياه وتصريف الفضلات والعناية بالشوارع والطرق وصحة المساكن والتفتيش على الماء كولات وتنظيم الاسواق والاضاءة والنظافة العامة

وقد قطعت مصر شوطاً كبيراً في هذه السبل اذ ان عدد المدن التي توجد بها اجهزة لترشيح المياه اصبح خمساً وثلاثين وعدد البلاد التي بها آبار ارتوازية قد بلغ حتى الآن واحداً وثلاثين وعدد سكان هذه المدن الذين ينتفعون الآن بالمياه النقية هم حوالي ربع سكان القطر المصري . اما امهات المدن الموجود بها مجار عامة فهي حتى الآن ثمان وادارة هذه الاجهزة علاوة على العناية بالنظافة العامة موكولة للمجالس البلدية والمحلية والقروية المنظمة في معظم المدن والبلاد والقرى الكبيرة . وليس من شك في ان المساكن الآن احسن حالاً من التي وصفها المؤرخون وزائر القطر المصري في القرنين الاخيرين وقد مهدت شوارع المدن الكبيرة وعبدت طرق عديدة وعمت الاضاءة بالكهرباء المدن والكثير من البلاد ونظمت اسواق كثيرة للماء كولات وعني الآن بغذاء الانسان بما يلحق للأمن وهي حامل وهي والدته وبما يلحق للتلميذ بالمدارس عن التغذية الصحية وبما ينشر على الجمهور وما انجبت اليه عناية ولاية الامور من المحافظة على نقاوة الطعام بالتشريع الخاص بذلك وبالتفتيش على أماكن تخزينه وبيعه وتحضيره فلا يمكن الآن فتح محل لبيع الماء كولات الا بترخيص بعد تنفيذ مواصفات صحية خاصة . وبعد الترخيص يفتش الاطباء ومعاونوهم المتخرجون في معهد خاص على هذه الأماكن تفتيشاً دورياً منتظماً لضمان سيرها على النظم الصحية

وبسبب نشوء عدة صناعات بالقطر المصري نبتت فكرة العناية بصحة العمال فابتدىء بسن تشريع لذلك وان كانت المصانع خاضعة للتفتيش الصحي منذ عهد النهضة الحديثة بالشئون الصحية العامة . وقد ابتدىء ايضاً في اقامة مساكن صحية للعمال بالاسكندرية والقاهرة ولا شك في ان البلاد سائرة في سبيل نهضة موفقة في الشئون الصناعية تستدعي عناية خاصة بالشئون الصحية للعمال والمصانع

نتائج الجهود الصحية والطبية

ان التقدم المطرد للطب والتقدم الاجتماعي للجنس البشري مهدا السبيل لعدد جم من بني

الإنسان لأن يحيا حياة طيبة ومثمرة وكانت نتيجة الجهود السابق إيضاحها ان ازداد متوسط العمر وان الكثير من الامراض زال تقريباً من القطر المصري كالجدري والبعض قل كالعور والعمى والملاريا ومضاعفات بعض الامراض كالبلهارسيا . فالبلهارسيا الجراحية صارت الآن أقل ثمانى مرات مما كانت عليه في سنة ١٩٢٤ والحصوات البولية ثلاث مرات ونصف مرة والبواسير البولية انخفضت الى الثلث مما كانت عليه في سنة ١٩٢٥

وبالاختصار قد تيسر بوضع زور أسس الحياة الصحية رفع مستوى صحة الافراد رفعاً يبدو للعيان وقد هبطت نسبة الوفيات الى عدد السكان نحو اربعين في المائة عما كانت عليه من خمسين سنة مضت . وقد أصبح في متناول كل انسان من وقت طفولته التحصن ضد الكثير من الامراض كالجدري والدفتريا كما أبعد عنه خطر العدوى من امراض عديدة اخرى ولكن بالرغم من هذه الجهود فانه لا يزال هناك معضلات صحية مصرية في حاجة الى الحل حتى يمكن مع التقدم الاجتماعي والصناعي المنتظر وتعميم التعليم الاجباري ان تصل المدنية الى ارقى مستواها في القطر المصري . وهذه المسائل هي موضع العناية الآن والبعض قد درس فعلاً والبعض الآخر لا يزال في طريق الدرس والمنتظر ان تحل جميع هذه المعضلات وقد أتينا على ذكر أهمها فيما يأتي : —

- ١ — معالجة نقص التغذية في بعض جهات القطر ٢ — معالجة مسألة ادمان المخدرات
- ٣ — العناية بالنسل باستئصال شأفة السموم وغيرها من العوامل التي تؤثر فيه بالوراثة وبذلك يقل عدد الاشخاص الذين لا فائدة منهم للبلد كضعاف العقول وغيرهم ٤ — العمل على تقليل عدد ذوي العاهات وعلى توفير وسائل التعليم ووسائل كسب العيش للموجودين منهم ٥ — توفير المياه النقية لكل سكان القطر على السواء من حضر وريف ٦ — تحسين حالة المساكن في المدن والقرى — وبحل هذه المعضلة يرتفع مستوى الصحة العامة الى درجة عالية جداً لان المسكن غير الصحي يدعو الى ضعف بنية السكان واضعاف قوة مقاومتهم للأمراض فيكثر المرضى وذوو العاهات وترتفع نسبة الوفيات . والمسكن الرديء يدعو بطبيعته الى قذارة المساكن وقذارة ما يحيط بها وما يتبع ذلك من مرض ونقص في الكفاية ٧ — مقاومة البلهارسيا والانكستوما لا بالمعالجة والوسائل الصحية العامة فقط بل بابادة الديدان المسببة لها في مواطنها والهمة مبذولة الى اقصى حد للوصول الى هذا الغرض الهام ٨ — القضاء على الرمد الحبيبي باكتشاف جراثيمه . والبحث قائم بكل همة ونشاط لحل المعضلة التي استعصت على الحل منذ آلاف السنين وليس من شك في أن رفع مستوى الثقافة العامة بين الاهلين يساعد كثيراً على الوصول الى هذا الغرض
- ٩ — التصرف في الفضلات بتعميم المجاري في المدن وحل هذه المعضلة الهامة بالنسبة للقرى ومتى وفقنا الى حل هذه المعضلات الصحية وقطعت البلاد شوطاً بعيداً في مضمار التقدم في مختلف نواحي المدنية تزدهر المدنية في مصر وتبلغ مثلها الاعلى فتعود البلاد سيرتها الاولى

الاحياء المشعة

بحث طريف في العلوم الحيوية الطبيعية

في سنة ١٩٢٣ اعلن العالم الروسي غورفتش Gurvich انه وفق الى كشف غريب . قال :
اذا اخذ جذر بصل (لا يزالي متصلاً بالاصل) ووُجّه الى جانب جذر آخر اثر في نمو
هذا الجذر تأثيراً غريباً . فان خلايا الجذر الثاني في الناحية المواجهة لجذر البصل الاول تصبح
اسرع نمواً من الخلايا التي في الناحية المقابلة

فلقيت هذه الانباء في بادى الامر أعراضاً وريباً في صحتها . فلما اعلن غورفتش ان هذه
التجارب تثبت له وجود « قوة حيوية » تشع من نسيج الجذر زاد الاعراض واشتد الريب .
ثم وجد بعد سنة ان ما ينطلق من الجذر يخترق الكوارتز ولا يخترق الزجاج العادي -
مما حملهُ على الظن بانها اشعة من قبيل الاشعة التي فوق البنفسجي التي تنفذ الكوارتز ولا
تنفذ الزجاج . فنبذ قوله السابق بان ما يخرج من الجذر هو « قوة حيوية » . ولكن
لما استعملت الالواح الفوتوغرافية ، الشديدة الاحساس بالاشعة التي فوق البنفسجي ، لامتحان قوله
لم تتأثر هذه الالواح على الاطلاق بما يخرج من جذر البصل . فتمادى المرتابون في ارتيابهم
على ان هذا الاخفاق لم يقعد غورفتش وتلاميذه عن المضي في تجاربهم . فوجدوا ان

اشياء اخرى غير جذر البصل تفعل هذا الفعل منها العضلات وادمغة الشرافيف Tad-poles
ثم وجدوا ان مستنبتات الخميرة او البكتيريا افعل في الكشف عن هذه الاشعة من غيرها من
الكائنات الحية فيسرع تكاثر الخلايا فيها اذا صوّبت اليها هذه الاشعة الخفية . ومن ثم اخذت
الرسائل العلمية تنهال من معمل غورفتش وتلاميذه فلما مضى على ذلك خمس سنوات جمعت النتائج
التي اسفر عنها البحث وبوّبت ونشرت في كتاب . ودعيت هذه الاشعة بما معناه « الاشعة
الباعثة على انقسام الخلايا Mitogenetic نسبة الى Mitosis وهو مرتبة من مراتب انقسام الخلايا .
ولكن ارتياب الدوائر العلمية لم يتبدّد لان الباحثين الذين جربوا تجارب غورفتش اخفقوا
في الحصول على نتائج مماثلة لنتائجهِ

ثم اخذ تيار المقاومة في الارتداد . وجاءت الانباء من المانيا اولاً ثم من اميركا ان تجارب
فريق من الباحثين ، كلٌّ منهم قام ببحثه على حدة ، اسفرت عن تأييد اهم النتائج التي وصل
اليها غورفتش وتلاميذه . انهم وجدوا ان لا ريب في وجود هذه الاشعة ، وان لها اثر في
استثارة نمو الخلايا ، وانها تعكس وتكسر كاشعة الضوء ، وانها من طائفة الاشعة التي منها
الاشعة فوق البنفسجية . ووجدوا كذلك ان الاشعة التي فوق البنفسجية المولدة بطرق

طبيعية — كالمصابيح المستعملة في معالجة الكساح مثلاً — ليس لها دائماً أثر في زيادة نمو الخلايا. وإذا كان لها هذا الأثر فهي اشعة غير قوية وان الاشعة فوق البنفسجية التي لها أثر بيولوجي لا تفعل قط بلوح من الواح التصوير الضوئي (الفوتوغرافي) وهكذا حلت المسألة فيما يتعلق بارتباطها بتعاون علوم الاحياء وعلوم الطبيعة. اما علوم الاحياء فكانت ممثلة في شخص غورفتش نفسه وأما علوم الطبيعة ففي شخص جوفه Goffé مدير معهد الطبيعة المجردة والمطبقة في لنغراد

فمثلاً استنبطت طريقة كهربائية شديدة الاحساس، تتبين وجود قدر ضئيل جداً من اشعة الضوء او الاشعة فوق البنفسجية. وبهذه الآلة استطاع الباحثون ان يبينوا ان الأثر البيولوجي المنطلق من جذير البصل او العضلة، سببه اشعة من قبيل الاشعة فوق البنفسجية — ولكنها اقصر منها امواجاً — تنبعث في مقادير يعجز عن تبينها لوح التصوير الضوئي. فاذا حسبنا ان اقل قدر من هذه الاشعة يؤثر في لوح فوتوغرافي (د) كان المقدار المنبعث من جذير او عضلة مما له أثر في نمو الخلايا جزءاً من مليون جزء من (د)

ثم ظهر ان هذه الاشعة لها مكان في طيف الاشعة يتبين طول امواجه من ٢٠٠٠ الى ٢٣٠٠ انجسترم^(١). ولبيان ذلك نقول ان الاشعة المنظورة وغير المنظورة سلسلة متصلة الحلقات من الاشعة اللاسلكية اطولها، الى الاشعة التي تحت الاحمر الى اشعة الضوء الى الاشعة التي تحت البنفسجي الى اشعة اكس واشعة غمما والاشعة الكونية. فاذا كان عرض المنطقة التي تشغلها اشعة الضوء م فعرض المنطقة التي تشغلها هذه الاشعة البيولوجية $\frac{1}{7}$ م وأما اقصر من امواج الاشعة التي فوق البنفسجي واطول من اشعة اكس

هاتان الحقيقتان مهدتا السبيل الى فهم جانب آخر من سر هذه الاشعة يدور حول السؤال التالي: لماذا لا تؤثر الاشعة التي فوق البنفسجي المنبعثة من الشمس او من مصدر صناعي — كمصباح القوس الكهربائي — في زيادة نماء الخلايا تأثير هذه الاشعة البيولوجية؟ قلنا ان الاشعة البيولوجية تشغل نطاقاً ضيقاً في منطقة الاشعة فوق البنفسجية ولدى البحث ثبت ان الاشعة التي خارج هذا النطاق الضيق — وان تكن من قبيلها — لا تفعل فعلها في استثارة نمو الخلايا، بل تفعل أحياناً فعلاً مضاداً له اي انها توقف النمو او تؤخره. ولكن اذا فرضنا اننا حصلنا في الضوء الذي تبعثه الشمس او مصباح قوسي على امواج موافقة في طول امواجها لطول الاشعة البيولوجية لم يكن لها نفس الأثر البيولوجي. لان هذه الاشعة لا تفعل هذا الفعل الا اذا كان مصدرها غير شديد التوهج. فاذا كانت الامواج ذات الطول المعين صادرة من مصدر غير متوهج كعضلة او جذير كان فعلها الانمائي شديداً

(١) الانجسترم جزء من عشرة ملايين جزء من المتر

وقد توصل الباحثون الى هذه النتائج بالجمع بين اساليب البحث الطبيعي البيولوجي .
 فبدلاً من الاكتفاء بقطعة من جذير بصل لقياس اثر هذه الاشعة في انماء الخلايا عمودجوفه
 Joffé ازوسي الى مستنبت بكتيري واستعمله بدل جذير البصل . ذلك ان قياس نمو الخلايا
 في المستنبت اسهل منه في الجذير . ففي الجذير يجب ان نأخذ شرائح من الجهة المقابلة للاشعة
 والجهة البعيدة عنها ودرسها بالمكروسكوب لتحسين سرعة نمو الخلايا في الجهة المقابلة للاشعة
 بالنسبة الى سرعة نموها في الجهة الاخرى . اما في المستنبت البكتيري فتحقيق ذلك سهل
 المثال . فاذا صوبت شعاع ضوء الى المستنبت فرقتها الكائنات البكتيرية يمينا ويساراً . ومقدار
 الضوء المتفرق يزداد بزيادة البكتيريا في المستنبت ويقل بقلتها . وهكذا استعمل جوفه قوة
 الضوء المتفرق مقياساً لفعل الاشعة الحيوية في انماء البكتيريا . وقد وجد غورفتش حديثاً
 ان الخلايا في دور معين من حياتها تستطيع ان تتناول الاشعة الحيوية التي تطلقها جذور البصل
 مثلاً ثم تطلقها اقوى مما تناولتها فكانها جهاز التلفون الذي يضعف امواجه في حديث بين
 بلدين بعيدين (Relay) والظاهر ان هذه الاشعة لا تنطلق الا من طبقة رقيقة سطحية من
 الخلايا في كائن ما . واذا فليس حيوان ذي بشرة ان يطلقها لان بشرته تمنع خروجها
 ولهذا الاشعة احياناً آثار غريبة . فالاشعة المنطلقة من قلب سمكة اذا صوبت الى بيض
 قنفذ بحري (توتياء او رتسا) غير ملقح ، خطأ هذا البيض الخطوة الاولى نحو التناسل
 العذري (اي التناسل من دون تزاوج Parthenogenesis) اما الاشعة الحيوية المنبثقة
 من البكتيريا فتجعل بيض البعوض المستكن ينقف قبل مياعده واذا صوبت الى بيض القنفذ
 البحري احدثت في بناء دعاميصه شذوذاً غريباً . وقد وجدت طائفة من الباحثين في العلوم
 البيولوجية ان الكائنات ذات الخلية الواحدة اسرع تكاثراً اذا كانت طوائف في قطرة من
 السوائل المغذية منها اذا كان كل منها منفرداً في القطرة حتى ولو وضع في اكثر الاحوال مؤاتة
 لنموه . ولعلنا نجد تعليل هذه الظاهرة في ان الاشعة الحيوية تنطلق من افراد الطائفة الواحدة
 فيحفز بعضها بعضاً الى النمو . ولعل الاثر نفسه يتم في المراتب الاولى من نمو خلية ملقحة
 ثم اثبت جوفه واعوانه ان اشعة مثل هذه الاشعة — نوعاً وقوة — تنطلق من مواد
 غير عضوية خارج الجسم في اثناء تفاعلها الكيميائي . وعليه فانطلاقها من جذور البصل وخلايا
 الخميرة او عضلات الفقاريات ليس صفة حيوية خاصة بل مصدره افعال كيميائية معينة لامندوحة
 عنها للجسم الحي . فكان هذه الاشعة نفاية من نفايات الحياة . ولكن الطبيعة لا تغفل عن
 استعمالها كما حدث في السمك الكهربائي والاحياء المضيئة . فان الكهرباء والضوء فيها نتيجة
 تفاعل في اجسام هذه الحيوانات فاستعملتها الطبيعة في ميدان التطور . ولعل الطبيعة تستعمل
 كذلك هذه الاشعة في اسراع انقسام الخلايا وتنسيق النماء

قلب راقصة

— ١ —

امسيت اشكو الضيق والأيننا مستغرقاً في الفكر والسأم
فضيت لا ادري الى ايننا ومشيت حيث تجرني قدمي
فرايت فيما ابصرت عيني ملهى أعدّ ليهيج الناسا
يجلون فيه فرائد الحسن ويباع فيه اللهو أجناسا
بغرائب الألوان مزدهر وراه بالاضواء مغمورا
فقصدته عجلاً ، ولي بصر شبه الفراشة يعشق النورا
ودخلته اجتاز مزدحماً بالناس افواجاً وأفواجا
وأخوض بحراً بات ملتطماً بالخلق امواجاً وأمواجا
فقدوا حجام حينما طربوا ودووا دوي البحر صخباً
فاذا استقروا لحظة صخبوا لا يملكون النفس اعجابا
متوثبين يميل صفهم متطلع الأعناق يتقد
ومصفقين علت أ كفههم فوارة فكأنها الزبد
لم لا اصيح كمثل صيحتهم لم لا أجرب ما يحبونا
لم لا اثور كمثل ثورتهم لم لا أضج كما يضحونا
لم لا تذوق كؤوسهم شفتي ان الحجي سمي وتدميري
في ذمة الشيطان فلسفتي ورزانتى ووقار تفكيري
يا قلب ضقت وها هنا سعة ومجال مختبل بأغلال
أتقول اعمار مضیعة ماذا صنعت بعمرک الغالي
أنظر ترى السيقان عارية وترى الخصور ضوامراً تغري
وترى عيون اللهو جارية فهنا الحياة وأنت لا تدري

من هاته الحسناء يا عيني السحر ظللها وكللها
 كالطير من غصن الى غصن وثابة وثب الفؤاد لها
 فاذا تثنت فهي زئبقة رجراجة العطفين والكفل
 واذا تأنت فهي زنبقة ضحاكة للعارض الهطل
 وراه حسناً غير كذاب لا ما يزيّفه لك الضوء
 ويزيد فتنها باغراب حزن وراء الحسن مخبوء
 ثم اختفت والجمع يرقبها ويلح «عودي» ليس يرحمها
 هي متعة للحس يطلبها وأنا بروحي بت افهمها
 ورأيها في آخر الليل في فتية نصبوا لها شركا
 يعلمو سناها الحزن كالظل مسكينة تتكلف الضحكا
 فضيت توأقلت «سيدتي» زنت المسارح أيما زين
 هل تأذنين الآن ساحرتي تأكيد اعجابي بكأسين
 فتمنعت وأنا ألح سدى بالقول أغريها وأنتظر
 واستدركت قالت اراك غداً ان شئت اني اليوم اعتذر
 وتحولت عني لرفقتها ما بين منتظر ومرتب
 فتانة تغري ببسمتها وتحدّد الميعاد في ادب

- ٢ -

حان اللقاء بغادتي وأنا اخشى سراياً خادعاً منها
 متلهفاً استبطىء الزمنا وأظلّ أسأل ساعتي عنها
 وأجبل عين الريب ملتفتا متطلعاً للناس حيرانا
 وأقول ما يدريك اي فتى هي في ذراعي حبه الآنا
 وهممت بعد اليأس ان امضي فاذا بها تختال عن بعد
 ميّزتها بشبابها الغض وبقدّها افديه من قدّ
 يا للقلوب الملتقى اثنين لا يدريان لأيما سبب
 جمعتهما الدنيا غريبين فتآلفا في خلوة عجب

عجباً لقلب كان مطعمه طرباً فكان الامر بالعكس
وأشد ما في الكون اجمعه بين القلوب أوامر البؤس
من أنت يا من روحها اقتربت مني وخاطب دمعها روعي
صبتّه في كأسِي وما سكبت فيه سوى أنات مذبح
عجباً لنا في لحظة صرنا متفاهمين بغير ما أمد
يا من لقيتك امس هل كنا روحين ممتزجين في الأبد
هاتي حديث السقم والوصب وصفي حقارة هذه الدنيا
اني رأيت أسالك عن كسب ولمست كربك نابضاً حياً
تجدين فكرك جد مبتعد والقوم نحو سنالك دانونا
وترين حالك حال منفرد والناس كثر لا يُعدّونا
وترين انك حيثما كنت ترضين خوّانين انذالا
يبغونه جسداً فان بعث بذلوا النضار، وأجزلوا المالا
يا حرّها من دمة سالت من فائك الالحاظ مكحول
وعذابها من وحشة طالت وحنين مجهول لمجهول
افنيت عيشك في تطلّبه ويكاد يا كل روحك الملل
فاذا بدا من تعجيبين به وتصيح روحك انه الامل
اضنيت قلبك في تقربه ويروح يرخص دونه دمة
فاذا ظننت بأن ظفرت به فازت به من ليس تفهمه
سكنت وقد عجبت لخلوتنا طالت كإنا جدّ عشاق
وأقول يا طرباً لنشوتنا صرعي المدامة والاسى الساق
افديك باكية وجازعة قد لقها في ثوبه الغسق
ودّعها شمساً مودعة ذهبت وعندي الجرح والشفق
تمضي وتجهل كيف اكبرها اذ تحتفي في حالك الظلم
روحاً اذا أمت يطهرها ناران : نار البؤس والالم

الحياة الاجتماعية في الحيرة

مقال مستل من كتاب « الحيرة : المدينة والمملكة العربية »

تأليف يوسف رزق الله غنيمة

وزير مالية العراق سابقاً

ليس من السهل الهين ان يقدم المؤرخ على وصف الحياة الاجتماعية ويصور بقلمه مناظر العيشة اليومية في بلد انطوت اخبارها منذ مئات من السنين ودالت دولتها قبل اربعة عشر قرناً وعبرت الايام بمجافل الخطوب على آثارها ففقت عمرانها ودرست معالم عزّها ولم يرو لنا الرواة من انباء اجيالها الغابرة الا نتفاً مبعثرة بين مطاوي الشعر وثنايا النثر ولهذا تأتي ولا جرم هذه الصورة ناقصة مبتورة ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله

سُور اجتماعية متنوعة

كانت تحية الملوك عندهم عم صباحاً وانعم صباحاً وابيت اللعن . وقد وردت هذه التحية في كثير من اخبارهم سواء كانت مجملة كما قال الحرث بن ظالم للنعمان بن المنذر لما دخل عليه في قصر ابن مقاتل ^(١) او منفردة انعم صباحاً لوحدها وابيت اللعن لوحدها والعبارة الاخيرة اخص بالملوك وقد جاءت في كثير من اشعارهم قال الذبياني يعتذر الى النعمان ويمدحه ^(٢) أناني ابيت اللعن انك لمتني . وتلك التي اهتم منها وانصب

ولما جاء الاسلام عوض هذه التحيات بين المسلمين بغيرها واكتفوا بقولهم « السلام عليكم » وكان من عادة ملوك العرب ان تزد خريزة في تاج الملك كلما مضت سنة من سني ملكه . وكان يقال لتلك الخريزات خريزات الملك ولما بلغت خريزات النعمان بن المنذر اربعين اشخصه كسرى ابرويز الى حضرته لهنات نغمها عليه ثم امر بقتله واياه عنى لبيد بن ربيعة بقوله: رعى خريزات الملك عشرين حجةً وعشرين حتى قيد والشيب شامل ^(٣)

وكان ملوك الحيرة يهدون الى فرسان العرب الرماح كما يهدي اليوم الملوك الى القواد سيوفاً .



يوسف رزق الله غنيمة
وزير مالية العراق سابقاً وصاحب كتاب « الحيرة: المدينة والمملكة العربية »
الذي نشرنا منه هذا الفصل

امام صفحة ٢٨٩

مقتطف اكتوبر ١٩٣٢

فبعث النعمان بن المنذر باربعة رماح فاخذ ابو براء عامر بن مالك رحماً وسامة بن طارقة اللحام رحماً (وهو جد الاخطل) وانس بن مدركة رحماً وعمرو بن معديكرب رحماً^(١). وكان المناذرة يقابلون الناس من وراء ستور تحجز بين الزائر والمملك فكلما كان الوافد على المملك وضعياً زاد عدد الستور حتى يبلغ سبعة وكلما زادت مكاتته قل عددها حتى ان رفيعي المنزلة كانوا يقابلون المملك بلا ستر وربما حجزت هذه الستور الوافدين المصايين بالجذام فقط

وكانت الوفود تقف من قبائل العرب على المناذرة وكانوا يتخذون لهم عند انصرافهم مجلساً يطعمون فيه ويشربون وكان اذا وضع الشراب سقى المملك فمن بدىء به على اثره فهو افضل الوفد. وكانت القينة تقوم بالسقاية وتفضل من الوفد اشد منهم فن ذلك ما نقله ابو عبيدة عن النعمان بن المنذر فقال قدم عليه وفود ربيعة ومضر بن نزار وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكريان وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس ابن عيلان عامر بن مالك وعامر ابن الطفيل ومن تميم قيس بن عاصم والاقرع بن حابس فلما انتهوا الى النعمان اكرمهم وحباهم. واقام لهم مجلساً عند انصرافهم على عادته. فبعد ان سقى الشراب قامت القينة تنظر الى النعمان من الذي يأمرها ان تسقيه اولاً وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ساعة ثم اطرق ثم رفع رأسه وهو يقول :

سقي وفودك مما انت ساقيتي فابدي بكأس ابن ذي الجدين بسطام
اغر ينمي من شيبان ذوانف حامي الذمار وعن اعراضها رامي
قد كان قيس بن مسعود ووالده تبدا الملوك بهم ايام ايامي
فارضوا بما فعل النعمان في مضر وفي ربيعة في تعظيم اقوام
هم الجحاجم والاذناب غيرهم فارضوا بذلك او بوؤا بارغام^(٢)

وكانوا اذا ارادوا ان يقيموا عهداً يضعون اليد باليد قال المملك عمرو بن هند لعوف بن مُحَسِّن لا اعفو عن مروان القرظ بن زنباع حتى يضع يده في يدي قال عوف يضع يده في يدك على ان تكون يدي بينهما. فاجابه عمرو بن هند على ذلك وهذه اليد الثالثة بمثابة وساطة وحكم عند وقوع الخلاف او كما تقول اليوم الاتفاق المثلث^(٣) ومن عاداتهم اذا توسط المملك بين قبيلتين او اكثر لعقد صلح او ازالة ضغائن اخذ من كل قبيلة رهائن فتى التوى احد منهم بحق صاحبه اقاد من الرهن^(٤)

(١) الاغاني ٧ : ١٦١ (٢) العمدة ٢ : ١٧١ ولا بد من التنبيه هنا ان كثيراً من اشعار الفاخرة وضعها اناس من القبيلة على السنة الملوك او على السنة خصومهم لرفع شأن قبيلتهم بهذه الصورة . وتظهر مسحة الوضع والتلفيق على هذه الايات ايضاً (٣) الميداني : في شرح مثل « اوفى من عوف بن محلم » ٢٢٣ : ٢ (٤) الاغاني ٩ : ١٧٢

الحرب

يجدر بنا هنا ان نبعث بنظرة الى حروبهم فقد كانوا يقسمون جيشهم ميمنة وميسرة وقلبا كما يقسم الجيش اليوم في تعبته^(١) وكان للنعمان بن المنذر خمس كتائب وهي :

١ : الرهائن فانهم كانوا خمسمائة رجل رهائن قبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجيء بدلم خمسمائة اخرى وينصرف اولئك الى احيائهم فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره ويحق لنا ان نسميهم نظراً الى هذا الوصف العسكر الخاص اما تبديلهم فكان يأتي للملك عند رأس كل سنة وذلك ايام الربيع وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد سير لهم اكلًا عنده وهم ذوو الآ كال فيقيمون عنده شهراً يأخذون آكلهم ويبدلون الرهائن وينصرفون الى احيائهم

٢ : الصنائع وهم بنو قيس وبنو تيم^(٢) اللات ابني ثعلبة وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه ويسوغ لنا ان نسميهم حرس الشرف

٣ : الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك (اي الملك الساساني) بالحيرة نجدة لملك العرب وكانوا يقيمون سنة ثم يأتي بدلم الف وينصرف اولئك

٤ : الاشاهب^(٣) فهم اخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم وسموا الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه

٥ : دوسر فانها كانت اخشن كتائبه واشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة سميت دوسراً اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها^(٤).

وقد اتخذ الحيريون كل سلاح في الجاهلية من سيوف ورماح ونصال واقواس وسهام ودروع وخوذ وادراق مما جاء وصفه في كتب اللغة والاشعار واخبار حروبهم^(٥)

وفي ابان الفتح الاسلامي استعمل الحيريون الخزازيف ورموا بها المسلمين من القصر الابيض . وكان رأس القصر ممتلئاً رجالاً متعلقين الخزازيف وهي المداحي من الخنزف^(٦)

(١) الطبري ٢: ١٥٤ (٢) اخذنا وصف كتائب النعمان من مجمع الامثال للميداني ٧٨: ١ في مثل « ابطش من دوسر » ولكن ابن الاثير في كامله ٢٦٨: ١ يقول ان الوضائع كانوا شبه المشايخ من العرب ونظنه الاصح (٣) نرى الاشاهب مشتقة من الشها وهي الكتبية التي بعثها ملك الفرس الى النعمان الاول اما تحليل العرب اسم الشها كما جاء في المتن فلا نظنه صحيحاً بل نذهب الى ان الكلمة فارسية مؤلفة من لفظين فارسيين هما « شاه » بمعنى « الملك » و « باي » بمعنى القدم ومفادها « موطأ الملك » (٤) وكذلك نقول في معنى « دوسر » فانها مؤلفة من « دو » ومعناها « اثنان » « سر » ومعناها « رأس »

(٥) راجع المحقق لابن سيده ١٦: ٦ — ٩١ (٦) الطبري ١٢: ٤

ويظهر ان فرسانهم كانوا مسلحين بالسلاح الخفيف في محاربتهم الروم الى جنب الفرس^(١) ومعظم وقائهم كان اما انتصاراً للفرس او للغزو والسلب وعلى كل حال فانه ليس للفتح والتدويع وتثبيت سيادتهم ومد ملكهم . وكانوا يرفعون شمعاً امام الملك في الحرب^(٢) وكانت فدية الملك اذا اسر الف بعير ومثلها دية ابنه اذا قتل . وقد دفع سيار بن عمرو بن جابر الفزاري او اخوه الحارث للملك الاسود دية ابنه شرحيل الف بعير^(٣) وكانوا يرهنون القوس بالدية حتى يتم دفعها وفي ذلك قال شاعرهم :

ونحن رهنا القوس ثمة فوديت بألف على ظهر الفزاري اقرها
بعشر مئين للملوك وفي بها ليحمد سيار بن عمرو فاسرها^(٤)

آن لنا بعد ان اثقلنا السمع بالحرب والضرب وقبضنا النفس بالكراع والسلاح والغزو ان نطرق موضوعاً يزيل الكربة ويسري الغمة . واي موضوع احق بهذه المزية من البحث في

المرأة

تظهر لنا هذه المرأة معتزلة اجتماعات الرجال تتخمر وتأكل وحدها وقد توصلنا الى هذه الاستنتاجات من مرويات الشعراء والمؤرخين . قال النابغة الذبياني لما رأى المتجرّدة امرأة النعمان وقد سقط نصيفها وهو الحمار فاستترت بيدها وذراعها فكادت تستر وجهها لعلها

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتسنا باليد^(٥)

ولما استزار عمرو بن هند ملك الحيرة عمرو بن كلثوم وامه دخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت امه ليلي على هند في قبة من جانب الرواق فاكل الرجال وحدهم واكلت النساء في قبتهم^(٦)

ومن البراهين على صحة قولنا في تستر المرأة الحيرية ما جاء في ابيات لعدي ابن زيد :^(٧)

بنات كرام لم يربن بضرة دحي شرقات بالعبير روادما

يسارقن من الأستار طرفاً مفترأ ويبرزن من فتق الخدور الاصابعا

وكانت الحيرية تميل الى الخضاب والطيب والكحل والتجمل والتزين وما اكثر حببنا

على هذه الاقوال ومنها قول النابغة في المتجرّدة^(٨)

بمخضب رخص كأن بنانه عَمَّ يكاد من اللطافة يُعَقِّدُ

(١) ساكس : تاريخ فارس بالانكليزية ١ : ٥٠٣ (٢) ابن الاثير ١ : ٢٢٥ (٣) الاغانى ١٠ : ٢٤

(٤) الاغانى ٣ : ٣١١ — ٣١٢ (٥) الاغانى ٩ : ١٧٥ (٦) الاغانى ٩ : ١٧٥ (٧) الاغانى

٣٨ : ٢ (٨) الاغانى ٩ : ١٥٧

ومن ذلك ما جاء في ابيات لعدي بن زيد^(١)
ينفح من اردائك المسك والهندي والغار ولُبْنَى قَفُوص
وقال عمرو بن معدي كرب في الكحل الحاري^(٢)

كَأَنّ الأَثَمَدَ الحَارِي مِنْهَا يَنْسِفُ بِحَيْثُ تَبْتَدِرُ الدَّمُوعُ
وَأَمَّا تَجْمَلُهُنَّ وَزَيْنَهُنَّ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُمَا الشَّيْءُ الْكَثِيرُ فِي الْأَشْعَارِ وَمِنْهَا:
وَحَرٌّ الزَّبْرَجْدُ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْثِ زَانِ الْعُقُودَا
يَفْصَلُ يَاقُوتُهُ دَرَّهُ وَكَالْجَرِّ ابْصَرْتُ فِيهِ الْقَرِيدَا^(٣)
وقال عدي بن زيد^(٤)

وَاحُورَ الْعَيْنِ مَرْبُوبٍ لَهُ غُصْنٌ مُقَلَّدٌ مِنْ نِظَامِ الدُّرِّ تَقْصَارَا
وقوله في قصيدة أخرى^(٥)
زَاهُنٌ الشُّفُوفُ يَنْضَحُنْ بِالمَسْكِ وَعَيْشٌ مُعَانِقٌ وَحَرِيرٌ

وَكَقُولِ النَّابِغَةِ فِي الْمَتَجَرِّدَةِ^(٦)
وَالنَّظْمِ فِي سَلَكِ يَزِينَ نَحَرَهَا ذَهَبٌ تَوَقَّدُ كَالشَّهَابِ الْمَوْقَدِ
وَكَقُولِ النَّابِغَةِ أَيضاً^(٧)

تَرَائِبٌ يَسْتَضِيءُ الْحَلِيُّ فِيهَا كَجَمْرِ النَّارِ بُذْرٌ بِالظَّلَامِ
كَأَنَّ الشَّدْرَ وَالْيَاقُوتَ مِنْهَا عَلَى جَيْدَاءِ فَاتَرَةِ الْبُغَامِ
ومما يدل على تزيينهن بمختلف الحجارة الكريمة قول المرقش الأصغر في جسيبة فاطمة بنت المنذر:

تَحْلِينُ يَاقُوتَا وَشَدْرَا وَصَيْغَةً وَجَزَعًا ظَفَارِيَا وَدُرًّا تَوَانِمَا^(٨)
وقول لقيط بن ذرارة^(٩):

فِيهِنَّ أَرْجَةٌ نَضَحَ الْعَبِيرُ بِهَا تَكَسِي تَرَائِبَهَا شَدْرًا وَمَرْجَانَا
وقد استعملت الحيريات الوديلة وهي مرآة الفضة وقال المرقش الأصغر مشبهاً بها نعومة خدّ حبيته فاطمة بنت المنذر:

أَرْتَكُ بِذَاتِ الضَّالِّ مِنْهَا مَعَاصِمًا وَخَدًّا أَسِيلًا كَالْوَدِيلَةِ نَاعِمًا^(١٠)
وقد عرف العرب هذه المرايا ومن أسماها عندهم السجج قال امرؤ القيس في معلقته^(١١)

(١) شعراء النصرانية ٤٧٠ (٢) معجم البلدان مادة « حيرة » (٣) الاغانى ٢ : ١١٨
(٤) شعراء النصرانية ٤٦٩ (٥) كذلك ٤٤٥ (٦) كذلك ٦٤٣ (٧) كذلك ٧١٣
(٨) الاغانى ٥ : ١٨٥ (٩) الاغانى ١٩ : ١٣١ (١٠) كذلك ٥ : ١٨٤
(١١) شرح المعلقات ص ٢٢ الترائب ج تربية وهي موضع القلادة للصدر

مفهمة بيضاء غير مُفَضَّة تراثها مصقولة كالسَّجَنَجَل
وكانت البنات يتزوجنَّ وهنَّ حديثات السنَّ . فزفت هند بنت النعمان بن المنذر ابن
امرىء القيس الى عدي بن زيد ولها حينئذ احدى عشرة سنة ^(١) وكان عرب الحيرة شديدي
التمسك بالنصرة القومية لا يريدون زواج بناتهم من الاعاجم حتى ان النعمان ملك الحيرة رفض
كسرى لما طلب من بناته واخواته وبنات عمه واهله زوجات لأمرأ البيت المالك من
الساسانيين لأن العرب كانوا يتكرمون عن العجم ^(٢) وكانت بعض المؤسرات يتزوجنَّ من
شئ من الرجال ^(٣) وكان يقصد من المصاهرة بين رؤساء القبائل والملوك انقطاع الحرب وازالة
الضغائن من بينهم وهذه الغاية خطب الحرث بن ابي شمر جيله بن الحرث الاعرج الغساني الى
المنذر بن المنذر اللخمي ابنته هنداً على ما رواه ابن الاثير ^(٤)

وكان تعدد الزوجات معروفاً بين اهل الحيرة ليس بين المجوس او من كان على دين الجاهلية
بل حتى بين المسيحيين منهم . قال المطران ادى شير ^(٥) عن اصلاح الجاثليق مار آبا ^(٦) ان
الشقاق بطل من الكنائس بهمة هذا الجاثليق غير ان الشرور المتولدة منه كانت باقية فان
كثيراً من المسيحيين تراخت سيرتهم وضعف ايمانهم فاقتدوا بالمجوس واليهود والوثنيين
وتزوجوا نظيرهم بأمرأتين او بأمرأة الاب او بعمتهم او بخالتهن او كننهم او بأمرأة اخيهن
وهلمَّ جرأ فأصدر مار آبا منشوراً عنوانه «تدبير الافعال الصالحة» حرَّم فيه هذه الافعال ^(٧)

ما كل المجريين

أما حياة الرجال في الحيرة فقد تطرقنا الى مهنتهم وحرفهم في البحث في الصناعات وآلات
الطرب والعزف والأغاني ولكن هناك مناحي أخرى من حياتهم نود معالجتها هنا . فانهم كانوا
يقيمون الافراح في اعراسهم وينشدون الاغاني ويغنون الأصوات وكانوا يقولون عن مغنيهم
حينئذ بطة اعراسهم ^(٨) وكانوا يقيمون الولائم والمآدب ويضعون طعاماً من السمك وما
صيد من وحشها من ظباء وانعام وأرانب وحباري وغيرها ^(٩) وكانوا يخبزون خبز الرقاق قال
عدي بن زيد وهو بالشام يتشوق الى الحيرة ^(١٠) :

(١) الاغاني ٣٠:٢ (٢) شعراء النصرانية ٤٦٩ (٣) الاغاني ١٦ : ٩٩ (٤) الكامل
٢٢٤ : ١ (٥) تاريخ كادو انور ١٧٩ : ٢ (٦) جاثليق المدائن من سنة ٥٤٠ — ٥٥٢
(٧) شابو : كتاب السندوسات ٨٠ — ٨٥ (٨) الاغاني ١٢٠ : ٢ (٩) الاغاني ١٢١ : ٢
(١٠) الاغاني ١١٩ : ٢

ليت شعري متى تحب بي الناقة بين السدير والصنين
محقباً ركوة وخبز رفاق وبقولاً وقطعة من نون

وجاء في اخبار وقعة اليس على الفرات ان خالد بن الوليد وقف على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه فتعشى به المسلمون وجعل من لم ير الرقاق يقول ما هذه الرقاق البيض... (١)
ومن ما كلهم المضيرة وهي اكلة تطبخ باللحم وقد أعدّها حنظلة الطائي وقدمها الى المنذر ابن ماء السماء عند ما اضافه في يوم كان يصيد فيه (٢). ومنها الهلام بضم الهاء او فتحها (٣)
طعام من لحم عجلة بجلدها او من لحم مهر وقيل من مرق السكباج المبرّد المصفى من الدهن (٤)
ومنها ايضاً الأقط وهو الجبن المتخذ من اللبن الحامض. جاء في الاخبار كان لزيد بن عدي من العرب وظيفة موظفة في كل سنة مهران اشقران يجعلان له هلاماً والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقط والأدم وسائر تجارات العرب (٥)

وعلى ذكر الكمأة نقول ان الحيريين كانوا ولعين بأكلها فيخرج الرجال والنساء والاولاد الى البرية لاجتنائها ويتهادونها رطبة ويابسة وقد جاء عن عمرو بن عدي انه خرج مع الصبيان لاجتناء الكمأة وكان الغلمان اذا اصابوا الكمأة الطيبة اكلوها واذا اصابها عمرو جناها ثم اقبلوا الى منازلهم يتعاودون وهو معهم يقدمهم ويقول مخاطباً خاله جذيمة الابرش:
هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده الى فيه (٦)

وجاء في اخبارهم (٧) ان امرأة كانت تبني الكمأة بأدنى مياه بني دارم فذهبت وأخبرت سيدهم درارة بن عدس باقبال بني عامر وعسكر النعمان في تلك الحرب المعروفة عند العرب بيوم رحرطان

والتمر من طيب ما كل الحيريين لابل العراقيين طراً وقال شريح ابن اوس يهجو ابا المهوس الاسدي: (٨)

وعيرتنا تمر العراق وبره وزادك
وعرفوا اكل الخبيص قال الفرزدق (٩)

تفهيق بالعراق ابو المثني وعلم قومه اكل الخبيص
هذه نبذة موجزة في بعض ما كل الحيريين اتينا على بيانها وهناك طائفة كبيرة من المآكل كاللحوم المشوية لا سيما لحم الناقة والابل ومنها السويق والكوامخ وأنواع الخلاء كالفلودق واللوزينج والزلابية والقطائف وغيرها فغيرها مما عرفه العرب عامة او مما أخذه

(١) الكامل لابن الاثير ٢: ١٦٣ (٢) شعراء النصرانية ٨٩ (٣) اللسان والحكم والتعذيب والتكملة (٤) تاج العروس (٥) الاغانى ٢: ٢٧ (٦) الطبري ٢: ٣٠ (٧) ابن الاثير ١: ٢٣٢ (٨) كتاب الحيوان للجاحظ ١: ١٢٩ (٩) كذلك ٥: ٦٤

فريق منهم من الفرس او من غيرهم مما جاء ذكره في كتب اللغة او الاشعار (١)
 ونزع الحيريون الى الترف والفروسة في آن واحد وأمر فتيان الحيرة مشهور قال
 الاصهباني (٢) كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيات فكان اذا حمل
 الرياحين الى بيوت الفتيان والمياسير واصحاب القيان والمطربين في الحيرة ورأوا رشاقته وحسن
 فده وحلاوته وخفة روحه استحلوه وأقام عندهم وخف لهم فكان يسمع الغناء ويشتهي
 ويصغى اليه ويستمتع ويطلب الاصغاء اليه حتى شدا منه اصوات فأسمعها الناس. وكان مياسير
 اهل الحيرة يتفننون في اتخاذ الاثاث النفيس والرياش الثمين فكانوا يتخذون بالرقم من
 الفرش اشياء ظريفة (٣) ويتخذون اواني الذهب والفضة للاكل (٤) والقلاوي للماء والاواني
 للخمر من صنع الحيرة نفسها ويخدمهم في مآدبهم الاحرار والعبيد ويحييون بالرياحين (٥)
 ونام ذلك القوم على فرش الحرير فوق الاسرة المجللة بالكال قال عدي بن زيد (٦)
 ثنائيات قطائف الخبز والديسباج فوق الحدود والانماط
 وقال ايضاً (٧):

بينما هم على الاسرة والانماط افضت الى التراب الملود
 وقال النابغة الذبياني (٨)

قامت تتراءى بين سجنفني كلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد
 وكان من عاداتهم اتخاذ المجامر للبخور قبل النوم (٩) ويبخرون أجسادهم وشعور رؤوسهم
 ولحاهم (١٠) واستعملوا المسك والعنبر قال شاعرهم (١١)

تنفح بالمسك ذفاريهم وعنبر يقطبه القاطب
 ويتباهون بتقديم الخمر الى الضيوف قال الشاعر في مدح المناذرة (١٢) وقهوة ناجودها ساكب
 « للفصل تمة »

(١) راجع المخصص ١٢٥: ٤ — ١٢٩ و ١٠ : ٥ و ١٤ و ٢٥ والعقد الفريد ٤ : ٢٩٢ وكتاب
 الحيوان للجاحظ والساق على الساق لفارس الشدياق ٩٢

(٢) الاغانى ١١٨: ٢

(٣) الاغانى ١٢١: ٢

(٤) الاغانى ١٦٥: ٩

(٥) الاغانى ١٢١: ٢

(٦) معجم البلدان مادة «ملطاط»

(٧) شعراء النصرانية ٤٧١

(٨) كذلك ص ٦٤٣

(٩) الاغانى ١٦ : ٩٩

(١٠) كذلك ١٩ : ١٣١

(١١) معجم البلدان مادة «دبرهند الكبري» (١٢) كذلك

أثر الاساطير

في قصة خروج بني اسرائيل

لنأشرف سبغين

لم يكشف الى الآن في الآثار شيء عن بني اسرائيل الا لوحة عليها اسم منفتاح ذكر فيها بعد الاشارة بانتصاراته على الليبيين انه استأصل شأفة بني اسرائيل . وقد استنبط بعض علماء الآثار من ذلك ان هذا الفرعون هو الذي طردهم لكن يذهب آخرون الى ان هذه العبارة انما يقصد بها حرب انتصر فيها هذا الفرعون عليهم في بلادهم اي فلسطين ويخلصون من ذلك الى القول بان خروجهم كان قبل منفتاح بزمن طويل . ومن هؤلاء الاستاذ توماس روبنسون مدرس اللغات السامية بجامعة جنوب ويلز ومحور الفصل الخاص بالخروج في دائرة المعارف البريطانية. فمن رأيه ويشاركه فيه على قوله كثير من العلماء ان بني اسرائيل هم اما قوم «خايرو» احد الشعوب الاسيوية التي جاء ذكرها في اللوحات التي عثر عليها في اطلال المدينة التي شيدها خوناتون (اخناتون) من ملوك الاسرة الثامنة عشرة المعروفة الآن باسم تل العمارنة واما القوم الرحل الذين هاجروا فلسطين ابان اضمحلال هذه الاسرة . وبناء على هذا يكون الخروج حصل في واسط حكمها اي في زمن تحوتمس الثالث او قريباً منه . بيد انا اذا رجعنا الى سفر الخروج وهو أهم المراجع التي لدينا واوفاها عن هذا الحادث وجدنا ما يرجح خروجهم في زمن منفتاح فقد جاء في الاصحاح الثاني عشر « فارحل بنو اسرائيل من رعمرسيس » وفي الاصحاح الاول ما يدل على ان بني اسرائيل قد سخرّوا في بناء هذه المدينة حيث قيل « فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلّوهم باثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيشوم ^(١) ورعمرسيس » وتسمية احدى المدينتين باسم رعمرسيس شاهد على انها بنيت في زمن احد فراعنة الاسرة التاسعة عشرة الذين تسمّوا بهذا الاسم . والذي يؤخذ من الآثار ان الفرعون الذي كان يسخرّ سكان الدلتا حيث كانت اقامة بني اسرائيل في بناء مدن مخازن هو رعمرسيس الثاني وقد

(١) مكانها الآن الاطلال المعروفة باسم تل المسخوطة (التلال) بمديرية الشرقية كما اثبتته البروفسور نافيل بعد التنقيب فيها . سميت كذلك من وجود تمثال من حجر واحد لملك جالس بين الهين وتدل الكتابة التي في خلفه على ان هذا الملك هو رعمرسيس الثاني . وهذه المدن كانت تعد لامداد الحاميات التي على الحدود بالقرن

اشار الى ذلك الاستاذ بدج في كتابه النيل . ويستفاد مما جاء في آخر الاصحاح الثاني انه مات قبل الخروج حيث قيل « وحدث في تلك الايام ان ملك مصر مات » ويدل السياق بعد ذلك على انهم اخرجوا في زمن خلفه . ونحن نعلم من سلسلة ملوك مصر ان خلف رمسيس الثاني هو منفتاح

وتاريخ الاسرة التاسعة عشرة يؤيد هذا الاستنتاج فقد خلفت اسرة كان للساميين سكان غرب آسيا في زمنها نفوذ عظيم في مصر ، فجعلت سياستها على ما يقول الاستاذ بدج « مصر المصريين » وأخذت على عاتقها تطهير البلاد من الاجانب الذين يمتنون الى هذا الجنس لانهم كانوا ينحازون اليهم في كل حرب بين مصر وبينهم فكان بقاؤهم خطراً على البلاد لهذا السبب . ويفهم مما جاء في الاصحاح الاول من سفر الخروج ان هؤلاء الاجانب هم بنو اسرائيل حيث قيل « ثم قام ملك جديد على مصر فقال لشعبه هو ذا بنو اسرائيل شعب اعظم واكثر منا هم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون اذا حدثت حرب انهم ينضمون الى اعدائنا »

والراجح ان بني اسرائيل وفدوا على مصر ابان حكم الهكسوس (الرعاة) ابتغاء الرزق في هذا البلد الطيب في ظل حكومة من ابناء جلدتهم فلما انتزعت الاسرة الثامنة عشرة الحكم من الهكسوس توجس بنو اسرائيل شراً من الملوك الوطنيين فاضمروا لهم العداوة ومالئوا عليهم الاعداء . فلما آل الامر الى منفتاح من ملوك الاسرة التاسعة عشرة وكان في حروب متواصلة مع الليبيين والاسيوين لم يربداً من طردهم اتقاء لغدرهم وليأمن على سلطانه من دسائسهم . ولما لم يكن لهم وطن يقيمون شطره ولا امة شقيقة توسع لهم من اكنافها خطوا رحلهم في بركة سيناء وسرعان ما حنوا الى مصر وتاقوا الى خيراتها وتهافتت نفوسهم على معبوداتها واعيادها فانهم بعد شهر ونصف من طردهم على ما جاء في الاصحاح السادس والعشرين قالوا « ليتنا متنا في ارض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع » وبعد ثلاثة شهور صنعوا تمثالاً وعبدوا له . وكان ذلك نذيراً للزعماء بان الشعب اذا لم تحسن سياسته فسوف يتساقط على الامم المجاورة ويفرق في غمراتها ويتبدد . فأطمعوه في ملك فلسطين بان ذكروا لهم انها وطن آبائهم الاولين وان الههم اخرجهم من مصر ليسكنهم تلك الارض التي تفيض عسلاً ولبناً تنشطاً لقواهم المعنوية لعلهم يستقيمون الى الامل فيصبرون على ما هم فيه من شظف العيش . وسفر الخروج يصف باسهاب كيف ان الههم اخرجهم ليلاً بعد ما اهلك الابكار من الناس والبهائم

ومن عجيب ما يذكر في هذا المقام ان حادثة اهلاك الابكار التي يزعمون انها حدثت ليلة خروجهم تتفق مع احدى اساطير الاولين في موضوعها والآثار التي ترتبت عليها للذكرى وستوضح هذه المطابقة من الموازنة بينهما

خلاصة قصة اهلاك الابكار ان اله الاسرائيليين غضب على المصريين لانهم اضطهدوهم وساموهم سوء العذاب فاهلك أبكارهم دون شعبه وطريقة ذلك على ما جاء في الاصحاح الحادي عشر من سفر الخروج «هكذا يقول الرب :اني نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر فيموت كل بكر» ويوصيهم لكي ينجوا من الهلاك بان يتخذ كل بيت شاة فيذبحوه في العشية ويأخذوا من الدم ويجعلوه على القاعدتين والعتبة العليا من البيوت التي يأكلونه فيها ليكون الدم علامة على بيوتهم فيراها الرب حين يضرب ارض مصر ويعبر عنها . ويؤخذ من الآية الثالثة والعشرين من الاصحاح الثاني عشر ان الهلاك منوط بمهلك يتبع الرب وهذا نصها «فان الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم على العتبة العليا والقاعدتين يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب» وفي آخر الاصحاح «وكان في ذلك اليوم عينه ان الرب اخرج بني اسرائيل من ارض مصر»

اوصى بنو اسرائيل بعدة وصايا تذكراً لهذا الحادث فاولاً : ان يجعلوا اليوم الذي نجوا فيه من الهلاك واخرجوا من مصر عيداً واليك ما جاء في الاصحاح الثاني عشر في هذا الصدد «ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب» . وثانياً . ان يجعلوا الشهر الذي يقع فيه هذا اليوم اول شهور السنة وهذا الشهر على ما جاء في الاصحاح الثالث عشر هو ايبس بحسب التقويم المصري القديم حيث قيل «اليوم اتم خارجون في شهر ايبس» اما الوصية بجعله رأس الشهور فواردة في الاصحاح الثاني عشر وهي «هذا الشهر يكون لكم رأس الشهور هو لكم اول شهور السنة» . ثالثاً : ان يعتبروا الذبيحة التي ذبحت ليلة اهلاك الابكار ليجعلوا من دمها علامة لخلاصهم فريضة تمارس في مثل تلك الليلة من كل سنة وتسمى الفصح . وهذه اللفظة محرفة عن بصاح العبرية ومعناها اجتاز وعبر من قولهم ان المهلك اجتاز ارض مصر وعبر عن بيوتهم

اما الأسطورة المصرية وهي منقوشة على جدران احدى الغرف الجانبية بمقبرة سيتي الأول فتتناخص في ان المصريين تمرّدوا على الههم رع وخرجوا عن طاعته واهانوا اسمه فغضب عليهم وارسل هاتور تهللكهم جزاء لهم بما كفروا فاجتازت ارض مصر وأنخت في اهلها تقتيلاً واذا رأى رع من السماء ما حل بالناس استعظم النكبة واخذته بهم رحمة فأراد ان يخلصهم لكن كان يحول دون ذلك ان هاتور طبعت على حب الدماء حتى ليصعب ايقافها عند حد متى استثيرت لسفكها . فلجأ رع الى الحيلة لأنفذ رحمته وذلك بأنه دعا رسلاً وخطبهم بقوله اذهبوا الى جزيرة الفيلة واجلبوا من هناك الثمار الجالبة للنوم ولتكن أوتبكم قبل الفجر فذهب الرسل كما أمروا بسرعة العاصفة الى الجزيرة حيث الجنادل الصخرية تعترض مجرى النهر العظيم وحلوا الى هليوبوليس مدينة رع الثمار المطلوبة من ذات اللون القرمزي

وذات اللون الأرجواني وهي التي تعطى عصيراً أحمر بلون الدم وفي الوقت نفسه امر رع نساء هليوبوليس فطحن الشعير وصنعن جعة ثم مزجنها بعصير الثمار الجالبة للنوم فكان من ذلك شراب أحمر كالدم . وقد بلغ ما صنعنهُ بعجلة في تلك الليلة قبل الفجر سبعة آلاف مكيال . ثم ذهب رع في بطانة كبيرة من الآلهة الى هليوبوليس لفحص الشراب ولما الفاه شبيهاً جداً بالدم قال « سيكون هذا الشراب مخلص الإنسان » ثم امر فأهريق الشراب عند الفجر قبل شروق الشمس في الحقول حيث وقعت المذبحة الى ارتفاع أربعة اشبار

وفي الصباح جاءت هاتور لاستئناف المذبحة ولما لم تجد خلقاً من اعداء رع لتبيد هم تلقت بمنة ويسرة فاذا الأرض مترعة بما شبه لها ندم الأعداء الذي اهدرت فضحكت ابتهاجاً برؤيته ثم انحنى وولغت فيه بشراهة حتى ثقل رأسها بفعل المسكر ونامت واصبحت عاجزة عن استئناف المذبحة فنجت البقية الباقية من الناس من الهلاك

عندئذ ناداها رع وخاطبها بقوله « ستعمل لأجلك من الثمار الجالبة للنوم كلما جاء العيد الكبير عيد رأس السنة اشربة عدد الكاهنات اللاتي يخدمني » وإلى هذا اليوم كلما جاء عيد هاتور تجهز اشربة من الثمار الجالبة للنوم تذكراً لخلاص جنس الإنسان من غضب الآلهة والمفهوم من السياق ان المراد بالثمار الجالبة للنوم التي يصنع منها شراب شبيه بالدم هو العنب وعلى هذا يكون اسلافنا اول من اتخذوا الخمر رمزاً للدم وشربوه لذكى الخلاص وانت ترى ان القصتين في جوهرهما متطابقتان ففي كليهما عصاة واله منتقم ينفذ من لده مهلكاً ليجري في الناس قضاءه وهو ذو رحمة يهلك فريقاً من الناس ويستحي فريقاً بحيلة يوصي لنجاحها ان تتم بعجلة قبل الفجر . وفي كليهما اعتبر الشهر الذي حصل فيه الخلاص رأس الشهور واوصى ان يعمل فيه العيد كما اعتبرت الوسيلة التي حصل بها الخلاص فريضة تمارس في ذلك اليوم للذكرى

ومما يؤكد الموافقة بين القصتين علاوة على الأوجه التي ذكرت الحادثة الآتية وهي واردة في كل من الاسطورة وسفر الخروج في سياق وصف الضربات التي حاقت بالمصريين بسبب غضب الآلهة . فقد جاء في الاسطورة « ان النهر صار أحمر وقد ظل يجري كذلك عدة ايام تباعاً . وكانت الأرض مترعة بدم الناس وهاتور تخوض فيه وهي تجوب ارض مصر وتوغل فيها الى هينن سيتن فاصطبغت قدمها باللون الأحمر » وهينن سيتن بلدة مكانها الآن اهناسيا بمديرية بني سويف

وجاء في الأصحاح السابع من الخروج في الكلام عن احدى الضربات التي سبقت اهلاك الأبقار « فتحول الماء الذي في النهر دماً وكان الدم في كل ارض مصر »

ان ثبوت محاكاة قصة اهلاك الأبنكار لأسطورة انتقام رع يجردها من قيمتها التاريخية ويقضي من ثم على مزاعم بني اسرائيل عن الخروج التي يعلقونها عليها . وفي رأيي ان هذه القصة انما وضعت لتحويل عيد هاتور الى عيد قومي لبني اسرائيل بعد الذي ظهر من تعلقهم بهذا العيد وصاحبته . فقد قيل في الاصحاح التاسع عشر انهم في الشهر الثالث بعد طردهم نزلوا في بركة سيناء وهناك بينما كان موسى يناجي ربه طلب الشعب من هرون ان يصنع تمثالا فلما اتهم وقد قيل انه صنعه على صورة عجل بني مذبحا وقال غداً عيد للرب فبكروا من الغد واصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلسوا للأكل والشرب ثم قاموا للعب . اذ يلوح لي ان ذلك العيد الذي عيدوه كان عيد هاتور والذي يرجح عندي هذا الظن ان الشهر الذي صنع فيه التمثال وعيدوا وهو الثالث بعد أبيب الذي خرجوا فيه يوافق توت رأس الشهور المصرية الذي يقع فيه عيد هاتور . فان صح حدسي فيكون التمثال الذي صنعه هرون تمثال بقرة لا تمثال عجل لان البقرة هي رمز هاتور وكان يكتن بها عن العناية الربانية وقد كان جديراً ببني اسرائيل احتفالهم بهذا العيد ليس فقط لانهم ألفوه في مصر وقد كان اكبر اعيادها حتى انه ما زال منه بقية في مصر الى ايامنا هي عيد شم النسيم (وسأفرد مقالاً لاثبات ذلك) بل لانهم كانوا في اشد الحاجة الى الزلفى الى رمز العناية الربانية بما مسهم في الصحراء من الضر وتملكهم من اليأس . بيد ان هذا العمل قد اسخط زعماءهم فعملوا منذ ذلك الحين على قطع كل صلة لهم بمصر اولاً : بالبعاد عن آلهة المصريين لكنهم فطنوا الى ان الطفرة في هذه الحالة ليست من الحكمة وان اصاله الرأي تقضي بمصانعة الشعب في دور الانتقال فاقتبسوا هذا العيد وادخلوه ضمن تقاليدهم وذلك بأنهم استبقوا المظاهر التي تتعلق بها الشعب ثم جعلوا للعيد مناسبة من تاريخهم لصبغه بصبغتهم القومية : وثانياً . بتنفيذهم من مصر وذلك بما ألقوا في روعهم انها كانت بيت عبوديتهم وان فراغتها قد أذلهم وساموهم سوء العذاب وقد بالغوا في ذلك اشد المبالغة وجاوزوا الحد في الهجاء حتى اصبح لفظ فرعون وهو لقب ملوك مصر الاقدمين عنواناً على الطغيان والجبروت

والآن وقد ارتفع الغطاء عن هذا الحادث واسفر وجه الحقيقة فيه واتضح ان بني اسرائيل كانوا البادئين بالعدوان بحيث لم يكن لمصر مندوحة عن طردهم حرصاً على سلامتها فاني اطعم ان يقر الحق في نصابه تبرئة لمصر من وصمة الظلم التي وصمت بها في صدد هذا الحادث ، وانصافاً لتلك البلاد القديمة التي وضعت للعالم اسس الحضارة واعلت منار الحكمة وفتحت ابواباً للمعرفة كانت من قبل موصدة

القضايا الاجتماعية الكبرى

في العالم العربي

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

الدولة والحكومة والرعية

الدولة والاسرة : مما يسهل على القارئ الاطاحة بمعنى الدولة ان يشبها باقرب الاوضاع اليه واعز الاوساط المتصلة به — ان يشبها بالبيت الذي نما فيه والاسرة التي ترعرع في احضانها . فالوالدان هما الحكومة والاولاد هم الرعية والعادات والتقاليد المتوارثة هي الدستور والبيت هو الوطن ومن مجموعهم تتألف الدولة الصغرى وهي الاسرة . وكما ان هنالك انواعاً من الادارة « العائلية » كذلك هنالك انواع من الادارة الحكومية : هنالك ابوان شديدا الوطأة ظالمان يأخذان ابناهما اما القوة وربما سخرهم لمنفعتهما الخاصة فقط وهنالك حكومة ظالمة غاشمة تستثمر الرعية وتسخرها لاغراضها كما يسخر الفلاح الثيران لحراثة الارض . وفي مقابل ذلك نجد سلطة ابوية حكيمة تستخدم نفوذها لهداية الابناء والحصول على السعادة المنزلية كما نجد حكومة صالحة تتخذ من سلطانها ذريعة لاصلاح الدولة . وهنالك ايضاً اسرة متفككة الاوصال يتأكلها الحسد ويهدم كيانها البغض المتأصل في الاعضاء كما ان هنالك دولة مؤلفة من عناصر متنافرة لم تجمع بينها تربية صحيحة ، يدس بعضها لبعض ويتجسس بعضها على بعض ولم يتفق افرادها على شيء الا على السعي لهدمها والخلاص منها . وفي وسعنا ان نزيد في هذه الامثال حتى لا يبقى نوع من الانواع الاسرة او الدولة — النوع القديم او النوع الحديث ، الحر او المحافظ ، المتقيد او الطليق ، الجاهل او العاقل — الا تناولناه بالمقابلة

الاقتصاد العام والتدبير المنزلي : وليس الشبه فيما تقدم من الكلام قاصراً على الوجهة الادارية السياسية فقط بل هنالك شبه عظيم في الشؤون الاقتصادية ايضاً بحيث يجوز لنا ان نقول ان ادارة الامور الاقتصادية في الدولة تماثل الادارة المنزلية فالتبذير والتقتير وبسط اليد وقبضها واضاعة الاموال سدئ وسوء الاستعمال قصداً والجهل بالحصول على الموارد وطريقة

توزيعها هي في الاسرة كما هي في الدولة لكن العيار مختلف طبعاً لان الاسرة دولة صغرى والدولة اسرة كبرى

ومما يسترعي الانتباه ان هذا الاتصال الوثيق بين الاسرة والدولة لم يكن قائماً على الشبه فقط بل هو اتصال تدرجي نشوئي كما سيتبينه القارئ من كلامنا ، ويزيد في إحكام هذا الاتصال ان الفرد وهو طفل يتعلم في المجتمع العائلي معنى المعيشة والتألف مع غيره وتكون القواعد التي مشّاه عليها والداه أول الدروس العملية التي تلقاها في الانقياد والطاعة الى الشريعة، اما ولعه باهله « الاكارم » وغره بأسرته « الشريفة » وبالتقاليد « المقدسة » التي ورثها « كبراً عن كبر » وتعلقه بالبيت « الرفيع » الذي سكنه وباولاد الجيران « النبلاء » الذين لعب معهم فكل ذلك يولد في نفسه شعور الاخلاص ، وقد عرف فوائد التعاون مع غيره معرفة عملية منذ ما سار مع افراد أسرته في طلب الافراح والحصول على المسرات^(١)

اصلاح الاسرة في العالم العربي : لا جرم ان اصلاح الاسرة في البلدان العربية الناشئة هو اهم توطئة للحصول على الحكومة الصالحة واقوى ضمان لامكان الاحتفاظ بالمجتمع على بنائه الحاضر من غير انقلاب خطير في اوضاعه والاسقط حق الاسرة الجاهلة في الاستمرار على استبدادها بالابناء واستقلالها بادارتهم والاشراف عليهم، وتكون الاشتراكية المتطرفة حينئذ على صواب في اصرارها على وجوب انقاذ الاطفال من برأئ الآباء والامهات لان الدولة تكون صالحة على قدر الصلاح في انبائها العاملين

❖ اصل الدولة ❖ : كثير من الناس لا يفرقون بين الدولة والحكومة ، فالدولة هي جمع من الناس انتظموا بالفطرة لتحقيق مصلحة سياسية عامة ينشدونها لمجتمعهم مباشرة ولافرادهم بالواسطة . ولكي يكون هذا الجمع دولة ذات سلطة بالمعنى المتعاقف لا بدّ له (اولاً) من اداة سياسية تدعى حكومة قوامها هيئة من الموظفين يدعون حكاماً (ثانياً) من مجموعة شرائع او قواعد مدونة او مستظهرة تعين حدود هذه السلطة العامة وطريقة تنفيذها فالحكومة اذن هي القوة المتسلطة في المجتمع السياسي او هي الاداة التي تنفذ رغائب الدولة وسواء أ كان شكلها ملكياً ام جمهورياً ، نيابياً ام استبدادياً فهي الاداة التي تمثل قوة الدولة ، ولا تتغير هذه الحقائق ما لم تكن الحكومة مطية لتنفيذ رغائب اهل المصلحة من الجماعات الاخرى المعتدية ، وحينئذ تدعى حكومة الاجنبي القاهرة ولو كانت في شكلها على احدث طراز في الديمقراطية، وقد رأينا دولة من هذا النوع لم ينفعها لا دستورها الضخم ولا مجلس نوابها الفخم ولا رئيس جمهوريتها لما محاها من الوجود بحجرة قلم رشيقة مندوب

(1) Government & People, 282,

اجني ! ومن الزيادة في النكايه ان هذا المندوب نفسه فرض على مكلفيها منذ سنتين ديوناً اجنبية تبلغ الملايين من الجنيهات من غير ان يستشير واحداً من نوابها مما يخالف ايسر قواعد الاستقلال — يعني قاعدة « لا ضرائب من غير تمثيل » — ومع ذلك فالباحث يعرض نفسه لتهمة اذا هو لم يقل عن هذا المال ما قاله رئيس هؤلاء النواب من انه ثمن الاستقلال الذي نالته بلاده على ايدي الفاتحين المنقذين !

وقد بدرت بوادر الانتظام السياسي من حدوث اشرف سياسي عام وخضوع المنتظمين لقواعده منذ تألفت العترة الاولى وتكاثر بالتوالد والتبني حتى صارت قبيلة ومنذ اخذ بعض الافراد فيها يخرجون مجتمعين بشكل سرايا تجوب الاطراف للصيد والقنص ، وهذا الاشرف السياسي والخضوع له امر لا بد منه لكل جماعة من الناس دخلوا في دور من التعاون والاشتراك ، واما الطريقة التي يتم بها فهي حدوث سلطان او هيئة معينة محدودة تدبر شؤونه ويخضع الافراد للاوامر التي تصدرها

ويؤيد هذا الرأي من جعل لحة النسب اساساً للانتظام الدولي الرئيس (ودرو ولسن) فقد جاء في كتابه (الدولة) قوله « يجب ان يكون تاريخ الحكومة في جفزه واحداً عند جميع الشعوب الرافية ، وان تتجلى بوادره في النظام العائلي » واستدل من الاحوال التي كانت عليها تلك الامم التاريخية المركزية على ان التنظيم الاجتماعي وما تولد منه من تأسيس الحكومات هو وليد القرابة وان الروابط الاولى التي بني عليها الاجتماع والدواعي الاصلية التي سمحت باحداث السلطة الحكومية هي في الاصل واحدة — هي لحة النسب سواء أ كان هذا النسب صحيحاً ام ملفقاً (١)

نشوء الاوضاع الحكومية : ولكي يحيط القارئ بالتدرج الحقوقي الشرعي الذي لازم الالتحام والتكاثر في الاقوام بطريق الاتحاد والتوالد والغزو والفتح نفرض له مثلاً من قبيلة كقبيلة (الرولا) النازلة باطراف سورية فهب ان هذه القبيلة البسيطة التي تمثل الاوضاع الحقوقية البدوية التي كانت في العصر الخالية تكاثر بالتوالد والتبني والفتوحات الموضعية فتمت نمواً عظيماً حتى الجأها العوز وقلة الكلاء الى اكتساح المعمور فاستولت على (حوران) واستمكت الاملاك واستأسرت الاسرى ووضعت يدها على السائمة وسائر انواع الماشية ففي تلك الساعة تتغير الوضعية الشرعية التي عليها هذه القبيلة لان جميع الطوارىء التي طرأت تتطلب سناً جديدة في معاملة المغلوبين وادارة شؤنهم وممتلكاتهم التي سامت من النهب وحفظ الامن بينهم وتوزيع الكسب المسلوب منهم وتعيين العلاقات بين الغالب والمغلوب وغير ذلك من

الضرورات الشرعية المستجدة التي عبر عنها المسترعون المتأخرون بقولهم « تتغير الاحكام بتغير الازمان » لا جرم ان شيخها (النوري بن شعلان) وهو السيد المطلق المطاع في القبيلة يضطرُّ الى اتخاذ الاجراءات الادارية التي توافق هذه الطوارئ مع محافظته على عادات سلفه وتنفيذ التقاليد التي درجت عليها القبيلة فيصبح والحالة هذه كما قال « الموجز في علم الاجتماع^(١) » عن زملائه الشيوخ مشرعاً يقضي في الشؤون لفض الخلافات وهذا يعني انه صار (القاضي الاكبر) في الجماعة . وعلاوة على ذلك فقد كان للشيخ الزعيم في الاقوام الابتدائية عمل اقتصادي بالاضافة الى منصب الحاكم الذي كان يشغله فلم يكن يمثل الآلهة وخليفتها على الارض فقط بل السيد المالك لرقاب النساء والاولاد والمستأمن على ممتلكات الجماعة وهكذا اجتمعت في قبضة يده في تلك الاعصر السحيقة الوظيفة الثلاثية الآتية :
القضاء والتشريع والاجراء وهو السلطة التنفيذية

لا جرم اننا نرى في هذه النظم الاهلية الخالية التي قامت على صحة النسب تلك الوحدات المؤتلفة او الجماعات الاصلية التي تتألف منها اسس الدولة واركانها وذلك عندما يسكن افراد هذه الجماعات المدر ويتخذون الطين مقراً ثابتاً لهم ويصبحون غزاة فاتحين يملون ارادتهم على المغلوبين كما املى الغطغط ارادتهم على الحجازيين ولا نبالغ اذا نحن قلنا ان هذه العناصر الاجتماعية الجديدة الناشئة عن الهجرة والغلبة والكسب هي عناصرها المقام الاول في تنظيم الدولة . بل ان بعض العلماء امثال الاستاذ (كومونس) ذهبوا الى ان التملك الخاص هو الباعث الاول على تأسيس الدولة وان التطاحن بين الطبقات للحصول على ادارة الممتلكات المنقولة وغير المنقولة واستثمارها افضى بالضرورة الى التسوية والخضوع للنظام، فالدولة بهذا المعنى تكون قد اشرقت عند ما مدَّ اول رجل يده الى المنافع العامة التي كانت مشاعة للجميع وادعى انها أصبحت ملكه الخاص واخذ يضارب ويحارب من اجلها

لكن القبائل متى استقرت ونمت وتكاثرت تأخذ قاعدة تنازع البقاء تعمل عملها فيها فتتلاشى قبائل وتتحد قبائل شأن كل صراع جدي بين الاحياء . ويجري الاتحاد غالباً على قاعدة استعباد الغالب لمغلوب واتخاذ خولاً وربما جرى على اساس الامتزاج السلمي الاختياري . وبديهي ان تنشأ من مثل هذه الاحوال والملايسات الشرائع التي تبين سلطة الفريق الواحد على الآخر وتدل على المطالب التي تقتضيها الطوارئ التي طرأت بعد الاتحاد بنوعيه السلمي والحربي

(1) Outline of Sociology, P. 165.



ايليا أبو ماضي الشاعر



لبثت أسبوعاً أطالع ديوان الجدول للشاعر ايليا أبو ماضي ، وإذ فرغت من درسي قصائده همتُ بكتابة مقالة فيها تلبيةً لطلب مجلة « المقتطف » ، إلا أني بحثت عن « الجدول » فلم أجده . وأغرقت في بحثي عنه من غير جدوى
وكنت إذ ذاك في أقصى الحاجة الى مراجعته وإعادة النظر في الملاحظات التي دونتها على هوامشه في اثناء المطالعة

وفي أحد الايام اذ انا منصرف الى كتابة مقالة جافة سمعت خطيبي تنشد في خدرها هذه الايات ، وقد لحنها على هوى نفسها تلحيناً جميلاً ساحراً :

أراد الله أن نعش ق لما أوجد الحُسنا
وَأَلْقَى الحبَّ في قلبك إذ ألقاه في قلبي
مَشِئْتُهُ ... وما كانت مَشِئْتُهُ بلا معنى
فإن أحببتِ ما ذنبك أو أحببتُ ما ذنبي ؟

يريد الحبُّ ان نضحك ، فلنضحك مع الفجر
وان نركض ، فلنركض مع الجدول والنهر
وان نهتف ، فلنهتف مع البلبل والقمر
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث أو يجري ؟
فأفلتتُ القلم من يدي وهرولت الى خطيبي فألقيتها مستغرقة في تطريز قماشة ، وإذ وقع نظرها عليّ ابتدرتني بقولها : هل أنهيت مقالك الجاف ؟
فقلت : لا ، ولكنني سمعتك تهتفين مع البلبل فأسرعت اليك ... من اين جئت بهذه الايات ؟
فأجابتني بلهجة رصينة : من ديوان الجدول لأبي ماضي
ثم ابتسمت ابتسامة عفريته وأردفت قائلة : ألا يروقك ان انشد غير صادراتك ؟

فقلت : لا تزالين تخطئين في فهمي . . . واين الجداول ؟
فأشارت بيدها الى سريرها وقالت : تحت المائدة
فضحكت بدل ان اغضب ، وضحكت في كثير من الغبطة إذ وجدت في هذه الصدفة
خير ما استهل به الكلام على الشاعر ايليا ابو ماضي

قال الكاتب الفرنسي غاستون راجو : « إن الشاعر هو الذي يستطيع ان يخاطب الاشجار
لدى هبوب النسيم عليها او البشر في ساعة حزنهم وآلامهم وهو الذي يفهم ما لا يفهمه الغير
ويحزر جميع اللغات الرمزية المبهمة ، وهو الى ذلك الرجل الذي يحاول الصعود الى الله ، وما
يزال يجده في محاولته هذه حتى يوشك الامتزاج بالذات العلياء أو يخيل اليه انه امتزج بها
وصار رسولا . »

كم خفضنا الجناح للجاهلينا وعذرناهم فما عذرونا
خبروهم يا أيها العاقلونا

إنما نحن معشر الشعراء يتجلّى سرّ النبوة فينا
وايليا ابو ماضي هو في معظم قصائده ذلك الشاعر الممتزج بالطبيعة ، المتصرف بأسرارها
وغوامضها الشاخص من وراء ذلك الى الخيال الاسمى ، الى الذات العلياء ، الى الله ! على أن في
شخصه الى ذلك الخيال شيئاً من التشكك قد نستطيع معه ان ندرج الشاعر في عداد السفسطائيين ،
أو ندرج ناحية من نواحيه فقط . لان للشاعر نواحي متعدّدة كما لمعظم الشعراء ، فهو تارة
مؤمن وطوراً متشكك ، على انه لا ينحدر من هاتين الناحيتين الى الاحاد
جئت ، لا أعلم من اين ، ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدّامي طريقاً فشيت
وسأبقى سائراً ان شئت هذا أم أبيت
كيف جئت ؟ كيف أبصر ت طريقي
لست أدري

ولقد تجلّت الناحية السفسطائية من روح الشاعر في « طلاسمة » أو في « لأدرياته »
التي عمد فيها الى الشك في كل شيء ، على أنه جاوز في شكوكه الحد الذي وقف عنده الفلاسفة
حتى أوشك أن ينكر ذاته او أنكرها . وليس في « طلاسمة » الاستاذ ابو ماضي نظريات
تستطيع أن تكتشف فيها مذهباً فلسفياً فطلاسمة مزيج من أسئلة ما برحت منذ القديم الى اليوم
تخرج على السنة الفلاسفة والمفكرين ، على انه عرف ان يذرع عليها رشاشاً من الشعرية الرائعة :

أتراني كنتُ يوماً نَغَمًا في وَترٍ
وأقصى رغبة صاحب «الجداول» في تلاسمه أن يكون شاعرًا لا فيلسوفًا

وللشاعر إيليا أبو ماضي طريقة هو معها نسيج وحده ، فهو لا يلتزم الخيال المجرد من
الذهن كالعدد الكبير من شعرائنا في المهجر ، ولا يحجر فكره بالافراط في الوضعيات
الذهنية كما هو شأن البعض من شعراء سوريا ولبنان ، بل هو في شعره بعيد ما بين هؤلاء
وأولئك ، في الندر ما تجده لا يلتزم وحيًا يتمسك بالاحتكاك بالحقيقة ، فهو في كل ما
يكتب — اذا استثنينا بعض قصائده وبعض التلاسم منها — يصل ياقوتة الشاعرية بلؤلؤة
الحقيقة السوداء ، على أنه يطلي شعره بقليل من الألوان ويمرره بكثير من الموسيقى

ولا يجهل بنا أن ننكر ان الشاعر أبا ماضي يرمي في شعره الى هدف فهو في المجتمع
الانساني مصلح صارم ، وقد يمت من هذه الناحية الى الشاعر لافونتين الذي أنطق الاشجار
والبهائم ليسمع الرجل ، ومن يطالع قصائده « الضفادع والنجوم » و « الطين » و « ابن الليل »
وغيرها يتضح له بأية نظرة ينظر الشاعر الى المجتمع ولا يبق مجال للشك في أن الثعلب
والليث والبدر والضفادع والنجوم إنما هي نحن ، فاجتمعنا هذا ليس سوى كهفٍ للبهائم
الشرسة أو المحتالة ، والويل لكل بهيمة ضعيفة أو مسالمة

واذا قرأت قصيدة « الطين » وهي أبلغ قصائد الشاعر المتمردة ، وقعت على فكرة
اشتراكية وربما كانت شيوعية أيضاً ترمي الى الوقوف في وجه القوة والاقوياء والأغنياء
والمستغلين وكل ما ادعاه ويدعيه المجتمع المتكبر ، المجتمع الذاهب في مذاهب العجرفة
المكتسبة من جهل الانسان ذاته الحقيقية :

نسي الطين ساعة أنه طينٌ حقيرُ فصال تيهاً وعربدٌ
وكسى الخزُّ جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمردُ

وإنك لتقع في هذه الطرفة الشعرية على كبرياء الشاعر ، تلك الكبرياء الجميلة ، وقد أوتيت
قوة التعبير الساحر القاهر فتجسدت في كل بيت من أبيات القصيدة وراحت تُعمل في
التكبرين من أبناء الطين مبضعها الجراح ، وما زالت تُعمل فيهم هذا المبضع حتى استوى
لها ما أرادت فأزلت الجبار عن عرشه المزعوم وقالت له إنك من جنس غيرك وإن تكن
مقلداً السيف وملتحفاً بالبردة الموشاة :

يا أخي لا تمل بوجهك عني ما أنا خمةٌ ولا أنت فرقَد
أنتَ لم تصنع الحرير الذي تلبس واللؤلؤ الذي تتقلدُ

... أنت في البردة الموشاة مثلي في كسائي الرديم تشقى وتسعد
... أيها المزدهي، اذامستك السقم ألا تشتهي؟ ألا تنتهز؟

أجل، والاسكندر الذي دوخ الأرض وافتتح الهند وفارس وقهر الفينيقيين في أعز
أيامهم والذي شرب « خمر الآلهة » ووزع كؤوسها على قواده مات كما يموت الدهاء، لقد
مات على أثر استحمامه في البحر وهو سكران ...

عند ما انتهت الحرب العالمية سمعنا أصواتاً ساحرة تنحدر إلينا من العالم الجديد، ولم يكن
لنا عهد بمثلها قبل ذلك الحين، فشخص الشباب بأرواحه إلى مصادر تلك النغمات وما لبث
أن أخذ بجملها الجديد وروعها النادرة وإذا بتلك النغمات تمزج بأرواحه وتملك عليها مذاهبها
وإذا بأدب صادق ينشأ على شواطئ بحر الروم كان من ثماره هذا التطور الذي نلسه اليوم في
أدب الشباب

أما تلك الأصوات الساحرة فكانت صادرة من قلوب جبران، ونعيمي، وعريضة، وأيوب،
وأبو ماضي وغيرهم. على أن نغمات شاعر « الجداول » تختلف عن نغمات إخوانه أدباء لبنان
في المهجر التي توشك أن تكون على وتيرة واحدة على ما هي عليه من الصدق في العاطفة
والإخلاص في الشعور. ففي شعر إيليا أبو ماضي وحدة في الندر ما تجدها في شعر غيره،
وبهذه الوحدة يمتاز شعر صاحب الجداول الذي يُعدُّ بحق في طليعة شعراء هذا العصر
قلت إن إيليا أبو ماضي يرمي في شعره إلى هدف، فهو في كل قصيدة من قصائده يحوم
حول فكرة يتخطفها بما أوتيته من قوة المنطق وصدق التصور حتى يقصر على الاقتناع بها
كما يريد، من غير أن يلهيك بكثرة الألوان والأصباغ كما هو شأن العدد الكبير من شعراء
المهجر الذين يتعشقون جمال الكلمة الملونة فيأتونك بالصورة والموسيقى ويبهرونك بسحرها
حتى لتكاد تنسى أنك أمام مفكر، وفي هذا جمال رائع على أنه فيه نقصاً يُحدره عن مستوى
الشاعرية الحقة. وعندي أن الشاعر العبقرى هو من تجسّم في قلمه الثالوث الأكل: الموسيقى
والصورة والفكرة

وقد لا تجد بين الشعراء من قدر له أن يبرز لك صورة صادقة عن عصره كإيليا أبو ماضي
فهذا الشاعر يغمس ريشته بدم زمنه ويصور، ولهذا نجده يعتمد في كل ما يكتب إلى استشعار
الحقائق الواقعة في رسم لك أحزان الحياة وأشجانها وأفراحها وملذآتها ثم يذهبها بنور من
أنوار الخيال، ولهذا أيضاً لا نجده يعتمد إلى التكلف في شواعره، وقد يكون عاش بنفسه كل
ما عبر عنه بقلمه، ولن يستطيع أن يطلق هذه الصرخات:

قد يصير الشوكُ إكليلاً لملكٍ أو نبيٍّ
ويصير الوردُ في عُروَةٍ أو بصبيٍّ
أغار الشوكُ في السحقل من الزهر الجنيِّ
أم ترى يحسبه أحقر منه ؟ ...

أجل ، لن يستطيع أن يطلق هذه الصرخات إلا من مهت الحياة جبينه باكليل من الشوك وإلا من ارتبه بلاهة الاقدار زهر الحياة على صدور اللصوص والعاشرات !
لا مشاحة في أن الشاعر عرف مصائب الحياة ، ولهذه المصائب أثر في شعره ، على أن روحه الجبارة تأبى عليه البكاء ، ولكنه كثيراً ما يعمد الى الانتقام من تلك المصائب فيظهر بمظهر العاثر بالحياة الواقف على قتها البيضاء ... فيينا نراه وقد سئم الحياة مع البشر وملَّ حتى أحبابه وخلاته ، وبينا نراه متضجراً من المراوغين والذرافين

ومن القبح في نقابٍ جميلٍ ومن الحسن تحت الف نقابٍ
ومن العابدين كل إلهٍ ومن الكافرين بالاربابِ
إذا بنا نسمعه يرجع الى كبريائه الجبارة فيقول :

قد سقتنا الحياة كأساً دهاقا حسنت نكهة وطابت مذاقا
وسقينا مما شربنا الرفاقا

ثم يزيّد في كبريائه فيستطرد قائلاً :

لو سكنتم قصورنا بعض ساعه لنسيتم شهوركم والسنينا
ثم يتكلف ، انتقاماً من الحياة ، رؤية الناحية الجميلة منها فيقول :

والذي نفسه بغير جمالٍ لا يرى في الوجود شيئاً جميلاً

وربما أراد بذلك أن يقول للبشر : « إنكم تدنسون في نفوسكم صورة الانسانية النبيلة ! »
على أن هذه النظرية صارمة قاسية وإلا لكانت نفس بيرون وبودلير في أبعد ما يكون من البشاعة ! وإلا لكان الشطر الكبير من نفس أبي ماضي بشعاً ايضاً ، وذلك ما لا يزيد أن نسلم به فالشاعرية السامية تبسط اليه يدها الالهية وترفعه الى فردوس الكواكب الأزليّ
فهو بدعة من بدع القلب والروح

بيروت

الياس أبو شبكة

سر ناموس النور

فيما هو اعمق من الكهر

لنقول الحداد

صاحب مجلة السيدات والرجال

في احد اجزاء المقتطف الماضية مقالة ضافية عن عملية «ميكلسن — موري» التي اريد بها اعتبار سرعة الارض بالنسبة الى الاثير^(١). ولكن كانت نتيجة العملية بعد تجربتها مراراً في اوقات مختلفة خيبة وفشلاً. اي لم تكتشف بها سرعة الارض بالنسبة الى الاثير (ان كان ثمة اثير) بل اكتشف بها ناموس طبيعي لم يكن معروفاً من قبل وهو ان الاجسام (والاجرام ومن الجملة الارض وكل ما عليها) تنقلص في اتجاه مسيرها بنسبة ثابتة بين سرعتها وسرعة النور. ولتفسير هذا القول لابد من ايضاح كيفية خيبة العملية المذكورة

خطر لميكلسن، وقد كان احد كبار علماء الطبيعة في اميركا وله اكتشافات عن اسرار النور، ومباحث دقيقة في قياس سرعته — خطر له خاطر وجيه جداً وهو ان شعاعة النور التي تسير باتجاه حركة الارض معها وضدها تكتسب مع سرعتها سرعة الارض اذا كانت سائرة ضدها. وتخسر من سرعتها سرعة الارض اذا كانت مجارية لها. واما الشعاعة التي تسير معامدة لخط سير الارض (او سير سطحها في دورانها) فلا تخسر ولا تكتسب بقدر تلك. ولذلك اذا صدرت شعاعتان من مصدر ارضي واحد وانطلقتا الواحدة الى الشرق والاخرى الى الشمال في مسافتين متساويتين ثم انعكستا عن مرآتين وعادتا الى بؤرة واحدة فلا بد ان تعود الشعاعة الشمالية قبل الشعاعة الشرقية. واعد ميكلسن جهازاً دقيقاً مضبوطاً وكافلاً للحصول على هذه النتيجة التي يستطيع بها ان يعلم مقدار سرعة الارض بالنسبة الى الاثير الذي يظن انه ساكن. ولكن نتيجة تجربته جاءت مخالفة للمنتظر. فان الشعاعتين عادتا في وقت واحد كما لو كانت الارض ساكنة. ولكن الارض تدور حول الشمس بسرعة ٣٠ كيلو متر في الثانية وهي سرعة كافية لان تجعل ميعاد عودة الشعاعتين مختلفاً ولا سيما لان الجهاز كان دقيقاً جداً يضبط ما هو اذق من هذا

تخير ميكلسن وسائر اهل العلم في عدم حدوث هذا الاختلاف المنتظر. وحاولوا ان يجدوا له تعليلاً. فما توقعوا الى تعليل مقنع، الى ان قام فتر تجرلد وزعم ان الارض (وكل

(١) وقد ورد الاثير في كتاب ابي الريحان البيروني الخوارزمي من خيوى منذ القرن الرابع للهجرة بلفظ الاثير (بتقديم الياء على التاء) بمعنى الجلد او الفضاء. وهي معرب اللفظة اليونانية التي اوردها علماء اليونان القدماء بالمعنى نفسه

جسم عليها وجهاز ميكلمن نفسه) تتقلص في اتجاه سرعتها بقدر الفرق بين رحلتي الشعاعتين بحيث تعود الشعاعتان في وقت واحد . ثم قام لورنتز واستخرج بعملية رياضية مقدار هذا التقلص فكان هكذا :

$$\frac{m}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} = m$$

وهنا (م) ترمز الى مسافة رحلة الشعاعة الشرقية و (م) الى مسافة رحلة الشعاعة الشمالية و(ن) الى سرعة النور و (س) الى سرعة الارض . ومعنى ذلك ان الارض تتقلص الى ان تصير بقدر هذه العبارة

$$\frac{1}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}}$$

واعتبر اينشتين هذا التقلص سنة طبيعية وجعله قاعدة لمبدأ النسبية فبنى عليه كل مباحثه فيها. وقد قرأت عن عملية ميكلمن هذه في بضعة مؤلفات عن النسبية ، لأنه ما من مؤلف خلا منها . ولكني لم اجد في واحد منها تفسيراً لسبب هذا التقلص . ولذلك كان يلوح في ضميري هذا السؤال : ما هي علاقة سرعة النور بسرعة الاجسام حتى توجد بين الفريقين هذه النسبة. ولما قرأت كتاب ادنجن «طبيعة العالم المادي» The Nature of the Physical World عثرت في الصفحة الرابعة منه على تفسير سبب التقلص واليك محصله : —

« ان بين الذرات (Atoms) مسافات بعيدة جداً (بالنسبة الى احجامها) ولكنها متساوية البعد . والذرات تحافظ على هذا التباعد المحدود فيما بينها ، وعلى الحيز الذي تتحرك فيه . تحافظ على ذلك بتفاعل كهربائي فيما بينها ، منه قوا جاذبة ، ومنه حركات (قوات) اخرى مختلفة تحاول ان تبعد الذرات بعضها عن بعض . وكلتا الطائفتين من القوات متوازنتان بحيث يبقى حيز الذريرة في سعة محدودة ويبقى بعده عن غيره في مسافة محدودة ايضاً . ذلك على افتراض ان الذريرة ساكنة . ولكن متى كانت متحركة (او متى شرعت تتسارع بحركتها ، اي تعجل) تتغير القوات الكهربائية التي كانت تقيدها بالمسافات المحدودة فيما بينها لان تسارعها ينشئ امواجاً كهربائية مغناطيسية Electro-magnetic waves وهي نوع من القوات يختلف عن النوع الاول ، فيختل توازنها السابق وينشأ لها توازن جديد — اه فترى من خوى كلام ادنجن ان سر المسألة في التيار الكهربائي المغناطيسي الذي انشأته سرعة الذريرة او تسارعها . وهو مطابق للرأي العلمي الذي جرى عليه اينشتين وزملاؤه . وهو ان الذريرة المسرعة تنشئ حولها جواً كهربائياً مغناطيسياً Electro-magnetic field وفي هذا الجو تتخذ الكهارب (Electrons) افلاكاً (Orbits) تدور فيها حول نواة

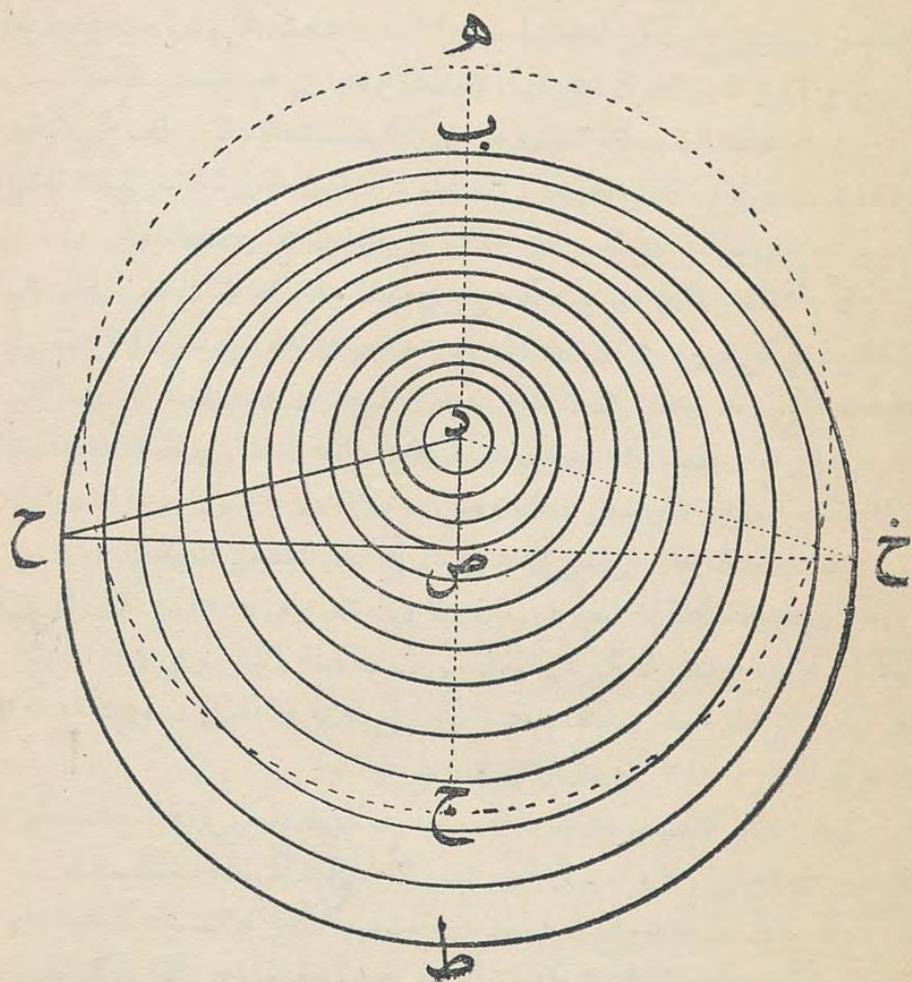
الذرية كما تدور السيارات حول الشمس في جاذبي Gravitational field — تدور بتأثير هذا الجو الذي يمنعها ان تشرذ عن فلكها حول النواة . (انظر مطلع فصل الجاذبية في كتاب مبدأ النسبية لاينشتين) ولكن ادنجتن لم يفسر لنا سبب محافظة الذريات على تباعد محدود فيما بينها وعلى الحيز الذي تتحرك فيه بحيث لا يقحم بعضها على حيز البعض الآخر وفي ظن هذا العاجز ان السبب هو ان الكهارب تتدافع لانها ذات كهربائية من جنس واحد (سلبية) فكهرباب الذرية الواحدة تصدّ كهارب الذرية الاخرى فلا تدعها تتجاوز حدود جوها. وهكذا تبقى الذريات Atoms على مسافات محدودة فيما بينها

اذّا، التقلص الذي هو بيت القصيد في بحثنا هذا يحدث في نفس الجو الكهربائي المغنطيسي في كل ذرية . اي ان هذا الجو نفسه يتقلص في اتجاه سير النواة ولا يتقلص في الاتجاه المعامد له . وقد تبجّر كاتب هذه السطور طويلا في هذه المسألة الى ان حلّ لغزها حلا طبيعياً وبرهنه رياضياً. جاء البرهان مطابقاً تمام المطابقة لمعادلة لورنتر الآنف ذكرها. وبهذا الحل تفسّر السؤال الذي سبق نصّه : وهو : ما علاقة سرعة النور بسرعة الاجسام ؟

وقبل بسط البرهان الرياضي لا بد من شرح الحل الطبيعي فنقول : —
للنور سرعة ثابتة لا تتغير في زمان ولا في مكان وهي ٣٠٠٠٠٠٠ كيلومتر في الثانية . وكذلك لامواج الجو الكهربائي المغنطيسي سرعة ثابتة لا تتغير وهي $10^{10} \times 3$ سنتمتر في الثانية اي عشرة مضروبة بنفسها عشر مرات ثم بثلاثة. والحاصل يساوي ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ سنتمتر = ٣٠٠٠٠٠٠ كيلومتر، وهي نفس سرعة النور

(ليس هذا التساوي بين سرعة النور وسرعة المواج الكهربائية المغنطيسية امراً بالمصادفة بل هو امر طبيعي . لانه ثبت ان النور ليس الا امواجاً كهربائية مغنطيسية)
ولما كانت سرعة امواج هذا الجو مساوية لسرعة النور فبالنتيجة المنطقية تكون النسبة بين سرعة النور وسرعة النواة كنفس النسبة بين سرعة امواج الجو الكهربائي المغنطيسي وسرعة النواة. فلندع النور ونبحث عن النسبة بين سرعة النواة وسرعة امواج جوها المذكور ولننظر كيف يظهر هذا الجو متقلصاً بسبب سير النواة فيه

لا يخفى ان اي نوع من الامواج (نور او كهرباء مغنطيسية او صوت او موجة ماء الخ) متى صدر لا تبقى لمصدره سلطة عليه البتة، فتصبح الموجة مستقلة تمام الاستقلال عن مصدرها. فشعاع النور متى صدرت عن اي مصدر (الشمس او المصباح) تستقل عن الجسم المنير ولا تبقى له سلطة عليها . كذلك الموجة الكهربائية المغنطيسية الخ
تصوّر نواة الذرية سائرة بسرعة كسرعة الارض مثلاً فتصدر حولها امواجاً كهربائية مغنطيسية تسير بسرعة مساوية لسرعة النور (٣٠٠٠٠٠٠ كيلومتر بالثانية) وتصبح النواة على



الأثر ساجحة في هذه الامواج ويصبح الكهرب الذي يدور في فلكه (دائره) حولها ساجحاً مثلها كما يسبح القمر حول الارض في اثناء سيرها في الفضاء (حول الشمس) تصور النواة سائرة وهي تصدر حولها موجة أثر موجة . فكلما خلت خطوة الى الامام كانت اقرب الى قوس الموجة التي امامها وابتعد عن قوسها التي ورائها . ولهذا السبب عينه تكون اقواس الامواج الامامية متقاربة واقواسها الخلفية متباعدة ، كما ترى في الشكل . يمكن القارئ ان يتمتع صحة هذا الامر بعملية بسيطة . قف عند حافة بركة صغيرة ساكنة ولا ريح تحرك سطحها . وخذ قصبة وضع في جوف طرفها ماء وسدها بقطنة سداً يؤذن للماء ان يقطر منها كل هنية قطرة على التوالي . ثم ابسط القصبة على مداها فوق البركة . فترى انه كلما سقطت قطرة منها الى الماء احدثت موجة مستديرة تتسع رويداً . وترى الامواج متوالية بعضها ضمن بعض . وترى ان السعة بين دوائرها متاثلة . ولكن حرك القصبة ببطء الى يمينك فترى ان دوائر الامواج الى يمينك اقرب بعضها الى بعض منها الى شمالك

ولا يخفى عليك ان الجو الكهربائي المغنطيسي الذي نحن بصدد انما هو هذه الامواج بعينها . وهو مشابه من كل قبيل للجو الجاذبي Gravitational field كما زعم فرادي وجاراه اينشتين وسائر علماء هذا العصر ولذلك تضعف قوة (جذب) هذا الجو بنسبة مربع البعد فيه عن النواة

اذاً ، ، لانهاية لهذا الجوم من الوجهة النظرية وانما فلك (Orbit) الكهرب الذي يرسم فيه يعتبر حداً لحجم الذريرة . فاذا قلنا « الذريرة » (Atom) عيننا النواة والجو الكهربائي المغنطيسي الذي تصدره والمحيط الذي يدور فيه الكهرب . وبُعْد هذا المحيط عن النواة يكون بقدر فعل الجو على الكهرب (يضاف اليه فعل قوى اخرى خارجية قد تطرأ على الذريرة — وللسير تجايمس تيجنز بحث ضاف بهذا الموضوع في كتابه « الكون حولنا ») بعد هذا البيان نتخذ ذريرة الهيدروجين مثلاً تسهيلاً للشرح لانها تحتوي على كهرب واحد، فهي ابسط الذريرات

الرسم يمثل تمثيلاً خيالياً دوائر الامواج الكهربائية المغنطيسية (واذا تصورتها كروياً امكنتك تصور الامواج كروية ايضاً) منذ صدرت الموجة الاولى حين كانت النواة عند (ص) الى ان وصلت الى (ل) . ويمثل النسبة بين سرعة الامواج المذكورة وسرعة النواة قليلة جداً . وهي بالحقيقة اضعاف ذلك الوف المرات . فهي في النواة الارضية كنسبة ٣٠ الى ٣٠٠ الف . ولا يمكن تمثيل الحقيقة بالرسم بسبب هذا التباين العظيم بين سرعتين كانت النواة عند (ص) . ففي مدة معينة (قل مثلاً جزء من الف من الثانية) سارت الى (د) وفي خلال ذلك صدرت منها عدة امواج . ولما كانت النواة عند (ص) صدرت الموجة الاولى منها

وفي مدة انتقالها الى (د) وصلت قوس الموجة الاولى الى (ب) امامها والقوس المقابلة لها الى (ط) ورائها

ولا يخفى ان كل موجة تتبعها موجة اخرى كلما خلت النواة خطوة . فامام النواة ووراءها صفوف موجات تكاد تكون غير متناهية . ولنفرض ان فلك الكهرب يحيط بقدر من الجو الكهربائي متوازن القوى حول النواة . فنود ان نعرف هل طول قطره الموازي لخط اتجاه النواة مساوٍ لطول قطره المعامد له ؟ هل ب ج = ح ح' والا فأيهما اطول وهذه قضيتنا التي نحلها فيما يلي حلاً رياضياً

اذا رمزنا عن سرعة النواة بحرف (س) ، وعن سرعة الامواج الكهربائية المغنطيسية بحرف (ن) ، وعن المدة بحرف (ق) ، وعن المسافة بحرف (م) ، امكننا ان نستخرج طول القطر (الشعاعين Radii 2) الموازي لخط اتجاه النواة . ولا يخفى انه لما كانت الموجة الاولى سائرة الى الامام كانت النواة سائرة ورائها فتقصّر المسافة بينهما . ولذلك تطرح سرعة هذه من سرعة تلك في قياس الشعاع Radius الامامي (نصف القطر) . وكذلك لما كانت الموجة الخلفية منطلقة الى الوراء كانت النواة تبتعد عنها فتطيل المسافة بينهما . ولذلك لا بد من اضافة سرعة هذه الى تلك في قياس الشعاع (نصف القطر) الخلفي . اذاً طول القطر الموازي لاتجاه سرعة النواة يُعَبَّرُ عنه بهذه المعادلة

$$ق = \frac{م}{ن - س} + \frac{م}{ن + س} = \frac{م}{(ن - س) \times (ن + س)}$$

$$اذن - ن ق = \frac{ن^2}{ن - س} - \frac{ن^2}{ن + س} = \text{طول القطر الطولي كله}$$

$$\text{ونصفها : طول الشعاع فقط} = \frac{ن^2}{ن - س} = \text{معادلة اولى}$$

علينا الآن ان نبين نسبة هذا القطر الطولي المجاري لاتجاه سير النواة الى القطر العرضي

المعامد له ح ح'

لما سرعت النواة تسير من (ص) الى (د) صدرت الموجة الاولى منها متجهة الى (ح) و(ال) (ح) ايضاً) وكلما انتقلت (ص) خطوة الى الامام تصدر منها موجة الى جهة ح (و ح') وهكذا على التوالي الى ان وصلت الى (د) فكانت الموجة الاولى قد وصلت الى ح (و ح') والموجة الاخيرة لا تزال حول (د) والامواج التي توالى بينهما متتابعة بينهما كما يمثلها الرسم كلها في مدة الرحلة . فاذا رسمت خطاً من الموجة الاخيرة عند (د) الى حيث صارت الموجة الاولى عند (ح) كان لك الخط (د ح) او (د ح') يمر في عدد من الامواج اكثر من عدد الامواج التي يمر بها الشعاع (ص ع) او (ص ع') ، وتوى اذاً ان الخط (د ح) هو وتر لمثلث قائم الزاوية مربعه يساوي مجموع مربعي

الضلعين (ص د) و (ص ح) حسب هندسة اقليدس
ولا يخفى ان مسافة الخط (ص د) = سرعة النواة مضروبة بالوقت ^(١) (المدة) = (س ق)
ومسافة وتر المثلث (دح) تساوي سرعة الامواج المتتابعة مضروبة بالوقت = (ن ق)
و (ص ح) هي طول نصف القطر المجهولة قيمته فنعتبر عنها بحرف م
فلنا اذاً من هذا المثلث هذه المعادلة

$$(ن ق)^2 = (س ق)^2 + م^2 \quad \text{او} \quad (ن ق)^2 - (س ق)^2 = م^2$$

$$اي ق^2 (ن^2 - س^2) = م^2$$

$$\text{فاذاً } ق^2 = \frac{م^2}{ن^2 - س^2} \quad \text{وبالتجذير } ق = \frac{م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} \quad \text{معادلة ثانية}$$

في كلتا المعادلتين (ق = ق) اي ان انتشار الامواج الى الامام والوراء والى الجانبين كان
في مدة واحدة. اذاً المعادلة الاولى تساوي المعادلة الثانية هكذا : —

$$\frac{م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} = \frac{ن}{(ن^2 - س^2)} \quad \text{نضرب المعادلة بقيمة } \sqrt{ن^2 - س^2} \quad \frac{م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} = \frac{ن}{(ن^2 - س^2)}$$

$$\text{فلنا : } م = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}}$$

نقسم الصورة والمخرج (وبالاصطلاح المصري البسط والمقام) على (ن) فلا تختل المعادلة

$$\text{فلنا } م = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}} \quad \text{او} \quad \frac{م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}} \quad \text{او} \quad \frac{م}{\sqrt{ن^2 - س^2}} = \frac{ن}{\sqrt{ن^2 - س^2}}$$

وهي عبارة لورنتز بعينها

يستفاد مما تقدم انه في اثناء سير الذريرة الى الامام يكون محيط الجو الكهربائي المغنطيسي
غير تام الاستدارة بل يكون قطره (ب ج) الموازي لاتجاه سير الذريرة اقصر من قطره ح ح
المعادل له فهو في الدائرة ب ح ح وليس في ب ع ط ح ولا في ح ح ج ح
واذا كانت الذريرة تتقلص في اتجاه خط سيرها على هذا النحو والذريات تحافظ على ابعاد
مقررة فيما بينها فلا بد ان يعم هذا التقلص الجسم كله في اتجاه خط مسيره . ومقدار تقلصه
يساوي مجموع تقلص صنف من الذريرات مواز لاتجاه مسيره
بقيت حكاية الاثير وماذا جرى له بعد تجربة ميكلسن فلها فصل آخر

نقولاً الحداد

شبرا

(١) حسب قاعدة الطبيعيات المسافة = معدل السرعة مضروباً بالوقت م = س ق

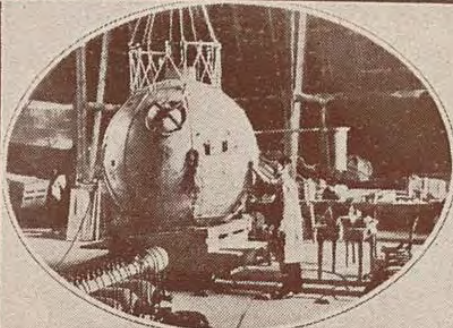
حرقة

لا تَرُعْ قلبي العبيد إذا ضجَّ أو قلقُ
 لا تَسَلْ عن شكاته دَعِه بالله والطلق
 لا تَطْنَنَّ ما به أثر اللَهْوِ والحُمُقِ
 أيَّ قلبٍ كمثل قلبي الفتي فاته النَزَقُ
 أدَبَتْهُ الحياةُ طَا غِيَةً فظَةً الخُلُقِ
 وقديماً أُنْتَهَتْ تَفَقُّرٌ عن ثَغْرِ ائْتَلَقِ
 أضْحَكْتُهُ الضحى لِشُحْنَسِينَ إِبْكَاءُ الفَسَقِ

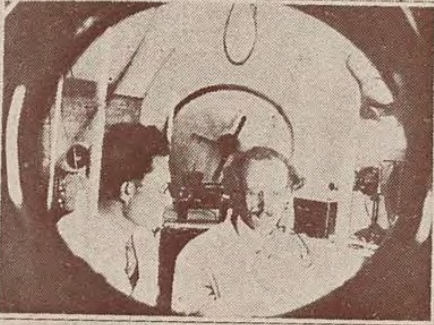
باريس

بسم فارسي

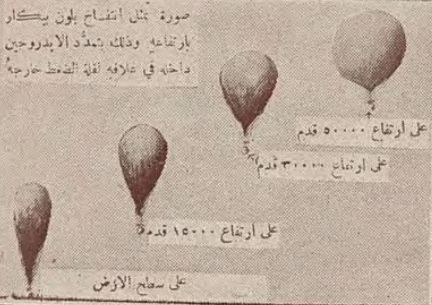
بلون بيكار كما كان قبل ارتفاعه في الهواء



صورة الكرة المدفئة بلون بيكار وهي من معدن خالص من القصدير والالومنيوم وقطرها ٦ أقدام و ١٠ بوصات ولها نافذة زجاجية وفيها جالس بيكار ومساعداه



صورة بيكار ومساعداه يكثفون داخل الكرة كما يشاهدان من نافذة الزجاجية



حتائق منسورة تمثل نواحي من تخليق الاستاذ بيكار Piccard الى ارتفاع عشرة اميال فوق سطح البحر في ١٧ مايو سنة ١٩٣١

ارتداد طبقات الهواء

رحلة بيكار الثانية — بلون رجنر المحلق

الهواء في نظر اهل العلم طبقات اقربها الى الارض طبقة تعرف بالتربوسفير اي المحيطة بالارض واقصى ارتفاعها نحو عشرة كيلو مترات (او $6\frac{1}{2}$ ميل) وتليها طبقة (الستراتوسفير في هذه الطبقة تتكون الغيوم Cirrus وقد دعاها العرب الطخادر جمع طخور فرأينا ان نطلق على طبقة الستراتوسفير اسم الطبقة الطخورية من قبيل تسمية الشيء باسم جزء منه) واقصى علوها نحو ٣٠ كيلو متراً (او $18\frac{3}{4}$ الميل) ثم على ارتفاع خمسين كيلو متراً توجد (نهراً) طبقة كنلي هيفيسيند وهي التي يفسر بها العلماء انتقال الامواج اللاسلكية حول الارض بالانعكاسها بين سطح الارض وباطن هذه الطبقة . والمرجح ان الجو وراء هذا الحد فراغ تقريباً كما يستدل من ظهور اضواء الشفق . ولكن هنالك من يذهب الى ان نيازك شوهدت على هذا الارتفاع مما يدل على ان كثافة الهواء كافية لاجداث احتكاك يشعل هذه الرجم المنطلقة في الفضاء ويرى السرجيمز جيز ان آثار الهواء تمتد الى ابعد من ذلك فوق سطح الارض . وقد قيست درجة الحرارة في الطبقتين المحيطة والطخورية فهي واطئة جداً ثم ترتفع . واما حرارة الطبقات العليا فلا يعرف عنها شيء مؤكد

اما رفع جسم وزنه ثلث طن الى علو ١٦ الف متر او اكثر بواسطة بلون فليس امراً متعذراً لان من شاء ان ينفق في سبيل غرضه كل ما يجب انفاقه يفوز ببغيته . أما إعداد بلون للارتفاع برجلين اثنين وادواتهما العلمية الى هذا العلو ، ثم تمهيد سبيل التنفس لهما والدف والبعث العلمي والرجوع الى سطح الارض ، فأمر آخر . والاستاذ بيكار جدير بكل ثناء وعجاب لتحقيق ذلك كما اثبت في رحلته

فالبلون كيس يحتوي على ٢٨٠٠ متر مكعب من غاز الايدروجين على سطح الارض وهو خمس حجمه اذا بلغ اقصى انتفاخه . فاذا صار على ارتفاع ٥٦٠٠ متر قل ضغط الهواء على خارج غلافه فيتمدد الغاز داخله ويزيد حجمه الى ٥٦٠٠ متر مكعب وهو خمسا حجمه الصحيح فاذا بلغ ارتفاع ١٠ آلاف متر قل ضغط الهواء كذلك فيتمدد الغاز ويصبح حجم البلون ١٠٠٠٠ متر مكعب ثم اذا صار على ارتفاع ١٥ الف متر بلغ البلون اقصى انتفاخه وصار حجم الغاز فيه ١٤ الف متر مكعب . ويكون البلون وهو على سطح الارض كمثري الشكل ثم يزداد كروية رويداً رويداً الى ان يصير كرة كاملة على ارتفاع نحو ١٥ الف متر

اما الكرة التي جلس فيها بيكار مع معاونيه فصنوعة من خليط من الالومنيوم والقصدير قطرها

متران ومعلقة بالبلون بحبال متينة . والهواء داخلها يحدد بواسطة أكسجين نقي يخرج خروجاً منتظماً من اسطوانتين خاصتين تحتويان عليه وكل منهما تحتوي على مقدار منه يكفي لحفظ هواء الغرفة طبيعياً مدى ثماني ساعات . وقد عمدا الى ذلك لان الكرة مقفلة اقفاً محكماً . فالهواء على الارتفاع الذي كان الاستاذ بيكار ينبغي ان يصل اليه لطيف جداً لا يستطيع الانسان ان يتنفس فيه . والحرارة واطئة لا يحتملها الجسم البشري . واذاً فيجب ان نحيط العالم المحلق بجو كالجو الذي اعتاده . وكانت الكرة تحوي كذلك ادوات علمية كثيرة لقياس قوة الاشعة الكونية والحرارة والضوء وبخار الماء في الطبقة الطخورية وغاز الحامض الكربونيك وغير ذلك من المسائل التي يتوق العلماء الى معرفتها . ويظهر انه في رحلته الثانية وجهه جلّ عنايته الى قياس قوة الاشعة الكونية

غرض الرحلة العلمي

مضى الآن بضع سنوات وعلماء الطبيعة معيّنون بدرس نوع جديد من الاشعة تعرف أنا باشعة ميلكن وأنا باشعة هس وأنا بالاشعة التي وراء اشعة غما وأنا بالاشعة الكونية وهو اشهر اسمائها نسبة الى مصدرها في فضاء الكون الرحيب . وليس هذا مجال البحث في هذه الاشعة ^(١) فنكتفي بان ننقل عن الاستاذ بيكار نفسه الباعث الذي يجعل قياس هذه الاشعة على مر تفعات عظيمة امراً جديراً بعناية العلماء

فالمشهور ان الغازات في حالتها الطبيعية لا توصل الكهرباء كما توصلها الاسلاك المعدنية اي انه لا يسهل على الكهرباء اجتياز مقدار من الغاز كما يسهل عليها اجتياز قطعة من النحاس . ولكن اذا صوبت بعض الاشعة الى الغاز الذي لا يوصل الكهرباء اصبح موصلاً كهربائياً ضعيفاً . ومن هذه الاشعة الاشعة التي وراء البنفسجي ، والاشعة السينية (اشعة رنتجن) ، والاشعة السالبة (الالكترونات) والاشعة المنطلقة من العناصر المشعة . ويعلم ذلك بان الاشعة تفصل من ذرات الغاز بعض كهاربها (الكترونات) فيصبح الجزء الباقي من الذرة وشحنة الكهربائية شحنة موجبة (كانت الشحنة الكهربائية الموجبة والشحنة السالبة متعادلتين فلما نقص كهرب من الذرة اصبحت شحنة الجزء الباقي منها موجبة) وهو يعرف « بالأيون » والفعل « أيّسن وتأيّن تعريباً » . اما الكهارب المنفصلة فتصطدم بذرات كاملة وتلتصق ببعضها فتصبح الذرة التي التصق بها كهرب شارد وشحنها الكهربائية شحنة سالبة (زيادة الكهرب ذي الشحنة السالبة) فهي « أيون » كذلك . وهذا يجعل الغاز موصلاً للكهربائية لشدة حركة الدقائق المكهربة التي فيه . ومع ذلك فالغازات « المؤينة » اضعف جداً من الفلزات في ايصال الكهرباء ولدى البحث وجد اننا اذا ازلنا من المنطقة المحيطة بغاز من الغازات كل مصدر من

(١) راجع المقتطف ج ٦٨ ص ١٦٢ وج ٧٢ ص ٣١٦ و ٧١٣ وج ٧٣ ص ٢٠

مصادر الأشعة التي « تؤيينه » ظل موصلاً ضعيفاً للكهربائية فيتولد فيه في السنتيمتر المكعب « ايون » واحد او « يونان » في الثانية . ولكن اذا انزل الوعاء المحتوي على هذا الغاز الى عمق مائة متر من الماء النقي من شوائب المواد المشعة (وهي التجارب التي قام بها هس في المانيا وملكن في اميركا) اصبح الغاز لا يوصل الكهربائية على الاطلاق . اي انقطع تولد الايونات فيه وعلى الضد من ذلك اذا رفع الوعاء المحتوي على الغاز الى علو ٩ آلاف قدم فوق سطح البحر زادت قوته على ايصال الكهربائية اي زاد تولد « الايونات » فيه

واذا فُتمة اشعة تصل الى سطح الارض من مصدر مجهول تفعل في هذا الغاز « فتؤيينه » وتجعله صالحاً لا يوصل الكهربائية بعض الايصال . هذه الاشعة اطلق عليها اسم « الاشعة الكونية » ونحن لا يصلنا الا جانب ضئيل منها لان الهواء يمتص الجانب الآخر

وقد دلت المباحث على ان هذه الاشعة اشد نفوذاً من اشعة الراديوم . فلوح من الرصاص ثخنته سنتيمتر ونصف سنتيمتر يضعف اشعة غمما — اذا نفذته — الى نصف قوتها . واما الاشعة الكونية فتحتاج الى لوح من الرصاص ثخنته ١٥ سنتيمتراً ليضعفها الى نصف قوتها واغوى هذه الاشعة يحتاج الى لوح رصاصي ثخنته متر ونصف متر ليفعل فيه الفعل نفسه

ثم هنالك الناحية النظرية الفلسفية . كيف تتولد هذه الاشعة . ومن اين تجيء . هل هي كما يقول ملكن انباءً من رحاب الكون بأن العناصر الثقيلة تتكون في الفضاء من ذرات الايدروجين وانه في اثناء تكونها يفنى جانب ضئيل من الايدروجين (راجع المقال الاول في هذا الجزء من المقتطف) فيتحول الى اشعاع شديد النفوذ ؟ او هي كما يقول معارضوه — الفلكي جينز وغيره — نتيجة لفناء المادة بتحوّلها الى اشعاع ؟

ولما كان الهواء يمتص جانباً كبيراً من هذه الاشعة فلا يصل الى الارض الا اليسير منها جعل الاستاذ بيكار غرضه قياس قوتها على مرتفع قريب من سطح الغلاف الهوائي . وعند العلو الذي بلغه في رحلته الثانية (١٦٥٠٠ متر فوق سطح البحر) يبلغ ضغط الهواء على الزئبق ١/٣ من ضغطه على سطح الارض اي ان مقدار الهواء تحته كان تسعة اعشار الهواء وفوقه عشر فقط وقد توسل الاستاذ رجنر Erich Regener الالماني الى تحقيق الغرض نفسه بارسال بلون لا يحتوي الا على آلات تدون من تلقاء نفسها قوة الاشعة الكونية في فترات منتظمة فبلغ بلونه هذا — في ١٣ اغسطس الماضي ^(١) الى ارتفاع نحو ٢٦ كيلو متراً او ١٧ الميل (في حين ان اعلى ما بلغ اليه الاستاذ بيكار عشرة اميال ونصف ميل) . وبعد ما ظل البلون محلقاً بضغ ساعات نزل الى الارض في حراج فلزهيتم قرب مدينة ستغرات . ومن اغرب النتائج التي اسفر عنها البحث في الواحه الفوتوغرافية المدونة ان قوة الاشعة الكونية تزيد زيادة مطردة الى نحو علو ١٣ كيلو متراً ثم تنقص . ولكن هذه النتيجة تحتاج الى تأييد

(١) كانت رحلة بيكار الاولى في ٢٧ مايو ١٩٣١ والثانية في ١٨ اغسطس ١٩٣٢

نشأة المسرح الاغريقي

او العناصر التمثيلية الاولى عند الاغريق قبل القرن الخامس ق . م .

بقلم الدكتور علي عبد الواحد وافي (١)

لم يصل التمثيل عند الاغريق الى درجة النضوج والكمال التي بلغها في العصر الاتيكي (٥٠٠-٣٠٠ ق . م) الا بعد ان قضى عهد طفولته الاولى في العصور السابقة وفي حضارة الدين اليوناني الذي تمخض عنه ، وتعهده حتى نما وترعرع ، وأبى الا ان يلازمه ملازمة الام الرءوم في كل اطوار حياته . فقد جرت عادة الاغريق ، منذ اقدم عصورهم ، ان يقيموا حفلات دينية لآلهتهم يحرضون فيها كل الحرص على اظهار تأثرهم بما ملا حياة هذه الآلهة من خطوب ، فيفرحون بما نالهم من نعيم ويحزنون لما اصابهم من شقاء . وأمثل طريق تخيلوها لاطهار ما يسرهم او يحزنهم من حياة هذه الآلهة وما عرض لهم فيها انما هي محاكاتهم اياهم محاكاة مصحوبة بأغنيات تروي قصصهم وتفصل جليل اعمالهم وحقيقتها . وبذلك تحقق قبل العصر الاتيكي ، بفضل هذه الاعياد الدينية عنصران كبيران من عناصر التمثيل : المحاكاة وإثارة العاطفة اشرب اليونان في قلوبهم حب هذه الاعياد ووجه نحوها أكبر قسط من عنايتهم ، وخاصة في المدن المقدسة حيث مقر كبار الآلهة وشهيري المعابد كقريط وديلوس ودلف وما اليها من الاماكن التي حبتها الاساطير بضياء ديني رفع من مكانتها وميزها بين سائر بلاد الاغريق فحفلات دلف مثلاً ، كما وصفها لنا فلو طرخس ، كانت تشتمل على حلقات تمثيلية طويلة متعددة الفصول قريبة الشبه بالتمثيل التراجيدي (٢) ، لولا ما كان يعوز فصولها من التناسق وإحكام ربطها بعضها ببعض . كانت الاساطير تحدث اليونان مثلاً بأن « أبلون » (إله الوجد ، والطب ، والموسيقى ، والمأشية ، والنهار والشمس) لما وصل الى دلف قتل تنيناً بريئاً (٣) رمياً بالسهم ، وبعد ان تلوثت يداه بهذه الجريمة ذهب الى وادي « قمي » ليتطهر من خطيئته ، ثم رجع الى دلف . . . الى آخر ما جاء في هذه الخرافة . فكانوا ينتهزون فرصة حلول عيد « السبتيون » الذي كانوا يقيمونه لأبلون فيمشلون معركته مع الحية والحوادث التي نجمت عنها . وفي العيد المسمى « الهرواس » الذي كانوا يقيمونه « لسيميلية »

(١) ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة باريس ، استاذ التربية بدار العلوم العليا ، والاخلاق بقسم التخصص بالازهر ، وتاريخ الادب المسرحي بقاعة المحاضرات التمثيلية (٢) الرواية الفاجعة ، الحزنة ، المأساة Python وتعرف هذه الحية في السودان بالاصلة عن معجم الحيوان (٣)

محبوبة المشتري (الإله جوبيتر أو زفس، أبو الآلهة ورئيسهم، إله الأرض والسماء والفصول والصواعق والسحاب والعد . . .) وأم الإله «باخوس»، كانوا يمثلون ما تقصه عليهم الخرافات من الأمور المتعلقة بهيام المشتري بسيميلية وبموتها مصعوقة وبنشوء جنينها باخوس . وكان ثمة، غير هذين العيدين، أعياد كثيرة يضيق بنا المقام عن حصرها بعضها محلي قاصر على أهل مدينة خاصة، وبعضها عمومي تشترك فيه مقاطعة أو أكثر من المقاطعات الاغريقية وقد شاطر الآلهة في هذا التقديس كثير من أبطال اليونان الاول الذين جاء ذكرهم في قصائد هوميروس والذين اكتسبوا على تقادم الزمن صفات قربتهم من الآلهة دون أن تفصلهم فصلاً تاماً عن البشر . فكانت كل مدينة ينتسب اليها بطل من هؤلاء الأبطال تقيم له أعياداً شبيهة بالحفلات التي كانت تقام للآلهة انفسهم، تمثل فيها حياته ويتغنى فيها بأقاصيص حروبه وانتصاراته واعماله الجليلة وما كان له من فضل على المقاطعة المحتفلة بذكره . وقد كان لهذه الاعياد الوطنية في نشأة التمثيل أثر لا يقل عن أثر الاعياد الدينية

غير أن إلهين اثنين قد أثرت اعيادهما في نشأة المسرح الاغريقي تأثيراً خاصاً لما كانت تشتمل عليه هذه الاعياد من محادثتهما في حياتهما الحافلة بكثير من الحوادث المحزنة والسارة ولما كانت تثيره هذه المحاكاة في نفس الشعب من مختلف الانفعالات والعواطف من هيام ورعب وحزن وسرور وقسوة وحنان وابتهاج الظفر ومرارة الاخفاق . . . وما الى ذلك من حركات الوجدان التي تعتبر إثارتها كما اشرنا الى ذلك فيما سبق، عنصراً كبيراً من عناصر التمثيل، وهذان الإلهان هما: «ديميتير» Demeter و«ديونيزوس» Dionysos

١ - أما «ديميتير» فهي إلهة الأرض وقوى الطبيعة المنتجة، تروى الاساطير أن «هاديس» (ملك جهنم وإله الموت)، قد خطف بنتها «كورتى» فأثار ذلك شجونها، وآلت ألا يهدأ لها مضجع أو تعثر عليها، فطفقت تبحث عنها مبليلة الخاطر، فارغة الفؤاد، تتقاذفها الطرق، وتتبادلها الاصقاع، كأنها موكلة بفضاء الأرض تذرعه، حتى ألقت عصاها بمدينة «اليزيس» الواقعة في الشمال الغربي من أثينا، حيث استقبلها ملكها «تريتوليم» استقبالاً باهراً، حفظته له، وكافأته عليه بأن علمته فن الزراعة . . . إلى آخر ما جاء في هذه الاسطورة . فكانت تمثل في أعيادها كل هذه الحلقات الالهية التي تألفت منها سلسلة حياتها، وتسرد قصصها في أشعار غنائية لا يسع سامعها إلا مشاطرة هذه الأم البائسة آلامها، ومقامتها قلقها وبليلة خاطرها في أثناء بحثها الهائج العميق، والحق على ذلك الإله القاسي الذي حرما فلذة كبدها وصيرها إلى تلك الحال، والسرور عندما يظهر في ظلمات حياتها وميض أمنية أو بارقة أمل . هذا إلى أن من ذلك التمثيل ومن هذه الأغنيات كانت تظهر صور مختلفة للطبيعة وما ينالها في فصول السنة على اختلافها من نضرة وبهجة حيناً ومن ذوى

وذبول حيناً آخر . وبذلك كانت تمتزج في نفوس الرائيين والسامعين عاطفة الاجلال لنواميس الطبيعة ونظمها والاذعان لما تشاؤه مع انفعالات الاضطراب والاسى ، — والهدوء والسرور... التي تثيرها قصة ديميتير نفسها . ومن خلال هذا كله تنبثق معان فلسفية وتعاليم دينية تتعلق بالانسان ومصيره وضعفه أمام قوة القضاء

٢ — ولكن هذه العبادة ، على ما فيها من جلال وجمال وفضل على التمثيل ، لم تبلغ الشأو الذي بلغته في هذه النواحي عبادة ديونيزوس

تروى الاساطير أن ديونيزوس (إله الخمر) ، قد ماتت امه سيميلية ولما تم مدة حملها ، بصاعقة أرسلها عليها حبيبها المشتري (جوبيتر او زفس) حين طلبت إليه أن يريها كل مظاهر قدرته ، وحينئذ انتقل الجنين ديونيزوس إلى فخذ والده حيث قضى بقية مدة الحمل ، فوضع بجبل « نيزا » حيث تولته الآلهة المسماة العذارى (Nymphs) ، ثم تعلم فن زراعة الكرم من الإله «سيلين» وينسب إليه ، فضلاً عن هذا ، عدة أمور لا تقل صفاتها التمثيلية عن حوادث حملها وولادته وتربيته الاولى ، منها أنه شخص الى الهند على رأس كتيبة حربية كللت أعماها بالظفر ، ومنها أنه اشترك مع والده في الحروب التي أعلنتها آلهة المجمع الاولمي على الشياطين وانه قد ابدى في هذه الحروب شجاعة نادرة جعلت رئيس المجمع الاولمي يعجب به ويهنئه ويعتمد عليه ، ومنها انه قد اختطفه يوماً القرصان (لصوص البحر) ولكنه انتقم لنفسه منهم شر انتقام ، ومنها انه أحب « أريادن » بنت « مينوس » (أحد ملوك قريط الخرافيين) وأشربت حبه في قلبها ، ومنها انه كان لا يسير إلا مع رفاق فرحين يتألفون غالباً من «الساتير» (وهي في الطبقة الدنيا من طبقات الآلهة لهم قرنان صغيران وسوق كسوق المعز ووجه كوجه الانسان وقامة كقامته، ويحملون بأيديهم غالباً مزماراً وتارة كأساً وآونة عصا «السيلين») ومنها ان الملك «ليكورغوس» قد طرده هو ورفاقه احتقاراً لهم وظناً منه انهم لا حول لهم ولا قوة ، ولكنه قد طاش سهمه فقد اذاقه ديونيزوس كؤوس العذاب جزاء له على فعلته الشنيعة (وهذه الاسطورة الاخيرة كانت منتشرة على الاخص بين اهل تراقية) وغير ذلك من الامور التي يضيق المقام عن حصرها. فاذا كان لأعياد ديميتير ما رأيت من الأثر في نشأة المسرح الاغريقي ، مع ان القصة التي كانت يتغنى بها في هذه الاعياد لا تشتمل إلا على عنصر واحد أو عنصرين : حزن الام على فقد بنتها وبلبله خاطرها اثناء بحثها عنها ، فاذا عسى ان يكون اثر اعياد ديونيزوس وقد اشتملت قصته على هذه المفاجآت العديدة التي تقدم ذكر بعضها والتي من شأنها ألا تدع قوة من القوى العاقلة حتى تستحشها ولا مظهر من مظاهر الوجدان حتى تثيره ؟ !

يذهب اليوناني يوم عيد ديونيزوس ، يوم عيد الهة الذي يضم له الحب كله ويعرف له اياديه البيضاء على خصب حقله وتناج كرمه ، يذهب الى المكان المعد للاقامة الاحتفال وقد

ملكته عليه عاطفته الدينية كل مشاعره وجعلته قابلاً لان يتأثر بأدنى مؤثر ويشور لاقول الاشياء إثارة ويطير لبه لاضعف صوت موسيقي ، فيسمع الجوقة تغني قصة الا له المحتفل به ، بادئة بحوادث حمله وما أصاب والدته المسكينة التي راحت ضحية حمقها وشكها في قدرة المشتري ، فيتملكه حزن عميق لا ينقذه منه إلا عاطفة اشد وطأ : عاطفة القلق على مصير ذلك الجنين الذي صعقت أمه ولما تم مدة حمله . وبينما هو في ذلك الاضطراب النفسي إذ يقرع آذانه خبر انتقال ديونيزوس من بطن امه الى فخذ ابيه فتهدأ ثأرته ويشمله فرح مؤقت لا يلبث ان يختفي ليحل محله ازعاج آخر عند ما يصل المغنون في قصصهم الى حادثة خروجه ، بعد ان تمت مدة حمله ، من هذا الفخذ الوثير ، الى قمة ذلك الجبل الموحش ، حيث لا أم تتعبه ، ولا حاضنة تقوم بشئونه ، ولا غذاء يقيم أوده ، ثم تبرق اسارير وجهه فرحاً عند ما يعلم ان الله قد قيض له « العذاري » واستبدله امهات بأُم واحدة . وهكذا دواليك يظل قلبه ميداناً لشتى العواطف حتى يؤذن مؤذن ان قد انقضى العيد

هذا الى ان تلك الاغنيات كانت تتعرض لقوانين الطبيعة الخاضعة لها الكائنات الحية ، ولا سيما ما يتعلق منها باعمال الاله ديونيزوس ، فتصف تتابع الفصول وآثارها على اشجار الكرم التي يمتها الشتاء ، فتبسس جذوعها وتذوي ثمرتها وتتساقط اوراقها ، ثم يبعثها الربيع فتسري فيها عناصر الحياة قليلاً قليلاً حتى تعود اليها نضرتها الاولى كاملة غير منقوصة . وبذلك كان يمتزج في نفوس السامعين والرائين نوعان من العواطف : عواطف الحزن والسرور ، والاضطراب والهدوء ، والخوف والطمأنينة وعواطف الاجلال لسنن الطبيعة وإكبار أعمالها والاعتراف لها بالجميل

ومن هذه الاغنيات أيضاً كانت تظهر معان فلسفية دقيقة تمثل عمل الانسان وجهله اذ يحسب احياناً شقوة ما يكفل له الهناءة ، ويسعى تارة الى حتفه بظلفه فيجلب على نفسه الوبال بالوسائل التي يخال انها تحقق له السعادة . فلم يكن اثر هذه الاعياد قاصراً على الوجدان والعاطفة بل كان يتعداها الى كثير من مظاهر التفكير

وكان يساعد على إظهار كل هذه العواطف والمعاني في نفوس المغنين وسامعيهم ما كانوا يلتجئون إليه من وسائل الاثارة الصناعية مستفيدين مما كان يبيحه الدين الاغريقي في اعياد ديونيزوس خاصة من الاغراق في المأكل والمشرب والاستمتاع بلذة الحياة المادية وكانوا يأكلون حتى التخممة ويشربون حتى التمثل وتميد بهم النشوة فيرقصون

وقصارى القول : إن عبادة ديونيزوس كانت اضخم العبادات ثروة في العناصر التمثيلية ، فلا غرو ان ينسب اليها أكبر قسط من الفضل في تمهيد الطريق أمام المسرح الاغريقي وإعداد النفوس لتذوقه ، وأن تعتبر أجل فاتحة لتراجيديات العصر الاتيكي

الله في الحياة

نتباين العلوم بمادتها ومقدماتها وبالمعاني التي تنتهي إليها رغم الأسلوب العلمي الذي يوحدها بينها ورغم نزعتها الحادة إلى الحقيقة الصرفة . فجلاء فكرة الله ليس وفقاً على علم دون آخر ولكل علم رسالته الخاصة في الله ووصفه الخاص لتلك الناحية من الله التي يتصل بها . فلا بد من العرض لجميع العلوم سعياً وراء تكوين فكرة زينة غير مشوهة عن رسالة العلم الحديث في الله وطبيعته وقد تناولنا في مقالين سابقين الوجهة الرئيسية من رسالة العلم الطبيعي في الله . وهي تتلخص في اثبات الحرية والابداع في أقصى تركيب الكون ، أي في تصرف الكائنات ، كما أنها تعزو إلى الله التفكير الرياضي الخالص لأنها تدهش إذ تلمح الرياضيات متغلغلة في جميع ما طرقه العلم بعد من جوانب هذا الكون . وإذا قرنا ان الرياضيات ترمز إلى منتهى القدرية والضبط اتضح لنا ان الطبيعيات الحديثة تنتهي فيما يختص بالله إلى اسناد صفتين في الظاهر متناقضتين إليه ، أعني صفة الحرية وصفة القدرية . أما كيف السبيل إلى التوفيق بين هاتين الصفتين في نفس الرسالة الواحدة فلا اخال احداً يستطيع الآن التكهّن به . لكننا نعتقد ان هذا التناقض ظاهري أكثر منه حقيقي ، وزائل أكثر منه دائم ، ولنا من حالة العلم الحالية غير الكاملة ، ومن حادثة هذا الضرب من التفكير عن الله ، ومن يقيننا بان الفكرة الكاملة لله لا تستخرج من جانب واحد من جوانب النشاط البشري بل تنبثق في انسجام رسالات الحياة جميعاً — لنا من كل هذا ما يجعلنا نؤمل ونعتقد اننا انما نحن الآن في طور فطري لحركة لن تلبث ان ترقى مع الزمن إلى درجات الكمال

إن الكمال النظري لا يهبط بغتة من عليين بل يرسم بحروف تختلف وضوحاً وغموضاً في افق النشاط البشري المتواصل . ومن الجهل الفاضح ان نفتخر كمالاً جاهزاً من حركة ذهنية هي بعد في الطور الاول الشديد المرونة . ولا تطلب الحقيقة التاريخية منا في هذه الحال الا ان نفد ببصيرتنا إلى ما تنطوي عليه هذه الحركة وقد تنكشف عنه . من اجل هذا لا يقلقنا كثيراً ان نرى في رسالة العلوم الطبيعية في الله شيئاً من التناقض والاثرة والعيب ، بل نحن نحوط هذه الرسالة صبراً واطمئناناً حتى تتكامل وتفتح عن جميع متضمناتها . ويقيننا ان هذا التكامل قريب الحدوث

وهناك جانب ثان من النشاط الذهني الحديث غير جانب العلوم الطبيعية يحاول اصحابه بطريقتهم الفذة ان يستشعروا معنى من معانيه يستطيعون اسناده إلى الله . هذا هو جانب العلوم

الحياة . فهذه العلوم لها رسالة خاصة في الله ، وفي هذا المقال نحاول عرض هذه الرسالة ونقدمها عند ما نشأت الروح الحديثة في علوم الاحياء الفت نفسها تجاه تراث ضخم من العقيدة والنظرية ، وسرعان ما ايقنت انها تتعارض اسلوباً ونظرة مع هذا التراث الهائل ، فاخذت على عاتقها بادى ذي بدء نقد هذه الكتلة النظرية من اساساتها . وحركة النقد هذه بلغت اشدّها في القرن التاسع عشر ولا تزال نشطة الى يومنا هذا

اما العيب الكبير الذي رأتُهُ الحركة العلمية الحديثة في علوم الاحياء العتيقة فهو أن هذه تركّز في عقائدها وتصريحاتها على ثلاثة فروض يكفيها جميعاً قليل من النقد الحديث حتى تنكشف عن اساس جدّ واهنة . اولاً إن جلّ ما يُطلب الى العالم في دراسته الاحياء ان يصنفها جميعاً فيضع كل حيٍّ في بابهِ الخاص به . ثانياً ان الاحياء موجودات ثابتة ثبوت عناصر الكيمياء لا سبيل لايّ تغيير اليها . ثالثاً ان الشرط الأوحد لصحة نظرية حيوية ان يقتنع التفكير الخالص بانها نظرية معقولة فيجب لذلك ان يؤيدها الواقع

اذا قابلنا هذه الفروض الثلاثة بالروح العلمية السائدة في علوم الاحياء الحالية فييناها اشد ما تكون مناقضة لهذه الروح . فالتصنيف لم تعد له القيمة التي تخيلها العلم العتيق وهو الآن على اية حال يستمدُّ الهامه من مبادئ غير تلك التي تحكمت في التبويب السالف . فمثلاً كان التصنيف السابق يبني معظم نتائجه على التشابه في التركيب دون اعتبار وافر لوظائف الاعضاء اما الآن فالوظيفة هي اهم ما يسترشد به في التصنيف الحديث . كذلك البيئة الخارجية لم يعرها التصنيف القديم انتباهاً يذكر بينا هي الآن بتفاعلها مع الكائن الحيّ الفكرة الاساسية لمعنى كلمة «حيّ» . هكذا الامر فيما يختص بقيمة التصنيف العامة لأن العلم عاد لا يرى كما كان يرى فيما مضى قيمة كبرى لمجرد تبويب حيٍّ ما في صفٍّ او جنسٍ خاص لانه شغل عن كل هذا باستيعاب تصرف هذا الحيّ وتفاعله مع محيطه وطريقة نموه والتعاون البديع بين اعضائه ومجموعة العوامل التي تؤثر في حياته . وما لم تفهم جميع هذه الواجه حق الفهم سقط ما توخاه العلم من قيمة التصنيف لأنّ هذا يصبح اذ ذاك تصنيفاً تعسفياً لا يستند الا على الوجهة التركيبية الجامدة من الحيّ ، وهذه الوجهة مهما ظهرت هامة بمحد ذاتها لاتعدو في الواقع عن ان تكون احدى اوجه الحيّ الكثيرة . فالنظرة الجديدة للحيّ ترى في تركيبه وسيلة لا غير ، ترمي الى ابعاد منها ، اي الى استكمال ذاك التوازن العضوي بينه وبين بيئته الذي لا يتكشف معناه كاملاً الا باعتبار الحيّ كاملاً متواصلاً منذ تكوينه الى نهايته ، مندمجاً كذلك في تاريخ سلالته ، موحداً في النهاية في تاريخ الحياة العام

والدعامة الثانية للتفكير العضوي العتيق هي ان الاحياء مخلوقات ثابتة لم يطرأ عليها تحوّل في التركيب والوظيفة منذ خلقها . ويكفي بصدد هذا المبدأ ان نقول ان النظرة الحديثة ترمي

الى عكسه تماماً اي الى الايمان الوثيق بان الاحياء كسواها من الموجودات قابلة للتطور في تركيبها وتصرفها وانها قد تطورت فعلاً خلال تاريخها تبعاً لمقتضيات تفاعلها ببيئتها . هذه نظرية التطور العضوي ، والعالم الذي يرى من الشجاعة المنطقية بعد دراسته الاحياء ألا يؤمن بها غير معروف لحسن الحظ . ولا اعرف وسيلة لتعريف القارئ مقام هذه النظرية الحالي افضل من حالته الى المقالة النفيسة في صدر مقتطف يونيو الماضي عن « دارون ومذهبه »

والمبدأ الثالث الذي تضمنته النظرية الحيوية العتيقة هو مصيبة مصائب التفكير القديم على اطلاقه وهو لا يزال الي يومنا هذا متحكماً في تفكير فريق غير قليل من علماء الاجتماع . هذا المبدأ هو الخلط بين الحقيقة الواقعية والكمال النظري . فكان يكفي لبرهان وقوع حقيقة ان تتمكن من اظهار هذه الحقيقة وهي جزء صحيح في تركيب منطقي . فمثلاً نود ان نعلل ظاهرة ما يسمونه بالتنويم المغنطيسي . هذه الظاهرة تُحسب معللة تمام التعليل اذا قلت مثلاً ان التفكير تموج اثري ينبعث من دماغ مفكر في الوسط المحيط به ، فاذا وجد في هذا الوسط دماغ آخر موافق لدماغ الاول من حيث خصائصه الاشعاعية التقط هذه التموجات وفهمها . ولذلك فالنوم المغنطيسي يبعث بموجات تفكيره في الاثير المحيط به والوسيط ينفعل بهذا التموج ويفهمه كما تفهم ذاك التموج الهوائي الذي تنفعل به اذنك اعني الصوت . هذه كلها نظرية جد معقولة لا ينقصها شيء من حيث البناء المنطقي . ولكن هل هي حقيقة واقعية ؟ هل ثمة تفكير على الاطلاق ؟ واذا كان ثمة تفكير فهل هو في الواقع تموجات اثيرية ؟ وماذا نعني بالاثير هنا ؟ وهل يلتقط دماغ ما تفكير دماغ آخر بحيث ينفذ الى معناه ؟ هذه كلها لم تعن النظرية العلمية العتيقة لانها خلطت بين المعقول والواقع . وقد بلغ هذا الخلط اوجّه في علوم الاحياء ، فما نظريات ارسطو وبوفون ولا مارك وفيزمان وغيرهم الا شواهد على هذا الخلط . وقد وقع دارون نفسه ، على شدة حذره ودقته ، في نفس هذا العيب فيما يتعلق بأرائه في الوراثة وسننها

يمتاز التفكير العلمي الحديث بانه فصل نهائياً بين الواقع والمعقول وحدد لكل نطاقاً خاصاً به من الحقيقة التصوي . فالمعقول بحث امكان الوجود والواقع بحث حقيقة . وقد يلوح الواقع في بادئ الأمر غير معقول لكن في الحقيقة كل واقع لا بد وان يكون معقولاً كذلك . اما المعقول على اطلاقه فكثيراً ما لا صلة له بالواقع . والعلم بتصويره الحديث انما هو بحث الحقيقة الواقعية ، في حين ان المعقول تتناوله الفلسفة والرياضيات . وشروط غير شروط الواقع لكن الاثنين ينسجان في الخبرة البشرية العامة

هذه الاركان الثلاثة للنظرية العضوية القديمة كانت اول ما شغل العلم الحديث بنقدها . وعملية النقد هذه ليست غاية لذاتها بل الغرض منها تعبيد الطريق للبحث الحديث .

ولذلك فما ان استقر في ذهن العالم العلمي ان هذه الاركان فاسدة تتطلب نقداً واصلاحاً حتى وقع النقد والاصلاح بالفعل ونشأت الطريقة العضوية الحديثة بأسلوبها التجريبي ونزعها الجامعة ونشأتها الحقيقة الواقعية . ولكل أسلوب ونزعة ونشأت فلسفة خاصة اي مجموعة من الفروض والمعاني تنطوي عليها جميعاً . فما هي الفروض والمعاني التي تنطوي عليها النظرة الحديثة للحياة والأحياء ؟

تنطوي أولاً على هذا الذي اشرنا اليه عن الواقع والمعقول . إن الامر الواقع فيما يختص بالحياة أنها ناحية واحدة من الكون قد كان بمقدور ذاك النطاق الأوسع ، اعني نطاق المعقول ، ان يجعلها غير ما هي عليه الآن . فما نشاهده من سنن الحياة الأساسية ، كضرورة تركيب البروتوبلازم وسنن الوراثة وسنن النشوء والتنسيق العضوي ، كل هذه امور واقعية يجب تبينها وتعرفها بما هي عليه بالضبط . لكن ليس ثمة ، من الوجهة السابقة ، اي اطلاق او ضرورة فلسفية لوقوع هذه الامور . فقد كان بالامكان وضمن حيز المعقول ان تقوم في صلب هذا الوجود حياة غير هذه الحياة لها نفس المسوغ الفلسفي الذي لهذه الحياة . واذن نستنتج من كل هذا ان ممكنات الوجود اكثر مما نستطيع التعبير عنه من واقعياته

هذا من حيث الممكنات المطلقة للوجود . وللوجود كذلك ممكنات نسبية لها روعتها وجلالها . ذاك ان هذا النظام الذي نتعرفه في الطبيعة الحالية لم يحقق بعد جميع ما يضمه هو من ممكنات وقيم ، وكل ما نشاهده في هذا الكون من نجوم وذرات وبشر ينزع الى ضروب من الوجود لا يمكننا التمكن بها الآن . ففي قدس هذا الوجود ترتع انظمة وعلاقات وتراكيب من الابداع والغنى بحيث تلوح وهي وجود جديد مستقل عن هذا الوجود الذي يضمها خذ هذه الحياة مثلاً لذلك ، فتاريخها منذ ظهورها على هذا السيار حافل بما نحن بصدد من ممكنات هذا الكون . فالصفات التي بزغت في الحياة خلال تفتحها التاريخي ابلغ شاهد على ما يكتنه النظام الكوني الحالي من وفرة وغنى . فالتفاعل الحيوي ، والذاكرة ، والاستفادة من الخبرة ، والغريزة ، والاعتباط بالصحة والقوة ، والعاطفة ، والشعور ، والتعليل ، والمعرفة ، والوعي ، والجودة الادبية ، والحب — جميع هذه تمثل وفرة ما كان مضمراً في نطفة الحياة الاولى وفي سنن هذا الكون . ولا اقصد بهذا ان بين هذه النطفة الاولى وهذه الصفات علاقة سببية كاملة ، بمعنى السببية المؤلف ، بل اعني ان تفاعل الحياة منذ نشأتها مع ذاك النظام الذي يحتضنها احتضاناً ، اي الطبيعة وسننها وحرركاتها ، هذا التفاعل الحيوي المستمر انتهى الى هذه الصفات . فالحياة توازن دقيق مع الكون ، وصفات الحياة ار هذا التوازن الدقيق

وعند النقد والتأمل الدقيقين نستطيع ان نلمح في تتابع الصفات الحيوية الذي وقع بالفعل في التاريخ نظاماً عاماً يطبع هذا التتابع بطابع مميز له عن اي تتابع آخر . هذا النظام هو ما نعبر عنه عادة بلفظة « رقي » او « تقدّم » . وقاعدة هذا الرقي هي الانتقال العام من البسيط الى المركّب ومن العام الى الخاص ومن الوحدة والانفراد الى الاتحاد والائتلاف . اي ان الكون ، بسننه وتركيبه ، سمح لبزوغ سلسلة من الصفات الحيوية تتسق جميعاً في قاعدة عامة هي هذه القاعدة التقدمية التي وصفنا . فعند ما بزغ وعي الانسان او حبه او عاطفته او اجتماعيته لم تبزغ هذه جميعاً في عالمٍ معاكسٍ معادٍ لها لقيامها بل نشأت في محيط شديد العطف عليها متين الصداقة لها . او بالاحرى انها نشأت لان الكون اراد لها النشوء ، اذا صحّ اسناد صفة الارادة البشرية الى الكون

نخلص من هذا الى تصريحين هامين ، اولاً ان الحياة وليدة الكون ، ثانياً ان الرقي في الحياة وليد الكون كذلك

والله في هذا التصوير يصبح ذاك التركيب في صلب الكون الذي سمح بالحياة وبارق فيها . ان الحياة حقيقة واقعية والرقي فيها حقيقة واقعية كذلك . من اجل هذا وجب وجود تركيب خاص للكون يسمح بوقوع هاتين الحقيقتين . هذا التركيب هو الله . والله اذن حقيقة واقعية لا سبيل البتة الى التشكيك في وجودها

الست تشاهد الحياة في نفسك وفي سواك ؟ اليس تلوّح لك وهي منتظمة في سلسلة تقدّمية متواصلة ، من نقيق الضفدع الى موسيقى بيتهوفن ؟ كيف امكن حدوث هاتين الظاهرتين ، الحياة ورقيتها ؟ لا بدّ وان توفر في الكون تركيب خاص شدّاً ازرها ولم يكتف بأن جعل من وقوعها امرأ ممكناً بل احدث هذا الوقوع فعلاً . هذا التركيب ، هذه الخاصة الكونية ، هذا الجانب من اجزاء الكون وحركاته ، هو الله

هكذا تستوي فكرة الله في فلسفة الحياة . وعلى هذا المنوال يبني الكسندر ومورغن وهويتهد وويغان فلسفتهم المشتركة في الله . فالله في نظر هؤلاء حقيقة واقعية كهذا القلم او كالف كليبوطرا لان الحياة والرقي فيها حقيقتان واقعتان . وما لم نطعن بالحياة وبرقيها ونؤمن بأنهما وهمّ وسراب تعذر علينا نكران وجود الله

اذا اضطررنا الى اطلاق لفظة تصف هذه النظرة الى الله فإننا نميل الى استعمال عبارة « النظرة الزمنية » لله ، لانها تستمد فكرة الله من تفتح معاني الحياة مع الزمن ، فهي ترى يد الله وتتشكّل أثره من البزوغ العضوي المستمر لان هذا البزوغ لا بد وان يقع في كون ذي تركيب خاص يسمح بحدوثه . والله ليس سوى هذا التركيب الذي يكفل بزوغ الحياة ورقيتها ونحن ننتهي الى النتيجة نفسها اذا تناولنا المأماً النزعة الجامعة الحديثة في دراسة الحياة

والاحياء . زعيم هذه النزعة العلامة الانجليزي الاستاذ هولداين . هذا العالم لا يرى اي معنى لفكرة الحي مجردة عن فكرة البيئة التي يتفاعل معها . فالانسان مثلاً ليس هيكلًا عظيمًا محشواً اعضاء وانسجة مربوطاً بعضلات وبشرة وكلى ، وليس هذه بوظائفها وعملياتها ، بل هو جميع هذه موحدة بيئتها . فلا كسجين وخصائصه جزء من فكرة « الانسان » ، كذلك الغذاء والحرارة والماء والسنن الكيماوية وقشرة هذه الارض والجاذبية وكل ما يمس الانسان مساً جوهرياً . لان لا كيان للانسان البتة الا بتآزر هذه الجوانب من الطبيعة وتعاونها بعضها مع بعض . وعلى حد قول الاستاذ هولداين ان القول بان الرئتين تنفسان الهواء لا يفوق صواباً القول بان الهواء يتنفس الرئتين . لان بين هذين الموجودين — الرئتين والهواء — صلة من الوثوق والدقة بحيث يستحيل الفصل بينهما . فالانسان تركيب طبيعي لا ينحصر في جسمه فحسب بل يمتد الى جميع عوامل بيئته لان من هذه جميعاً ينزغ الانسان حقيقة واقعية يغتبط لها الكون ويمكنها من الوجود والاستمرار

هذان المنوالان — المنوال الزمني والمنوال الجامعي — يستمدان اسلوبهما في التفكير من علاقة الموجودات بعضها ببعض ومن تساندها بعضها الى بعض ، اي انهما يريان الوجود بكيته وهو جسم واحد محكم التنسيق مستدق التأثر والاحساس يرتبط بجوانبه الاربعه لاي تغير يقع فيه ويعين نوع هذا التغير وقيمتة . المنوال الواحد يرسم هذه الصورة من دراسته تاريخ الحياة ، والمنوال الآخر يرسمها من اعتباره حقيقتها الحالية . والعبارة الواحدة التي توحد بين هاتين النظرتين هي عبارة « النظرة العضوية » فالكون بموجبها كل ذو اعضاء ينفعل بها ويفعل فيها ويتسق اتساقاً يختلف كمالاً ونقصاً باختلاف انسجام هذه الاعضاء بعضها مع بعض وسواء انظرنا الى الحياة وهي حقيقة حالية ام حقيقة تطورية نشأت وتكاملت مع الزمن ، فاننا امام نفس النتيجة وهي ان الحياة وليدة الكون لا قيام لها بدون « ارادته » . فالله هو تلك الحقيقة الكونية التي جعلت من الحياة امراً ممكناً والتي لم تكتف بمجرد هذا الامكان بل احالته الى حقيقته الواقعية

ونحن نقر ان هذا النحو من تشييد فكرة الله متين ليس باليسير نقده او تبيان عيوبه . ذلك لانه يرتكن على حقيقة الحياة ووفرته . وما قد يلوح لاول وهلة ضعفاً في هذه الفلسفة يبدو بعد النقد والتأمل قوة ومناعة . واعرف عدداً من الانتقادات يلجأ اليها التفكير التقليدي ويحسبها كفيلة بهد هذه الفلسفة ، لكنها جميعاً قائمة بالفعل على خطأ في تفهم ما ترمي اليه ونحن لن نحاول هنا بحث هذه الانتقادات وتبيان اوجه الضعف فيها لكننا بدورنا نود ان نشرح بإيجاز نقصاً لهذه الفلسفة نحسبه نقصاً حقيقياً

لئن ظهرت هذه الفلسفة وطيدة البنيان فهي برغم ذلك لا تعدو ان تكون تركيياً ذهنيّاً مجرداً قوامها التفكير الخالص بشأن الله . والله قبل ان يكون تفكيراً خالصاً يجب ان يكون خبرة داخلية تهتز بها جوارح النفس من اعماقها . في هذه الحال يعرف الله مباشرة وتقاس قيمة اية فلسفة بشأنه على ضوء هذه المعرفة المباشرة . فأما ان تقبع في ركنة وتحصر فكرك في امر وتستخرج منه فلسفة عامة فشيء واحد ، واما ان تتناول هذا الامر بالخبرة الغنية المباشرة شيء آخر . ومتى امتزج امر من الامور امتزاجاً وافياً في خبرة الانسان سهل تفهم اسراره الذهنية . لان الذهن عندئذ يستضيء بالخبرة الداخلية وينتفع بها ويتخذها محكاً لموضوعاته وتصريحاته الخبرة الواقعية تُقدِّم مادة غزيرة للتفكير ، والذهن يرتبها وينظمها ، فالذهن تنظم الخبرة وتنسيقها واذا حصرت ذهنك في دائرة حركته شحنت نفسك وظهر تفكيرك باهتاً لالون فيه ولا غنى واقعي . كذلك اذا جعلت من حياتك انتقالاً مستمراً من خبرة الى خبرة دون ان تنتحي بنفسك هنيةً للتأمل في هذا الغنى الاختباري ولتنسيقه واستشفاف معناه تكون قد جنيت على كمال نفسك بتضحيتك جانبها الذهني الهام في سبيل جانبها الاختباري الهام ايضاً . هذان الجانبان يجب ان ينسجما ويتعاونوا في الحياة الكاملة لان عمل الواحد خلق مادة التفكير وعمل الآخر تنسيق هذه المادة المعروضة . وفي نظرنا ان اهم ما ينقص فلسفة الله العضوية التشديد اللازم على الخبرة البشرية بشئ الوانها . فالله حقيقة يجب ان يخفق القلب لها قبل ان يتناولها العقل بالنقد والتحليل . ومحال ان يتعرف العقل المجرد جميع اسرار الله لان العقل المجرد ليس بكل ما في الوجود . لكن لكل خبرة دينية يجب ان ينتظم تفسير ذهني ينيرها ويستخلص جميع معانيها وافتراضاتها

الدين اليوم في كل الارض بحاجة ماسة الى ثورة فكرية تتناول اسس التفكير فيه . واهم هذه الاسس حقيقة الله . فالبحث الجديد يجب ان يعرض لفكرة الله بالنقد الصريح والتحليل الزهيه حتى يستقيم التفكير عن الله مع نزعات الحياة الجديدة ومراميتها . ويقيننا ان ضرر اهل الله لا يقل عن ضرر اساءة التفكير فيه ، لان فكرة الله تضمر اعظم ما عرفت البشرية من نعم وخيرات وقيم ، ولان في تصويرها الصحيح خلاص البشرية الوحيد من عبودياتها واضطراباتهما وشرورها . وويل دائماً للبشرية ان هي اخطأت التفكير في الله . اما اذا عرفت السبيل الى التفكير العلمي الحديث بشأن الله وقيمتها فابواب الخير والنعم مفتوحة امامها . وشرط هذا السبيل ان يؤخذ القلب بخبرة الله المباشرة والعقل بالتفكير المجرد فيه . عندئذ تنفتح امام العقل والقلب ابواب لم تسمع بها اذن ولم يحلم بها شاعر ، وعندئذ يعرف الانسان حقيقة معناه في الوجود

موت عزرائيل

في الزمان المجهول، في كَنَف الغي
حيث تبدو الدنيا كأول عهد
قد توارى سكانها وتخلوا
لا خراب فيها فينشق بُومٌ
لا رياض فيها فترتاح نفس
قد توارت أنهارها، وتلاشي
ليس فيها إنس يعيث وجين
ساحة يخطر السكون عليها
لا زمان ساعاته تتوالى
أو نهارٌ يمضي، ليعقب ليل
سكنت ريحها فليست تدوي ...

ب وحيث الرُّجعى، وحيث المقر
أنشئت فيه: بَلَقَعاً لا يسر
فتساوى كوخ لديها وقصر
أو غصون فيها فينشد طير
لا زهور فيها فينشر عطر
كل حُسن منها، وغيب سحر
ليس فيها وحش يحب ولنسر
لا ديب، لا همسة تستسر
فتواري عصراً، ليعقب عصر
أو ظلام يخفى، ليطلع فجر
عالم مائت الطبيعة صفر

نظرُ اللهُ للدُّنَى فراها
مثل رأسٍ في القبر، كانت قديماً
نام عنها شرٌ تولد فيها
وتولّى منها بنوها حيارى
أسلمتهم للجهد والكد حتى
أخرجتهم من ظلمة فإذا هم
أخرجتهم من ضيق فإذا هم
نظرُ اللهُ للدُّنَى فراها
قد تلاشت آثارها فهي قفر
مهد فكر يغزو الدُّنَى وهي سر
واختفى غيبها وكان يغمر
لم يفدّهم جمع هنالك وقر
أسلمتهم لراحة هي أسر
بعد حين في ظلمة هي شر
بعد حين في عالم هو قبر ...
ليس فيها إلا خيال يمر

«إيه.. عزريل: هل تواروا جميعاً واستردت أفلاذها من عنهم؟...»
«قد تلاشوا مولاي، وانقض دهرنا»
«واستقروا؟»

«إيه.. عزريل! حينئذ الآن ادان فامض واجرع ما لست منه تفر»

فضى خاشعاً وفي يده المنج حائر الطرف في القفار كئيباً
قد أذاق الموت الخلائق طراً وتراى تفكيره في نواح
خادعاً يهبط الثرى فإذا في محزوناً يبعث الأسى حيث حلت
قد تراى تفكيره فإذا تلك أم ضمت حشاشه قلب
قد تعالت أنفاسها دعوات وكبير قد عاجلته المنايا
يرتجفها في آخر العمر كيما وفتاة غال الردى بذويها
وحبيب يشناق رؤية وجه وأزاهير في الكهائم راحت
وبلاد أصابها في زعيم وتوالت رؤى ضحاياه تبدي
كل هذي الاشباح كانت سراعاً في خيال الموت الكئيب تمر

ثم حان الوقت الذي ليس منه فدوت صرخة فنادت لها الأر ودوت صرخة فأسلم فيها
في محيط الاقدار يوماً مفسر ض وطافت اصداؤها لا تفر
ملك الموت روجه تستقر

حسن لامل الصبر في

والعدد وحينئذ نهد الى بغداد بجيش من الاتراك وغيرهم ، اما طغرل بك فانه ثار عليه اخوه ابراهيم حاكم بلاد الجبل المعروفة بالعراق العجمي وخطب خليفة مصر في همدان واصفهان وغيرها وقطع خطبة القائم العباسي ولي اخيه طغرل بك ، وكان ارسلان البساسيري هو الذي كاتب اخا طغرل المذكور وحسن له الخلاف عليه واطمعه في الانتصاب منصبه اذا قهره ودحره ، وبانصراف طغرل بك لحرب اخيه بقيت بغداد في يد وزيره عميد الملك ^(١) ابي نصر محمد بن منصور ، وكانت هذه الحال فرصة للبساسيري ، فانتهى بجيشه الى الانبار وزحف منها الى بغداد تحت الرايات البيض الفاطمية وملك الجانب الغربي منها ، ثم عقد جسراً وعبر الى الجانب الشرقي ونزل بالزاهر وهو بستان جميل عظيم ^(٢) وحارب جيش الخليفة ودخل بغداد ، وبدخوله ابتداء استيلاء القاهرة على بغداد وانفتح باب في السياسة لم يكن احد يجراً على فتحه قبل البساسيري ^(٣) ، وكان ذلك سنة ٤٥٠ هـ قال ابن الطقطقي في البساسيري وعن بغداد « تغلب البساسيري على بغداد ونهبها وقتل من بها وأخرج الخليفة فخبسه بقلعة الحديثة وكانت فتنة البساسيري فتنة عظيمة » ثم قال « ثم ظفر بابن المسامة رئيس الرؤساء فمثل به ، فمن جملة ما فعل به انه حبسه ثم اخرجه مقيداً وعليه جبة صوف وطرطور من لبد احمر وفي رقبته مخنقة فيها جلود مقطعة شبيهة بالتعاوند واركب حمراً وطيف به في الحال ووراءه من يضربه بجملد وينادي عليه ، ورئيس الرؤساء يقرأ « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء » وشهره في بغداد ، فلما اجتاز بالكرخ نثر عليه اهل الكرخ المداسات الخلق وبصقوا في وجهه ووقف به بازاء دار الخلافة من الجانب الغربي ثم أعيد وقد نصبت له خشبة في باب خراسان (من ابواب مدينة المنصور) فانزل عن الحمار وخيط عليه جلد ثور سلخ في الحال وجعلت قرونيه على رأسه ، وعلق بكلاب في حلقه واستبق في الخشبة حياً الى ان مات من يومه ^(٤) » اهـ . وقال ابن خلكان « واجتمع قريش (بن بدران العقيلي) مع ارسلان البساسيري المقدم ذكره على نهب دار الخلافة ثم ان الامام القائم بامر الله جرى على سجيته في الحلم وكتب الى السلطان طغرل بك المقدم ذكره في المحمدين ليرضى عنه . . . » وكان ارسلان هذا يعذب بالقتارة ويقتل بها ^(٥) وهي معروفة عندنا اليوم بالعراق يستعملها القصابون فيعلقون بها الذبايح لها أسنة مربعة محددة معقوفة . وقوله « وعلق بكلاب في حلقه » يوضح صورة التعذيب بها . كان دخول البساسيري فرجة للشيعه ومحوراً لهم من ذل الاضطهاد والامتهان ومنهم اهل الكرخ وهم الذين نثروا التاسومات (الاحذية) على رئيس الرؤساء — كما تقدم —

(١) ترجمته في الوفيات « ٢ : ١٨٤ » (٢) ارض هذا البستان تشمل البلاط الفيصل الحالي ببغداد وما حوله الى حد واسع (٣) خلاصة الذهب المسبوك ص ١٩٥ والفخري ص ٢١٧ والسيوطي ٤٢٨ والوفيات « ١ : ٦٥ » و « ٢ : ٢٢٣ » (٤) الفخري (ص ٢١٥ — ٧) (٥) الحوادث الجامعة في المائة السابعة ص ١٢٧ و ١٥٠ من نسختنا الخطية

الخطبة للفاطميين ببغداد

ابتدأت الخطبة للمستنصر الفاطمي في مساجد بغداد من سنة «٤٥٠» الى سنة «٤٥١» والجوامع المشهورة إذ ذاك : جامع المنصور بالجانب الغربي ببغداد ويسمى « جامع المدينة » ايضاً اي مدينة المنصور المدورة ، وجامع الخليفة المكتفي ويدعى « جامع القصر » قصر التاج ويعرف اليوم بجامع سوق الغزل ، وجامع المهدي بن المنصور ويسمى « جامع الرصافة » ايضاً بالجانب الشرقي من بغداد ولا اثر له اليوم ولا الرصافة فانها اصبحت بساتين ومزارع وبني فيها على العهد الفيصلي « جامعة آل البيت » ثم عطلت ، وزيد في الأذان « حي على خير العمل »^(١) على حسب مقتضى المذهب الجعفري ، وقد أجبرت القاهرة ببغداد على تحمل هذه النعمة في الاذان كما أجبر المغرب البلاد المصرية عليها عند استواء جوهر الصقلي فيها^(٢) ، وامر ارسلان ببناء مشهد الامامين علي الهادي والحسن العسكري في بلدة سامرا ، قال كمال الدين عبد الرزاق بن الفوطي الشافعي في حوادث سنة « ٦٤٠ » من كتابه « وفيها وقع حريق في مشهد سر من رأى فأتى على ضريح علي الهادي والحسن العسكري — ٤ — فتقدم الخليفة المستنصر^(٣) بالله بعلمارة المشهد المقدس والضريحين الشريفين واعادتهما الى اجمل حالتهما ، وكان الضريحان مما امر بعمله ارسلان البساسيري فجعل النار سبباً لأزالة اسمه ! ! ! »^(٤)

ظفر طغرل بك بأخيه ابراهيم فقتله ثم كاتب متولي « عانة » مهارش بن المجلي في رد الخليفة الى بغداد ورجع هو اليها ليخرج البساسيري منها فلما قرب عسكره منها هرب البساسيري الى واسط فاحقه الجيش وحاربوه فأسروه ثم قتلوه وبعثوا برأسه الى بغداد فطيف به في اسواقها وشوارعها ثم علق قبالة « باب النوبي »^(٥) وهو الباب الكبير من ابواب دار الخلافة بالجانب الشرقي وعنده يجلس الحاجب الاكبر للخليفة العباسي ، وكان مقتل البساسيري سنة « ٤٥١ » هـ فكانت مدة استيلاء القاهرة على بغداد والخطبة فيها للمستنصر الفاطمي سنة واحدة كما مر ثم عاد الخليفة القائم الى بغداد وانتعشت الخلافة العباسية بعد تلك الكبوة الشديدة^(٦) واخذ الخليفة يتبع مخالفه في المذهب فيضطهدهم ويشرد بهم

كتاب القائم لمحو سنة الفاطميين وغيرهم

كتب القائم الى نقيب الطالبين بالبصرة السيد يحيى كتاباً صورته « شرف الله مقام الجانب الكريم السيد النقيب الشريف النسيب الحسيني ، بقية البيت النبوي ، محب خليفة الامة ، عضده

(١) تاريخ السيوطي ص ٤٢٨ (٢) الوفيات « ١ : ١٢٩ » (٣) هذا المستنصر العباسي لا الفاطمي والفاطمي اقدم منه بكثير (٤) الحوادث ص ٤٩ من النسخة المخطوطة (٥) يضم النون قال ابو عبيدة « اللوبة والنوبة بوزن الكوفة فيهما الحرة وهي حجارة سود ومنه قيل للاسود لوبي ونوبي » (٦) الوفيات « ١ : ٦٥ » والسيوطي ٤٢٨ — ٩

بنصرة السنة، صالح الاولياء، علم هداة العلماء، لا زال عرفانه منيعاً وهداه متبعاً، ما داخل الكلام كيت وكيت وتليت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) نحن نجلك عن الوصايا إلا ما يتبرك بذكره، ويسرك إذا اشتملت على سره، فأهلك أهلك، راقب الله ورسوله جديك — ص — في ما أنت عنه من أمورهم مسؤول وارفق بهم فهم أولاد أمك وأبيك حيدرة والبتول، وكف يد من علمت أنه استطال بشرفه فدد إلى العناد يداً واعلم بأن الشريف والمشروف سواء في الاسلام إلا من اعتدى، وأن الاعمال محفوظة ثم معروضة بين يدي الله، فقدم في اليوم ما تفرح به غداً، وأزل البدع التي ينسب إليها أهل الغلو في ولائهم والعلو في ما يوجب الطعن على آبائهم لأنه يعلم أن السلف الصالح — رض — كانوا منزهين عما يدعيه خلف السوء من افتراق ذات بينهم ويتعرض منهم اقوام لما يجرمهم إلى مصارع حينهم، فللشيعة عثرات لا تقال من اقوال لا تقال، فسد هذا الباب سد لبيب واعمل في حسم موادهم عمل أريب، وقم بنهيمهم والسيف في يدك قيام خطيب، وخوفهم من قوارعك مواقع كل سهم مصيب، فادع «بحي على خير العمل» خير من الكتاب والسنة والاجماع فانظم في نادي قومك عليها عقود الاجتماع، ومن اعتزى إلى اعتزال أو مال إلى الزيدية في زيادة مقال وادعى في الأئمة الماضين ما لم يدعوه أو اقتفى في طرق الامامية بعض ما ابتدعوه، أو كذب في قول على صادقهم أو تكلم بما أراد على لسان ناطقهم، وقال: إنه يلقي عنهم سرّاً حسناً على الأمة ببلاغه، وذادهم عن لذة مساغه، أو روى عن يوم السقيفة والجل غير ما ورد اخباراً، أو تمثل بقول عبد شمس: قد أوقدت لبني هاشم نارا، أو تمسك من عقائد الباطن بظاهر أو قال: إن الذات القلعة بالمعنى تختلف في مظاهر، أو تعلق له بأئمة الستر رجاء^(١)، أو انتظر مقيماً برضوى عنده غسل وماء^(٢)، أو ربط على السرداب فرسه لمن يقود الخيل يقدمها اللواء، وتلفت بوجهه يظن علياً — ك — في الغمام، أو تقلت من عقال العقل في اشتراط العصمة في الامام، فعرفهم جميعاً أن هذا من فساد أذهانهم وسوء عقائد أديانهم، فانهم عدلوا في التقرب بأهل هذا البيت الشريف عن مطلوبهم، وإن قال قائل: إنهم طلبوا، فقل لهم (كلاً بل ران على قلوبهم ما كسبوا) وانظر في امور أنسابهم نظراً لا يدع مجالاً للريب، ولا يستطيع معه أحد أن يدخل فيهم بغير نسب، ولا يخرج منهم بغير سبب، وساو المتصرفين في اموالهم في كل حساب واحفظ لهم كل حسب وأنت أولى من أحسن لمن طعن في أسانيد الحديث الشريف أو تأول فيه على غير مراد قائله — ص — تأديباً^(٣)، وأرهم ما يوصلهم إلى الله وإلى رسوله طريقاً قريباً،

(١) نوه بالخليفة هنا وعرض بالامامية الاثني عشرية الذين يقولون: غاب الامام الثاني عشر محمد بن الحسن وسيظهر ويملا الأرض عدلاً وهداية (٢) اشار إلى الشيعة الكيسانية المختاربة التي قيل إنها ادعت غياب محمد ابن علي بن ابي طالب المعروف بابن الحنفية في رضوى وأنه سيعود (٣) اراد: أنك احق بتأديب هؤلاء المبتدعين تأديباً حسناً كاملاً

وخلّ من علمت أنّه قد مال عن الحقّ وأمال الى طريق الباطل فرقاً وطوى صدره على الغل وغلب من أجله على ما سبق من علم الله من تقديم من يقدم حقاً ، وجاروا — وقد اوضحت لهم طريقته المثلى طرقاً ، واردعهم إن تعرضوا في القدح لنضال نضال وامنعهم فان فرقهم كلها — وان كثرت — خابطة في ظلام ضلال ، وقدّم تقوى الله في كل عقد وحل ، واعمل بالشرعية الشريفة فانها السبب الموصول الحبل ، والله يرفعك في الزلنى الى اشرف محل ويمدّ لك رواق عز اذا ابرز له البرق خدّه خجل ، أو مدّ الغمام معه سرادقاته اضمحل^(١)

وبعد دخول هولاء كو بغداد سنة « ٦٥٦ هـ واستيلائه على العراق صارت القاهرة ملجأ الاسلام الأعظم وملاذ العلماء والأمرء المضطهدين ومأمن الخائفين الهاربين فكان لها ومن صريح حقوقها أن تستولي على بغداد التي استئصلت منها الخلافة العباسية تلك الخلافة الدينية الرسمية ، وأصبحت تراثاً لا بناء العباسية ولا سيما من التجأ منهم الى مصر التي كان يحكمها الأتراك مماليك الأيوبيّة وكان ذلك العهد عهد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس « ٦٥٩ — ٦٧٦ هـ وكان على شيء هائل عظيم من القوة والسيطرة والعظمة واعداد الجنود والعتاد ، فالتجأ اليه « أبو القاسم أحمد بن محمد الظاهر بأمر الله العباسي » هرباً من سيوف التتر وكان معتقلاً ببغداد — على عادة الخلفاء في أقاربهم — فركب الظاهر لقائه ومعه القضاة وبقية أرباب الدولة فاشتق بسيره القاهرة ثم أثبت نسيبه على يد قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعر ثم بوليح بالخلافة وذلك سنة « ٦٥٩ هـ ونقش اسمه على السكة^(٢) وخطب له ولقب بلقب اخيه المنصور بن الظاهر وهو « المستنصر بالله » وتم امره وتثبت استخلافه الصوري

ازداد طمع القاهرة في بغداد بهذا الخليفة العباسي وارث الخلافة العباسية وعزم الخليفة او اعزموه على التوجه الى العراق واتفق مع عزمه عزم صاحب الموصل الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ وأخيه علاء الدين بن بدر الدين صاحب سنجار والمغول اللاتئين بالملك الظاهر من غدر التتار ، فجهز السلطان الخليفة وابني صاحب الموصل وغرم عليه وعليهم « مليون دينار » و « ٦٦ » الف درهم فنهذ الخليفة بعسكره الى العراق ففتح الحديثة وهيت منه وكادت القاهرة تستولي على بغداد ولكن عسكر التتار أدركهم فصاقهم فقتل من جيش القاهرة جماعة كبيرة وذُهِب بالخليفة المستنصر بين سمع الأرض وبصرها ، قيل قُتِل وهو الظاهر ، وقيل : أضمرت البلاد ، وذلك في ثالث المحرم من سنة « ٦٦٠ هـ وكان المقاتل له من

(١) صحاح الاخبار (ص ٧١ — ٢ — ٣) والثبت المصان

(٢) وجد أحد العمال في ٥ مارس سنة ١٩٣٢ بارضدار من دور القاهرة قدرين مملوءتين من هذه النقود منها « ١٥٧ » نقدة ذهبية ، وقد قرأنا قطعة منها فوجدنا ما صورته « لا اله الا الله محمد رسول الله الذي أرسله بالهدى » وعلى الوجه التالي السلطان الملك الظاهر ركن الدين والدنيا بيبرس قسيم أمير المؤمنين» فهي مسكوكة بعد سنة « ٦٥٩ هـ »

التتار «قراغا» نائب هولاءكو ببغداد^(١) ولم تهيب الاتفاقات للقاهرة الاستيلاء على بغداد هذه المرة

كان العراقيون قد سمعوا بتجديد الخلافة العباسية ومنهم من علم بمهاجمة الخليفة لعسكر التتار، فهوت أفئدتهم الى القاهرة وركنت ثقتهم اليها ولا سيما الناقين على التتار، وانفتح للقاهرة طريق شرعي وسبب ثأري للاستيلاء على بغداد ورجعها الى خلفاء العباسيين ظاهراً وسلطنة الممالك حقيقة، وأحس التتار بهذا الشعور في العراقيين وذلك العزم والطوية من المصريين فطفقوا يؤاخذون الناس على الظنة ويعاقبون بالفتنة ويقتلون بالشبهة ويسرفون في العقوبة باضعف الأدلة، ففي سنة «٦٧٧ هـ» أرسل السلطان «أباقي بن هولاءكو» إزعاج والي العراق «علاء الدين عطا ملك الجويني» الى الأردو (المعسكر) مقررسلطنته لاستنطاقه عما نسب اليه من مكاتبة سلطان مصر الملك المنصور قلاوون الألفي في اطماعه في العراق والانتقاض على التتار وقبض على شرف الدين علي بن أميرك كاتب الانشاء ببغداد وطوق بطوق من حديد وأشخص مع الوالي وقبض على حمزة التكريتي التاجر وطوق وازعج معها إلى الأردو، وكان سبب هذه التهمة أن رجلاً من أهل بغداد يعرف بنجم الدين بن حسين ويلقب بالكيباية اتصل بخدمة شحنة بغداد «تتارقيا» التتري واتخذة لنفسه هو وابن بغا الشرابدار جاسوسين على والي العراق علاء الدين الجويني، فاتفق احمد بن بغا الشرابدار ونجم الدين الكيباية على ان نسبا أكبر اهل بغداد الى مكاتبة سلطان مصر قلاوون المذكور باتفاق علاء الدين معهم وتحديث الكيباية بذلك عند الامراء والحكام فأحضروا والي العراق وصاحب الديوان علاء الدين المذكور وجماعة من الاكابر الذين نسبهم الى المكاتبة — وقد ذكرنا منهم شرف الدين علي بن أميرك والتاجر حمزة التكريتي — واستعاد الامراء كلام الكيباية، فقال اشياء كثيرة، فطولب بالبرهان على صحتها، فلم يقدر على ذلك، فلما شدد عليه وضيق قال: إني كاذب في كل ما قلته والذي بعثني على الكلام نصرة الدين بن ارغش واخوه وولده، فأحضروا وسئلوا عن ذلك، فاعترفوا به وقالوا: إن تتارقيا الشحنة وضع القائل على ما قاله فأمرنا بحبس الجميع، وأحضر أحمد بن بغا الشرابدار، وسئل عن الحال فاعترف بها، فسلم الى صاحب الديوان علاء الدين فأمر بحبسه خبس اياماً ثم عملت له حجلة وسمّر عليها وجعل على رأسه مسخرة كان ببغداد يعرف بالموصلي يصفعه بنعل ويروحه بها ثم يبول عليه والناس يجرّون الحجلة بالحبال في الاسواق والدروب في جانبي بغداد، وكانوا يحبون صاحب الديوان،

(١) مختصر ابن الساعي لرجل من اهل القرن الثامن للهجرة ص ١٣٩ ومثله ما في ص ٤٨٩ من السيوطي وص ٤٩٢ من مختصر الدول وص ٨٥ من الاعلام باعلام بيت الله الحرام وص ١٨٣ من اقرماني وص ١٢٧ ج ٢ من دول الاسلام

فأخذ يسب صاحب ويبدس لسانه فيه ، فنفذ إليه من قال له : إن صاحب قد عفا عنك وأمر بتخليصك من الحديد على أن يقطع لسانك فإن آثرت ذلك فأخرج لسانك لنقطعه ، فأخرجه فوضعوا فيه مسله فنعته من الكلام هذا الشكل ، وما زالوا يعذبونه بجر الحجلة واضطرابها إلى آخر النهار ، ثم قطع رأسه ووضع مكانه رأس معز بلحيته وطيف به في بغداد وأحرق العوام جثته ورفع رأسه على خشبة وطيف أيضاً به ، ثم أن نصره الدين بن أرغش المذكور أحضر بدويًا وأعطاه كتباً ملصقة وأشار إليه أن يقول هذه سلمها إلى صاحب الديوان علاء الدين ، فلما قال ذلك أخذ وحبس ، أما الكيبياية فقال : إن الأمير نحر الدين مفدي بن قشتمر كان أيضاً ، من جملة الجماعة الذين كاتبوا سلطان مصر فأحضر وسئل عن ذلك فانكر ، فوكل به ، ثم قال الكيبياية : إن العدل جمال الدين أحمد بن عصية هو كان يكتب عن مفدي ، فأحضر وسئل فانكر فوكل به ، ثم إن صاحب عرف صدق العدل جمال الدين وبراءة ساحته فأفرج عنه وخلع عليه وقدم له مالاً ولم يزل الكيبياية والبدوي في السجن إلى أن اشخص علاء الدين إلى أرو السلطان أباقا بن هولاًكو فأخذها صحبتته ، وهناك استنطقوا الجميع عن هذه التهمة فظهر كذب المدعين وبراءة ساحه صاحب ، فأمر أباقا خان بقتل الكيبياية وأنفاذ يديه إلى بغداد ورأسه إلى بلاد الأناضول ونادوا في الأسواق « هذا جزاء من يقدم على عبيدنا المخلصين بالزور والالتباس » ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وسلم أصحاب الوالي علاء الدين معه وعزل تنارقيا مدير الشرطة ببغداد. وفي سنة « ٦٩٢ » هـ عزم الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون الأتقي سلطان مصر على المسير إلى العراق وتجهز وعمل السلاسل ومروسا من القنسب لأجل الجسر ثم برز من القاهرة إلى الصالحية في آخر هذه السنة فافسد الأمير بيدر بن كتبغا عليه الأمراء منهم حسام الدين لاجين وكتبغا ، فقتلوه يوماً وهو ينصّب وشرقت القاهرة بهذه الشرقة التي ذهبت لنتها بحسد هؤلاء الأمراء ، ويظهر لنا أن الملك الأشرف قد استعد لهذه النهضة استعداداً عظيماً ، ففي سنة « ٦٩٢ » المذكورة وثب رجل على تقاچو أمير المسلحة التتري بالعراق ، على رأس الجسر العضدي ببغداد وضربه بجمر عدة ضربات فقتله بها واشتدّ يعدو هارباً ، فدلّ له رجل أصبها في رجله على الجسر فسقط ، وقبض عليه فجعل يقول « فداء الملك الأشرف ، فداء الملك الأشرف » فسلم إلى ابن تقاچو التتري فقتل به وقطع أطرافه وهو حي ثم كسر ظهره فلم يستغث ولا تأوّه ثم قال لقاتله : يا خنث إنك لم تصنع شيئاً إلا وهو دون ما كان في نفسي فأصنع ما شئت فقتله وألقاه في المكان الذي قتل فيه أباه ، فقول هذا الرجل « فداء الملك الأشرف » يدل على أن الملك الأشرف صلاح الدين خليلاً أرسله إلى العراق قبل جيشه ليغتال أمير المسلحة فيضطرب الأمن ويهتبل هو الفرصة للاستيلاء على بغداد

ومن ضحايا محاولات القاهرة للاستيلاء على بغداد «العدل نجم الدين يحيى بن عبدالعزيز الناسخ» فقد نسب إليه في سنة «٦٦٩ هـ» مراسلة الملك الظاهر بيبرس في الاستيلاء على بغداد، فحُدِسَ وقُرِّرَ فاعترف بذلك فأمر بقتله وكان على ما قيل فاضلاً ورعاً تقيّاً^(١) وفي آخر القرن الثامن للهجرة تهيأ للقاهرة أن تبسط سلطتها في بغداد وأن تضرب سكتها باسم سلطانها «برقوق بن أنص الجركسي» وتخطب له على منابرها وتعترف بسيادته، وجليّة ذلك ان سلطان العراق «أحمد بن أويس بن الشيخ حسن» التتري الجلايري من سلاطين «الشيخ حسنية» وسلطنته حدث بين «سنة ٧٨٤ هـ» وسنة «٨١٣ هـ» كان قد غزاه «تيمورلنك» سنة «٧٩٥ هـ» وهو في بغداد فهرب على طريق مشهد الحسين بن علي — ع — بكر بلا ثم وصل الى رحبة مالك بن طوق ثم تحوّل الى حلب ونزل الميدان فأكرمه نائبها وطالع السلطان «برقوق» بخبره فأذن له في دخول القاهرة في سنة «٧٩٦ هـ» ووصل السلطان أحمد الى القاهرة في شهر ربيع الاول من السنة فتلقاه الأمراء وخرج اليه السلطان برقوق مسافة الى موضع كان فيه مصطبة، فترجل له السلطان أحمد على بعد مئة سهم فأمر برقوق الأمراء بالترجل ثم لما قرب منه قام له ونزل من المصطبة ومشى اليه فالتقاه، وأراد أحمد ان يقبل يده فامتنع، وطيب خاطره وأجلسه معه على دسسته ثم خلع عليه وأركبه صحبته الى القلعة فأنزله في بيت (طغافر) على بركة الفيل ونزل جميع الأمراء في خدمته ثم أرسل اليه السلطان برقوق مالا كثيراً وقاشاً وماليك لخدمته، قيل: ان قيمة ذلك نحو عشرة آلاف دينار ذهباً ثم حضر الموكب السلطاني فأذن له في الجلوس ثم أركبه معه الى الجيزة للصيد وانتهى الامر به الى ان تزوج السلطان برقوق بنت اخيه «دوندي سلطان» وبني عليها قرب السفر ثم تجهز برقوق للغزو وبقي أحمد في القاهرة وبعد مدة طلب إجازة التوجه الى بغداد خلّوها من تيمورلنك وكان فيها «الخواجه مسعود الخراساني» نائباً عنه، فاستعد بجيش وقصد بغداد فهرب منها الخواجه مسعود المذكور ودخل السلطان أحمد بغداد وضرب السكة باسم السلطان برقوق وخطب له — كما تقدم آنفاً — وبقيت بغداد في حماية القاهرة ورعايتها الى سنة «٨٠٣ هـ» اذ رجع تيمور اليها وهرب السلطان أحمد منها وترك فيها نائباً اسمه «فرج» فاستولى عليها تيمور^(٢) وانقطت سلطة القاهرة بدخوله

فما بسطناه للقارى يظهر له استيلاءات القاهرة على بغداد ومحاولاتها لتلك وآثار هذه المحاولة، وللطافة هذا البحث أفردنا له هذا الفصل الذي يعد مستقلاً مستوجباً للعناية والالتفات والتجوير والاثبات

مصطفى جواد

بغداد

(١) هذه الاخبار الاخيرة من الحوادث الجامعة في المائة السابعة (٢) التاريخ الغياثي المخطوط لعبد الله ابن فتح الله البغدادي

علاقة جوته بشلر

١٧٩٤ - ١٨٠٥

بعد ما تقابل الشاعران الكبيران لأول مرة سنة ١٧٧٩ في مدينة كارل شوله Karlschule ماذا فتقابلا ثانية سنة ١٧٨٨ بمدينة رودلفشتادت Rudolstadt ولكن بعد ما بينهما فان جوته كان قد نأى عن طريقته المعروفة بطريقة العواصف والاندفاع (Sturm & Drang) عقب سياحته في ايطاليا بينما كان شلر لا يزال عالقا بها. لهذا لم يمل جوته لمؤلفات شلر في شبابه التي من هذا القبيل حتى ان كانت سنة ١٧٩٤ اذ تقابل الشاعران وتقرب احدهما الى الآخر وسرعان ما تمكنت عرى الصداقة بينهما تمكنا قل ان تجد له مثيلا في تاريخ الادب الالماني . وقد لبثا يتراسلان بكتب بينهما لا ينقطع ورودها ثم انهما كانا يتقابلان كل يوم تقريبا لما انتقل شلر الى فيمار سنة ١٧٩٩ وكانا يتبادلان الآراء بينهما ويشتركان في التفكير والتدبير لبعض آثارهما الشعرية كما كانا صريحين في انتقادهما وأحكامهما وكانا يتنافسان منافسة كلها النبل والشرف. وقد كانت طرق تفكيرهما متباينة فقد كان جوته من انصار مذهب الحقيقة وكان يبدأ بالخاص من الاشياء وينتهي الى العام منها بينما كنت ترى شلر من عشاق المثل الاعلى وكان يذهب في كتاباته الى اقصى ذرى افكاره وكان ينزل من العام الى الخاص . وكانت طبيعة روحيهما اللينة تتكامل في النهاية على احسن ما يكون. وقد قال جوته معبرا عن ذلك تعبيراً خاصاً : انهما اتحدا اتحاد التكملة (اعني ان احدهما يكمل الآخر اي يتممه). وقد كان من بواكر تلك الصداقة ان اصدر شلر مجلة (die Horen) (أي آلهات فصول السنة) سنة ١٧٩٤ ودعا صديقه جوته للاشتراك معه في تحريرها فاخذ ينشر فيها ما كان قد انشده من قبل من (المراثي الرومانية) . ثم انضمت مجلة اخرى اليها واتحدت فيها وكان الغرض من اتحادهما ان يهذبنا من ذوق الجمهور وان يرفعا من شأنه ولو ان النتيجة لم تحقق ذلك الغرض الذي قصدوا اليه . فقد صادفت الاشياء المبتذلة والساقطة استحساناً وقبولاً فاتفق الشاعران على ان يؤلفا محكمة لعقاب كل من اعتدى على الآداب (آداب اللغة) في عصرهما وكان جوته هو اول من فكر في ذلك وكان اول من نشر في المجلة ما نشر . وجداً الشاعران في عملهما ونشرا في ذلك القصائد العديدة والقطع الكثيرة وفي تقديمهما لكل تافه او قليل القيمة في الادب وقد اثار عملهما هذا عاصفة هوجاء وعظم امر ذلك على خصومهما وكثرت الردود ولم تهدأ تلك العاصفة الا بعد زمن طويل . وبعدئذ اخذا في نشر أغاني جميلة وقصص شعرية بديعة نذكر منها (صبي الساحر) و (الخافر على الكنز) و (الزوجة من كورنت) و (الله) و (القاهرة) وكلها لجوته وتبان مذهب الاثنين وعاد جوته لشعر المآسي وقصص الابطال والملاحم النظمية . فتم في سنة ١٧٩٦ (ايام تعليم فلهم مايستر) وهو عنوان رواية كان الشاعر قد بدأها قبل سياحته

في ايطاليا . على ان اشتغاله بكتابة القصص الروائية سنين متوالية الحق الضرر بالوحدة الفنية لمجموعها . وراه يأتي على وصف النبيل ورقيق الحال كما يصف اصحاب كل الحرف المتباينة وصفاً يطابق الحقيقة والواقع . وتلاحظ من قصصه ما كان عليه من معرفة كبيرة بشؤون الحياة وتجاربها وتعمقه في فهم الفنون وتقصيصها كما تلمح فيها كل قوانين فن المآسي التي راعاها شكسبير في (هاملت) . وكذلك عالج بعض اسس التربية والمسائل الدينية ثم ان الجمعيات والفرق السرية التي كانت منتشرة في المانيا في ذلك الحين لم تسلم من تهكمه وسخريته وكذا تراه يعرض امامنا صورة واضحة كل الوضوح زاهية الالوان للحياة فترى في القصص الروائية سلسلة من صور الاخلاق والشخصيات التي قد اجاد رسمها وبيانها ايما اجادة

وفي سنة ١٧٩٧ اظهر مؤلفاً من خيرة ما كتب في دائرة الملاحم وقصص الابطال الحماسيين ونعني بذلك : Das liebtätige Gera gegen die Salzbrugischen Emigranten ومعناها « احسان مدينة جيرامهاجري سلزبورج »

وهي قصة حدثت بين ابن اسرة ثرية سرية واحدى المهاجرات الافاقات . ومن تلك القصة اخذ مادته للمحمته الشعرية (هرمان ودوروتيا Hermann & Dorothea) وقد وصف فيها الشاعر حياة اسرة من صميم الالمان . ولكي يجعل لقصيدته هذه مرجعاً هاماً جعل حوادثها الماضية كأنها حدثت في عصر الثورة الفرنسية وارجع اصول المهاجرين المطرودين من متبعي مذهب لوثر من سكان سلزبورج كأنهم من سكان الحدود الفرنسية . ويرفرف على كل القصة الروح الوطنية فيريك الطبيعة الالمانية والفضائل الالمانية والعادات الالمانية ويصورها لك تصويراً حسناً . ويسود القصيدة من اولها الى آخرها الوضوح التام وحب الحرية من كل المطاردين والمضطرين ثم اننا نرى فيها ما نرى في الحياة الصحيحة من وصف للمعيشة الالمانية وما يحدث فيها بين الابناء والديههم وكما نراها في المدن وبين اوساط الناس ولما اتم تلك القصيدة الحماسية المذكورة ساح الشاعر سياحته الثالثة في السنة عينها في سويسرا وكتب هناك قصيدة اويوفروزييني « Euphrosyne » وقد كتبها رثاءً وذكرى لاحدى ممثلات فيمار المعدودات وكانت قد توفيت في سن العشرين واسمها كريستيان نويمان Christiane Neumann وفي اثناء تلك السياحة بدأ يفكر في انشاد ملحمة جديدة يسميها « فيلهلم تل » ولكنه سرعان ما عدل عن فكرته وبيننا كان شلر يخرج للناس كل يوم شيئاً جديداً من مؤلفاته في المآسي العظيمة في اواخر القرن الثامن عشر ومستهل القرن التالي كان جوته قليل الثمر نادر النشر والاذاعة عن مبتكرات فهمه وعصير ذهنه ولكنه كان قد اتم الجزء الاول من (فوست) وترجم من مؤلفات فولتير تمثيلية (محمد) وتنكرد (Tancred) لمسرح فيمار واتم الجزء الاول من (البنت الطبيعية Diee natürlich Tochter) علي مظهر

الحضارة الفينيقية

وتأثيرها في التمدن القديم

علاقة فينيقية بمصر

— ١ —

اثباتها بحوادث التاريخ الى عهد الفتح العربي

اصل الرعاة

الرعاة (هيكسوس) اول حلقة من سلسلة العلاقات الوثيقة التي ربطت فينيقية بمصر من اقدم عصور التاريخ الى اليوم. وهم قوم ينتسبون الى السلالات الفينيقية الاولى وبعبارة اخرى هم اخلاط من البدو المتنقلين بين سورية وبلاد العرب ومعظمهم من الكنعانيين وهو مذهب مارييت باشا. والرأي الراجح فيهم انهم من قبائل سامية وكنعانية جاءوا من ارض كنعان وسورية وبلاد العربية واجتازوا فلسطين الى مصر. والامة الحثية هي التي جمعهم في عهدة واحدة فانضوا تحت رايها وتولت قيادتهم. وقد وجدوا في هيكل سمه «تاميس» صحيفة قديمة ترمز الى هذه العهدة. ووجدوا في منطقة قرنه من اعمال مصر صحيفة اخرى استدلوها من رسومها على ان الحثيين هم الذين قادوا الرعاة في غزوتهم لمصر السفلى. وهذا ما يجلو لنا السر في حصر الفراعنة لاعمالهم الحربية في ما يلي من الزمن في شمال سورية موطن الحثيين اذلالاً لهم وانتقاماً منهم

عصر الرعاة في مصر

اجتاح الرعاة مصر السفلى بين القرنين الحادي والعشرين والعشرين وانشأوا فيها دولة قوية حكمت ٥١١ سنة على قول يوسفوس و٥١٨ على قول غيره من المؤرخين وغزوة الرعاة لمصر كانت نتيجة طبيعية للانقلاب الذي احدثته في العالم القديم فتوحات الشعوب الاسيوية ولا سيما العيلاميين الذين ضايقوا الكنعانيين وسدوا عليهم منافذ الرزق ففرت بعض قبائل منهم من وجه الغزاة وما زالت تنتقل من مرحلة الى اخرى في طلب الاستعمار حتى وصلت الى مصر واوغلت في ارض الدلتا وبسطت سلطانها عليها

وقد اتهم بعض المؤرخين هؤلاء الرعاة بأنهم ارتكبوا في غزوتهم هذه لمصر كثيراً من المظالم كسبي النساء والأطفال ودك الهياكل وحرق المدن غير أن هنالك من الأدلة التاريخية ما يثبت أنهم ابقوا على الهياكل والآثار ولم يدكوا أو يحرقوا إلا ما قضت عليهم ضرورة الفتح بدكه أو حرقه من المدن والحصون بدليل أنهم عثروا في «تانيس» المناوحة لدمياط وفي تل البسطة «بوبست» قرب الزقازيق بتمثيل وآثار ملوك تقدموا عصر الرعاة ولم يعثب هؤلاء بها والرعاة انشأوا في مصر السفلى كثيراً من المدن نظير آفارى «مدينة المهاجرين أو الهاريين» شرق السويس وكانت حصينة جداً ومدينتي تانيس وبوبست وكتانتا عاصمتي ملكهم. واقاموا ابنية فخمة لا تزال آثارها شاخصة الى اليوم ونقشوا اخبارهم واسماءهم على هذه الابنية وعلى الآثار المصرية الاولى

وفي عصر الرعاة انشأ الفينيقيون في مصر السفلى كثيراً من المستعمرات التجارية كانوا يأتون اليها بسلعهم ومصنوعاتهم ويحملون تجارة مصر على سفنهم الى الاقطار الاسيوية. وامتدت متاجرهم على طول السواحل الافريقية المقابلة للساحل الاوربي من اطراف مصر شرقاً الى جبل طارق غرباً. واقتبس المصريون شيئاً كثيراً من اخلاقهم وعلومهم واخذوا عنهم صناعات كثيرة كانت ذائعة عندهم. وباتصال الفينيقيين بالمصريين في عصر الرعاة اتصل نفوذ فينيقية الى مصر قبل ان يتصل نفوذ مصر الى فينيقية ولا سيما في ما يتعلق بالصناعات والدين والآداب وفي عهد الرعاة هجر يعقوب حفيد ابراهيم الخليل حبرون في ارض الخليل مع عشيرته الى مصر حيث انضم الى ابنه يوسف كبير وزراء ابائي آخر ملوك الرعاة واشهرهم وكان اباً للشعب الاسرائيلي الذي اقام في مصر اربعة قرون

على ان اكتساح الرعاة لمصر السفلى وانصرافهم الى تعزيز دولتهم فيها ايقظ ملوك الصعيد الوطنيين من غفلتهم وما برحوا منذ ما رسخت قدم الغزاة في ارضهم يجاهدون في تعزيز مقامهم الى ان آنسوا من انفسهم القوة فهبوا لمناهضة الرعاة ووقعت الحرب بين الدولتين وطال اجلها ولا سيما الحرب الاخيرة التي ترجع الى اسباب دينية وقد ظلت سجلاً بين الدولتين اكثر من مائة عام حتى قام احمس الاول مؤسس الدولة الثامنة عشرة من دول الفراعنة فحاصر آفارى عاصمة الرعاة باربعائة وثمانين الف مقاتل ولكنه عجز دونها فصالحهم على ان يحلوا عن مصر آمنين فخرجوا منها في مطلع القرن السابع عشر قبل الميلاد الى اليهودية ولم يستطيعوا تخطيها لان الاشوريين كانوا قد بسطوا سلطانهم على الديار الشامية وظل قوم من الرعاة في مصر الشرقية يحرثون الارض ولا سيما في القرى الواقعة حول بحيرة المنزلة. وبخروج الرعاة من مصر رسخت سلطة الفراعنة في سائر البلاد المصرية

عصر الفراعنة في فينيقية وسورية

لما اشتدَّ ساعد المصريين واستتب لهم الامر في بلادهم تطالَّت اعناقهم الى التوسع في الملك واخذوا يترصدون الرعاة غزاتهم في الامس ليشأروا لانفسهم منهم باكتساح بلادهم والانتفاع بثمار الفتح . وكانت سورية في ذلك الحين ميداناً يتبارى فيه ملوك الجزيرة الفراتية احرازاً لسيادة ممالكها الآمنة فكانت هذه المباراة باعثاً للفراعنة على التحفز لمنافسة الممالك الشرقية والقضاء على بابل والتسلط على هاتيك الاصقاع متوسلين بماشهدوا من التنافس بين ممالك سورية الصغيرة المتخاذلة وتهافتها على استنجادهم والتماس عونهم الى التعرض لشئونها نظاهراً منهم بالتوفيق فيما بينها او بردّ غزاة المشرق عنها على نحو ما فعل الرومان وسواهم من طلاب الاستعمار بعد ذلك بحقبة من الدهر اذلالاً للامم الشرقية والتسلط عليها . وهكذا شمرت الدولة المصرية على آسيا حرباً عواناً وثبتت على مناوأة سورية ومنازعة الممالك الشرقية السيادة فيها خمسة قرون كاملة اي من القرن السابع عشر الى اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد حيث ابتدأ عصر الاستقلال الوطني في سورية

على ان الفاتحين المصريين قاسوا الشدائد في اخضاع ملوك سورية لما كان هؤلاء عليه من النزوع الفطري الى الاستقلال ومن اولئك الفاتحين من افنى سني ملكه في مقاتلة العصاة في سورية ورد الممالك الكنعانية الى طاعة مصر نظير طوطمس (تختمس) الثالث وساتي الاول ورعمسيس الثاني ورعمسيس الثالث . وقد تتبع الفاتحون في غزواتهم طريقاً واحداً فكانوا يجتازون بلاد كنعان الاصلية الى مدينة مجدو الحصينة ومن هناك يجتازون الوهاد فوق بحيرة طبرية في جوار قدس « بحيرة الحولة » ومنابع الاردن عند مدينة لايش ثم يسيرون في المضائق عند سفح حرمون الغربي ولبنان الشرقي ثم يمرون على وادي الليطاني الذي كان وقتئذ بحيرة كبيرة ثم على بعلبك فوادي العاصي الى ان يصلوا الى قدس الكبيرة وهي حمص وحماة ثم يدخلون في البادية سائرين الى قرقيساء وهناك يعبرون الفرات الى الجزيرة الفراتية

اما مملكة صيدون فقد واتهم وحالفهم واقتفت اثرها مملكتا بيروت وجبيل فخفظوا لها استقلالها الداخلي ولذلك فان معظم الضرر الذي نشأ عن غزوة مصر لسورية وما بين النهرين لحق البلاد الكنعانية والآرامية الواقعة بين مصر وآسية . ولم ينل فينيقية والمدن الساحلية منه في بادىء الامر الا القليل لان الفينيقيين والوا اولئك الفاتحين فتجنبوهم وسلكوا في غزواتهم طريق الشرق على نحو ما يتنا في ما تقدم

وكان الفراعنة في غزواتهم يكتفون بيسط سيادتهم العليا على البلاد التي يفتتحونها في الديار السورية والاسيوية لعجزهم عن اخضاعها تماماً ولعدم وثوقهم من ثباتها على ولائهم

وقتاً طويلاً فيفرضون عليها خراجاً سنوياً ويجندون جماعة من اهلها ويربّون في مصر خلفاء ملوكها ويأخذون منها رهائن وقيمون حاميات عسكرية في مدنها لئلا تخلع نيرهم وتعالى عداتهم عليهم . وكانت حكومة البلاد الخاضعة لمصر نمائنة لحكومة الاقطاعات تتمتع باستقلالها الداخلي التام ويتولاها حاكم من اهلها يلقب بملك . وكان الفراعنة يحافظون على شرائعها الوطنية ويحترمون عادات اهلها وتقاليدهم ودياناتهم ويطلقون لها الحرية في مسالمتهم او ابرام معاهدة معهم يتبادل الفريقان بمقتضاها المنافع السياسية والتجارية والاقتصادية

ملفّة فينيقية ومصر

وقد اثبت المؤرخون انه كان بين فينيقية ومصر معاهدة تقضي على الفريقين بالتآزر والتعاون في الخطوب والمهمات . فكانت صيدون عاصمة فينيقية لا تتعرض قط للفراغة في غزواتهم للاقطار الاسيوية . وكان اسطول صيدون رهن اشارتهم لينجدهم في غزواتهم ويسير بجندهم لجباية الجزية من الجزر والاقاليم الساحلية ولها في مقابل ذلك تعزيز الاسطول بالجند المصري ومعدات الحرب . وقد اقام الصيدونيون على مسالمة الفراعنة حقبة طويلة من الدهر فسالوا الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين ولاسيما في عهد طوطمس الثالث الذي انشأ عمارة بحرية عهد اليهم في قيادتها وتعهدها بالعناية اللازمة وهكذا في ولاية رعمسيس الاول مؤسس الدولة التاسعة عشرة وابنه ساتي الاول ورعمسيس الثاني . واستمرت الصلات مستحكمة الحلقات بين مصر وعاصمة فينيقية الى عهد الدولة السادسة والعشرين فان هذه الدولة استخدمت الصيدونيين في عماراتها البحرية لانها وجدتهم ابرع اهل زمانهم في فن الملاحة ولذلك لم يتعرض اولئك الغزاة بسوء لصيدون وهكذا لجبل وبيروت اللتين حذا حذوها في مسالمتهم خلافاً للممالك الكنعانية الاخرى فانها شايعت اعداء مصر من كلدان واشوريين ونصرتهم عليها

والنتيجة ان خضوع فينيقية لمصر لم يكن الا لتبادل المنافع السياسية والاقتصادية على ان يكون ملوك فينيقية سائدين في قومهم مستقلين في شؤونهم بمقتضى شرائعهم الخصوصية ولكنهم يعترفون بسيادة مصر ويؤدون للفراغة الجزية وينجدونهم باساطيلهم . وهذا التحالف بين مصر وفينيقية من اكبر الادلة على ان الممالك الفينيقية كانت على ضيق مساحتها عزيزة الجانب وكان شأنها مع مصر من وجوه كثيرة شأن النظر مع نظيره

حروب الفراعنة في سورية

واهم الحروب التي اضل الفراعنة نادرها في سورية كانت مع الروتن وهم مزيج من اللودين

والآراميين ومع الحثيين الشماليين وهم الذين قادوا عشائر الرعاة في غزوتهم لمصر . واول من حاربهم من الفاتحين المصريين طوطمس الاول الذي اقام على الفرات نصباً نقش عليه خبر فتحه لبلاد الحثيين . وطوطمس الثالث الذي افتتح من الممالك السورية ١١٩ مدينة نقشست اسمائها على احد جدران الكرنك في الاقصر . وطوطمس الرابع وقد نقش خبر حملته عليهم على حجر وجدوه في هيكل امون في طيبة عاصمة الفراعنة . ثم قام رعمسيس الاول وهم باخضاعهم ففشل ومع انه كان يترفع عن محالفة ملوك سورية عملاً بخطة سلفائه اضطره ما شهد من بطش الحثيين وقوتهم الى محالفتهم محالفة الند لنده كما جرى للذين تقدموه من الفراعنة مع الصيدونيين . ولما افضى تاج مصر الى ساقى الاول عاد الحثيون الى مناوأة مصر فرحف عليهم وفتح قادش « قدس » عاصمتهم ثم حالف ملكهم موتنار . غير ان هذه الحلفة لم يطل اجلها فخان موتنار العهد وقطع على المصريين طريق حلب والفرات بحيث باتت املاكهم محصورة في فلسطين وما جاورها من بلاد الاراميين والفينيقيين . وقد نقش اخبار غزواته لبلاد الشام في هيكل امون في الكرنك . وفي جملة آثار هذه الغزوات صورة تمثل اهل لامنون « اعالي لبنان » يقطعون خشب الارز والسرو لانية الظافر وصورة اخرى تمثل مدينة قادش يحاصرها المصريون

ثم قام رعمسيس الثاني « سينوستريس » بين اواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن الخامس عشر فثارت فلسطين عليه باغراء الحثيين فزحف عليها وأخضعها ووصل الى بيروت فنقش صورته على صخر عند مصب نهر الكلب تذكاراً لانتصاره هذا وفي ايامه كان الحثيون في ابان صولتهم واتسع نطاق املاكهم حتى تناول جميع الاقاليم الواقعة بين قادش واطراف آسية الصغرى جنوباً ولبنان والفرات شمالاً ووالتهم اقاليم سورية برمتها ما عدا صيدا وجبيل فانهما انحازتا الى جانب مصر . وقد كسروا رعمسيس ثم استظهر عليهم عند العاصي في معركة هائلة نقش خبرها في هيكل الكرنك واستمرت الحرب بينه وبينهم اربعة عشر عاماً ولم تحمد جذوتها الا بمقتل ملكهم موتنار غيلة في احدى المعارك خلفه اخوه كيتاسار وابرم مع المصريين عهدة نقشت على جدار في هيكل الكرنك وقد تعاهد فيها الملسكان على التضافر والتعاون واعتبار الشعبين المصري والحي متساويين في جميع الحقوق والمرافق . وحافظ المصريون والحثيون على هذه العهدة قرناً كاملاً . وبمقتضاها جعلت مدينة جبيل حداً فاصلاً بين املاك الدولتين فجعلت املاك مصر في الغرب والجنوب واملاك الحثيين في الشرق والشمال . وتزوج رعمسيس بنت كيتاسار الحي وزاره هذا في مصر واقام في مدينة طيبة عاصمة مصر حيث التقى المتحالفان نصب نقش عليه صورتها تتوسطهما صورة رعمسيس الحثية . ومن ذلك الحين توطدت العلاقات بين الشعبين المصري والحي واخذ المصريون يستعملون في لغتهم

الفاظاً من فروع اللغة السريانية وانتقلت عبادة كثير من الآلهة السورية الفينيقية الى مصر ولا سيما عبادة بلع وعشتروت « الزهرة »

الفتح الاسرائيلي

تلا عصر الفراعنة في سورية وآسية فتح الاسرائيليين لارض الميعاد وطن آبائهم . خرجوا من مصر منهزمين بقيادة موسى من وجه رعمسيس الثاني الى بركة سيناء وأوغلوا في الصحراء فتأهوا هناك اربعين سنة كانت في اثنائها قوى المصريين والحثيين قد خارت وملوا القتال فعقد الصلح في ما بينهم . ثم مات رعمسيس وخلفه ابنه منفتح وفي عهده تم خروج بني اسرائيل من ارض مصر الى ارض الميعاد بعد ان أقاموا في ارض الفراعنة نيافاً واربعة قرون وافتتحو ممالك الكنعانيين واستقروا في فلسطين واحجمت مصر عن انجاد هذه الممالك لاشفاقها ان ينالها اذى في تعرضها لهم وهم لم يخرجوا منها الا بعد ان انزلوا بها البلاء الاعظم فرأى الفراعنة انهم في غنى عن تجشم المصاعب في الذود عن ارض كنعان ولا سيما ان الفاتحين لم يتخطوا حدود مملكة صيدون حليفة مصر ولم يجاوزوا الاردن الى المدائن الفينيقية التي امتنعت عليهم بغير ان تقتقر الى عون مصر حليفتها

نور العلاقات بين مصر وفينيقية

وما انفكت المودة مستحكمة الخلفات بين مصر وفينيقية الى ان سقطت صيدون وافضت السيادة السياسية الى صور في مطلع القرن الثالث عشر قبل الميلاد . فهاج مجد صور مطامع الفراعنة ووقفوا لها بالمرصاد الى ان جلس على عرشها عبد عشتاروت في القرن العاشر فأغرى فرعون شيشق ابناء مرضعه الاربعة بقتله اضغافاً لشأن الفينيقيين بالانقسام الداخلي الذي يعقب عادة مثل هذا الانقلاب السياسي . واتخذ فرعون من جهة اخرى فرار يربعام الافرائيمي من وجه سليمان والتجائه اليه لايقاع الشقاق بين الاسرائيليين . وقد نجحت حيلته في الامرين وغزا فلسطين وافتتح اورشليم والشقت مملكة اسرائيل الى شطرين مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل وكانت بين المملكتين حروب طاحنة أثارت كوامن الطمع في نفوس الفاتحين من ملوك دمشق وفراعنة مصر وملوك اشور وبابل وفتحت عيونهم على ما يستطيع من الغنم في مثل هذا الانقسام وافضى الامر اخيراً الى وقوع مملكة اسرائيل تحت نير الاشوريين ومملكة يهوذا تحت نير الكلدان

وأما صور فبعد مقتل عشتاروت وجلس ابن مرضعه على العرش نشبت فيها نار الفتن الاهلية فأوهنت قواها وشل اعصابها تنازع الزعماء السيادة فيها ولم تسترد ما كان لها من

المجد الطريف الآخر في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حيث جلس بيكاليون على العرش وفرت اخته ديدون الى افريقية بطائفة من اشراف المملكة وشيدت هناك مدينة قرطاجنة . وبقرار ديدون هذه توطد النظام الجديد في صور وأصبحت الكلمة النافذة للشعب بعد ان كانت للخاصة

العصر الآشوري

وتوالى على سورية وفلسطين حوادث كثيرة وقف المصريون بازائها وقمة الرقيب المخاذر لأن آشور كانت تسلطت على هاتيك البلاد ودانت لها مصر . وقد ارجعت آشور العالم القديم بالظالم التي ارتكبتها في تغلبها على الشعوب الآسيوية ونسج ملوكها على منوال واحد في الاستمتاع بشقاء هذه الشعوب . على ان مصر ما برحت منذرسوخ قدم آشور في الديار الشامية تكيد لها المكاييد حتى اذا نجحت حياتها في اثاره السوريين عليها هبت لمقامتهم الغنيمة والآخر اخذت الى السكون وتلاشت بشؤونها الداخلية وحمت من التجأ اليها من ملوك فلسطين اثر غزوات الآشوريين لبلادهم

وكان الفينيقيون يضطرون أحياناً الى ممالأة آشور على المصريين اشفاقاً من بطشها فانجدوا أسرحدون ثالث ابناء سنحاريب في حملته على مصر واخضاعه لها وانهزم ملكها ترهاقة احد ملوك الدولة الحبشية من وجهه وهكذا ابنه آشور بانيبال فانه لما غزا مصر وطرد الاحباش منها في منتصف القرن السابع اكره ملوك فينيقية وسورية على انجاده برجالهم

عصر السطراب

ولما انقرضت دولة آشور قامت على انقاضها دولتا مادي وبابل واقتسمتا ممالكها فكانت سورية ومصر من نصيب نبوبلاصر البابلي . غير ان هذا الفاتح تشاغل عن الديار الشامية والمصرية بمعارضة الماديين حتى انس السوريون بضعفه فدانوا للمصريين وقام فرعون نيخو فاستقل ببلاده وحمل على سورية وفتح اشدود . وخلفه نيخو الثاني — وهو الذي ارسل بعثة فينيقية دارت حول القارة الافريقية — فزحف على الديار الشامية وبعد ان كسر ملك يهوذا وقتك به عند مجدو عقاباً له على ولائه لآشور استأنف الزحف الى فينيقية حليفة مصر في الامس فرحب به الفينيقيون وأنجدوه برجالهم ووصل في غزوة هذه الى الفرات . غير انه ما كاد يستتب الامر لمصر في ديار الشام حتى زحف عليها نبوخذ نصر « بختنصر » وهزم المصريين وأجلاهم عنها ووطد سلطانه فيها . على ان هؤلاء عادوا الى دس الدسائس فيها

وحرصوا اليهود على خلع نير بابل فزحف بختنصر عليهم وكسره ثم أعاد الكرة على فلسطين وسبي من أهلها عدداً عظيماً إلى بابل.

ولما وقع النفور بين مادي وبابل واضطربت المملكةتان تحين حفرع خليفة نينوى فرعون مصر الفرصة وعاد ينازع بابل سيادة سورية وتعاهد مع بعض ملوك فينيقية ويهوذا وعمون وموآب على خلع نيرها وزحف على صيداء وافتتحها واستخدم اسطول صور لافتتاح قبرس وسائر المدن الفينيقية فدعمه الفاتح البابلي وكسره تحت أسوار اورشليم وافتتحها وجلا ملكها صدقيا إلى بابل. ثم حاصر صور ثلاث عشرة سنة فعجز عنها. ثم أعاد الكرة عليها في أواخر القرن السادس ق م له فتحها ودمرها. أما فرعون فكان قد تأهب لإنجاد صور ولكن قبل أن يستكمل معدات النجدة وقعت في أيدي الكلدان. وخيل إلى صور أن مصر اجتمعت عن مساعدتها عمداً خوفاً من الفاتح البابلي فاستاء أهلها ولذلك لما همت عمارة مصر بأثارة الفينيقيين على الكلدان لم تتردد صور في نصرة البابليين على مصر. وعندما أن الفينيقيين كانوا لا يزالون على ولاء مصر ولكنهم لم يتجرأوا على ممالأتها ضد بختنصر خوفاً من أن يحل بهم ما حل بأخوانهم السوريين فالتقلبوا على المصريين. ولكن اسطول مصر استظهر على أسطولهم وافتتح صيداء وأرواد وغيرها من مدن فينيقية. غير أن ولاية مصر على سورية لم تستمر أكثر من أربع سنين فعاد بختنصر وافتتح سورية ومصر وأخضعهما لبابل.

عصر الفرس

وفي ولاية الفرس على سورية ظل شأن المصريين في علاقتهم بملوكها وشعوبها كما كان لعهد الآشوريين والبابليين. وكان الفرس يستنجدون السوريين على المصريين فلا هم يجرؤون على معارضة فارس ومناصبتها العداء ولا يسعهم نبذ تقاليدهم الموروثة القاضية عليهم بموالة المصريين ومناصرتهم فكان موقفهم بازاء تنازع مصر وفارس محفوفاً بالمخاطر.

ذلك أنه لما استحوذ قورش الفارسي على بابل دانت له فينيقية فصادقها واستعان بها على المصريين فجهزت له أسطولاً ضخماً لمحاربة مصر. وخلفه على إخضاعها ابنه قمبز مستنجداً العمارة الفينيقية. وباتت السفن الفينيقية من أعظم قوى الدولة الفارسية بحري عليها المرتبات الضخمة وقد فازت بفتوحات كثيرة استعادت فيها مجد فينيقية وعظمتها وفي أيام ارتخششتا الأول كان الاسطول اليوناني يغزو السواحل الفينيقية حيناً بعد حين أنجاداً للمصريين على الفرس ولكن العامل الفارسي كسره. ثم همت مصر باسترجاع سورية فتأهب الاسطول الفينيقي لصد غارة أسطولها فكفت عن التطاول. وفي أيام ارتخششتا الثالث ثارت الحملات الفارسية فاقتلس فرعون نكتانبو فرصة الاضطراب وزحف على فلسطين وكسر الفرس.

وشاع نبأ انكسار الفرس في حرب المصريين فنار ملوك قبرس وفينيقية وثبتت فينيقية على المقاومة وانجذبت مصر بجيش من جندها بقيادة منتور الرودسي فزحف ملك الفرس على صيدا وافتتحها غرة بمساعدة زعيم جند مصر وبسقوط صيدا عادت فينيقية الى طاعة الفرس . ثم زحف ارتحششتا على مصر لمعاقبها وافتتحها وضمها الى مملكته . وما زالت كذلك الى ان انتصر الاسكندر المقدوني على داريوس سنة ٣٣٤ ق.م وقضى على سيادة الفرس في الديار الشامية والمصرية وضم سورية الى فينيقية وجعلها ايلة واحدة

عصر البطالسة والسلوقيين

وفي عصر البطالسة والسلوقيين خلفاء الاسكندر لم ينفك المصريون عن التعرض لشؤون سورية فتابعوا الخطة التي جروا عليها في عهد سلفائهم . وكانت فلسطين من نصيب بطليموس صاحب مصر وتعاقب البطالسة عليها الى بدء القرن الثالث . واما فينيقية فظلت تتنازعها ايدي الفاتحين من هؤلاء الملوك الى اجل طويل فكانت تارة تقع في ايدي السلوقيين واخرى في ايدي البطالسة اصحاب مصر الى ان تسنى للرومان التدخل في شئون سورية لالتجاء هنيبال بطل قرطاجنة اليها وهو الذي عدو لهم . ولم يطل الزمن حتى وقعت الحرب بين الرومان والسوريين وانجلى عن فوز الرومان وفرضهم الجزية على ملك سورية . وبعد حين عادت رومية الى التحرش بسورية واستفززتها الى مناصبتها العدا — وفي اثناء ذلك كانت مصر تدس الدسائس في الديار الشامية اضعافاً لها ليتسنى لها الاستيلاء عليها . فاعزت الى الاسكندر بالان يدعي العرش السلوقي ففعل وظفر به . ثم قام عليه ديمتريوس نيقاتور وخلعه عن العرش بمساعدة مصر . واساء التصرف مع الشعب فنشبت ثورة في البلاد وبرز المكابيون بقيادة سمعان المكابي فصالوا واتوا اعمالاً عظيمة واستقلوا بالملك . وتلا ذلك قيام تريفون على الطيوخس الثامن وفتكه به واستبداده بالدولة وحدوث اضطراب عظيم ادى الى انقسام المملكة وتخاذل امرائها وزعماء اقوامها والسياسة الرومانية جارية في مجراها بكل دقة واحكام ولما دخلت الدولة السلوقية في دور الاحتضار كان الضعف بلغ اشده من المملكة السورية فتحين الرومان القرصة وجاء بومبايس سنة ٦٣ ق . م وافتتحها وجعلها ولاية رومانية . ثم اكتسح القطر المصري والحقة بالملك الرومانية . فكانت مصر وسورية في عصر الرومان شقيقتين تتقاسمان البلوى وتشكوان عبر الزمان على السواء ولو ان هذا العصر كان في كليتيهما عصر رخاء واقبال من الوجهتين الاقتصادية والعلمية

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشجيعاً للاذهان. ولكن العهدة فيما يدرج فيه على اصحابه فتحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف . وراعى في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والتظير مشتقان من اصل واحد فنأظر نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف بأغلاطه أعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالقالات الوافية مع الإيجاز تفضل على المطولة

الشاهنامة وترجمتها العربية

حضرة رئيس تحرير المقتطف المحترم

اطلعت على ترجمة الشاهنامة للفتح بن علي البنداري التي نشرها وعلّق عليها الحواشي الدكتور عبد الوهاب عزّام المدرس بالجامعة المصرية وصدّرها بمقدمة ثمينة مما دل على اطلاعه الواسع وادبه الجم . فلا شك ان العلماء والادباء يقدرّون همة القعساء ويشكرون له مساعيه العظيمة في سدّ ثلثة في الآداب العربية وايقاف ابناءها على كنز من كنوز الآداب الفارسية طالما اشتاقوا الى زلاله

مررت على هذا الاثر النفيس فبدت لي بعض ملاحظات وتصويبات لهفات هيّنت لا يكاد يخلو منها كتاب من الكتب الكبيرة كالشاهنامة فاستأذن الدكتور عزّام نشرها تلمساً للحقيقة التي هي رائد كل نفس كبيرة فأقول

جاء في المدخل ص ٢٠ : « موسى القوريني » وصوابه « الخوريني » كما يلفظه الارمن . وكتبه الفرنسيون Moise de Chorène دوفال الآداب السريانية ص ٢٤٢ وكتبه الانكليز Moses of Chorenè سايكس ١ : ٤٦٧

وفي ص ٨٠ من المدخل : الدولة الميديّة : ترجمة Media الانكليزية او La Médie الفرنسية والمشهور الدولة المادية او الماذية

وفي الصحيفة عينها « الآثار الاسورية » وكأني بالناشر الكريم يريد بالاسورية ترجمة Assyrian فقالت العرب في هذا المعنى الاثورية او الاشورية ولم ترد في كلامهم اسورية . وورد في ١ : ٧٨ : تعريب Malcolm ملكولم والحال يتبع في نقل الاسماء اللفظ وليس الحروف فوجب عليه القول استناداً الى هذه القاعدة « ملكم » كما قال في Mohl مول في الصحيفة عينها

وفي ٢ : ٧٤ : ذكر « مروثا اسقف العراق » جاء رسولا ليخبر ملك الفرس بولاية ثيودسيوس وأُسند الرواية الي سايكس ١ ولم يذكر الصحيفة والصحيفة هي ٤٦٤ فنقول مروثا او ماروثا لم يكن اسقف العراق بل كان اسقف ميفارقين ولم تكن ميفارقين في يوم من الايام من العراق بل كانت من مدن بين النهرين Mesopotamia وعرفها العرب بالجزيرة والاصح « جزيرة اقور » كما جاء في معجم البلدان ومن امهات مدنها حرَّان والرُّها والرقَّة ورأس عين ونصيبين وماردين وآمد وميفارقين والخابور الخ . والذي حدَّا بالدكتور الى قوله « مروثا اسقف العراق » عبارة سايكس Marutha, a Mesopotamian bishop فترجمة هذا النص هكذا : مروثا احد اساقفة بين النهرين (او الجزيرة) او ماروثا اسقف من الجزيرة او اسقف من بين النهرين وفي حاشية ٢ : ١٠٥ اسماء جيل من الناس يدعون في مصر العجر ويسمون في بلاد فارس اللورية وفي بلاد العرب الزط والعشرية . وقد غفل الناشر انهم يدعون ايضاً النور ويقال لهم في العراق القرج والكاولية

وفي حاشية ٢ : ١٠٦ قال : وقد ذُبح في كركا ؟ (كركوك) آلاف من المسيحيين يحتفل بذكرى شهادتهم حتى اليوم في كركوك (اسندها الى سايكس ١ : ٤٥٣) سهواً والصحيح ص ٤٧١ . وقد عرَّب الدكتور عزَّام اللفظ Karka طبقاً للحروف اللاتينية ولو لم يردف اسم هذه المدينة بكرركوك لعسر على المطالع معرفتها لأن المؤرخين عرفوها باسم كركا او كرخاد بيت سلوخ . وكذلك نقلها المؤرخون العرب . ويسرنا ان نذكر ان اللفظ « الكرخ » او « كرخ » اسم لمواضع عرفها العرب . وهو من هذا الاصل السرياني . ومنها جانب الكرخ في بغداد . وفي صفحة ٢ : ١٩٨ نقرأ هذه العبارة : « وقد اخطر في اوائل عهده البطريق الهرم سپراء شو (؟) الى مصاحبة جيشه ليباركه : قلنا الافصح ان يقول البطريك او البطريك بمعنى Patriarche تمييزاً عن البطريق ترجمة Patricien . ومع هذا فاننا لا ننكر ان فريقاً من الكتّاب عرَّب اللفظ الاول بالصورة التي عرَّبها الناشر . غير ان المهم في هذا الموقف ان نضبط اسم هذا البطريك الذي يدعو ناشر الشاهنامه « سپراء شو » فهو سبر يشوع وقد تولَّى كرسي بطريركية المدائن ٥٩٦ — ٦٠٤ م وقد نتج هذا السهو من نقل الحروف اللاتينية Sabr Isho . وفي ٢ : ٢٣٥ = ثم استرده هرقل (اي عود الصليب الحقيقي) بعد وفاة ابرويز سنة ٥٢٨ كما يأتي (آه) قلنا جاء التاريخ ٥٢٨ مغلوطينا وربما اراد الناشر سنة ٦٢٨ فشط به القلم . وعلى ذكر عود الصليب نقول ان الدكتور عزام رجع اليه في ص ٢٥١ و ٢٥٩ وقال احتفل هرقل برده في ١٤ سبتمبر ٦٢٩ فان صحَّ هذا التاريخ فاسترجع الصليب انما كان في عهد اردشير (اه)

يسرنا ان ننقل هنا عبارة عن استرداد الصليب وردت في كتاب لابور الفرنسي النصرانية

في المملكة الفارسية» ص ٢٤٢ وهي: — ان فرائين Farrukhan الذي خلف شيرويه على عرش الاكاسرة رد الى هرقل الصليب الحقيقي مع هدايا نفيسة وذلك شكراً له عن مساعدته او عن عظمه عليه في سبيل تبوئه العرش

وفي ٢ : ٢٣٦ كلام عن مريم وشيرين زوجتي كسرى بروز وعن اصلهما وتوحيدهما : فالارجح انه كان لكسرى بروز امرأتان مسيحتان الواحدة مريم الروحية بنت الملك موريقي والاخرى شيرين الارامية من ميسان فبنى لكل منهما كنائس وبيعاً (راجع شير : تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢١٤) وفي ٢ : ٢٣٧ : كان فرهاد المهندس الذي بنى لخسرو بروز طاق خسرو في تحت البستان (؟) رب كرمشاه والقصر الذي في مشيطة (؟) على خمسة وعشرين ميلاً الى الشرق من المنتهى الشمالي للبحر الميت (اه)

قلنا في هذه العبارة غلطان اولهما ان البناء قرب كرمشاه لا يسمى « تحت البستان » بل طاق بستان وقد صور احد مشاهده سايكس ١ : ٥١٣ وكتاب تحت الصورة TAK-I-Bustan Arch of the Garden وقد زرت سنة ١٩٢١ او وصفته وبحث في تاريخه وصورته في المقتطف (نوفمبر ١٩٢١) والغلط الثاني قصر مشيطة ؟ لا يهتدي المدقق الى ما يريد الدكتور عزام الا بالحدس والتخمين . فلا شك انه اراد بقصر المشيطة قصر المشتى في بلاد موآب غربي وادي سرحان وقد وقع الناشر في هذا الغلط من نقل الحروف اللاتينية Mashita راجع عن هذا القصر مجلة المشرق ١ : ٤٨١ و ٦٣١ ثم ٤ : ٧٦٥ و ٥ : ٦٦٩ و ٧ : ٣٩١ وسايكس ١ : ٥١١ ؟ و ٥١٥ و ٥٢٣ و ٢ : ٢٤٦ : وقد عرّب الناشر اسم الامبراطور « Phocas » فوكاس والامبراطور « Maurice » « موريس » وكان جديراً به ان يتبع في التعريب احد المؤرخين العرب كمزة الاصفهاني او الطبري لئلا يحدث صوراً جديدة لمثل هذه الاسماء الغريبة . فالاصفهاني والطبري قالا في « Maurice » « موريقس او مريقيس وفي Phocas فوقاس وفوقا هناك غير هذه الملاحظات ضربت صفحاً عن ذكرها . ولكن كل ذلك ليس بشيء تجاه فضل الدكتور عزام باراز هذه الترجمة بثوبها القشيب وحواشيه ومقدمتها الفياضة بالمعلومات النفيسة (بغداد) ي . غنيمه

ثعلبان . . . مفرد او مشتي

قرأت في مقتطف يوليو سنة ١٩٣٢ مقالا نفيساً للاستاذ العالم الامير مصطفى الشهابي عنوانه « العلم والفلسفة والأخيلة الشعرية » ولي ملاحظة بسيطة على نقطة في ذلك المقال، هي : قال « وربما جال في خلدك ان تتخذ لك صنماً تعبد ، ولكني أخشى ان يكون من عجين او حوى فتضطرب الى اكله في مضطرب هذه الازمة الاقتصادية كما فعل العرب قبل الاسلام وأخشى ان يصيبه ما أصاب صنم بني سليم ، وكان سادته يسمى غاوي بن ظالم فيينا

هو ذات يوم جالس بعيداً عنه اذا بثعلبان اقبلا وهما يشتردان فشر كل منهما رجله وبال على الصم فنظر اليه غاوي وقال

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعلاب «

فلاستاذ الشهابي يقول انهما كانا ثعلبين اثنين اقبلا وهذا قول يخالفه ما ورد عن كبار أئمة اللغة فالذي روي عنهم وسمعه من اساتذتنا في مجالس الادب انه ثعلبان وبضم الثاء وهو مذكر الثعلاب لا تثنية ثعلب . ويظهر ان الأستاذ قد اعتمد على ما ذكره الفيروزابادي صاحب القاموس ولكن صاحب القاموس اخطأ لأنه ذهب الى انه مثنى وتخطئته للجوهري — كعادته على رأي الأستاذ الجليل استاذنا احمد امين — غير صحيحة ، والصواب ما ذهب اليه الجوهري لان عدداً ليس بالقليل من أئمة اللغة ذهبوا الى ما قاله الجوهري منهم الكسائي وشارح القاموس ، وابن منظور ، والبغوي في معجمه ، وابن شاهين ، والاصفهاني صاحب دلائل النبوة ، والجاحظ ، والحافظ شرف الدين الديماطي وغيرهم (١) من المحدثين كالاستاذ فريد وجدي ، والمعلم بطرس البستاني ولا نعرف احداً ذهب الى ما يقوله الأستاذ الشهابي اللهم الا الهروي وصاحب القاموس وقد رد على الهروي ابو عمان الجاحظ كما في دائرة معارف القرن العشرين ، وقد رد على الهروي ايضاً الحافظ ابن ناصر فقد ورد في تاج العروس ما نصه « وقال الحافظ ابن ناصر اخطأ الهروي في تفسيره ، وصح في روايته وانما الحديث ثعلبان بالضم مذكر الثعلاب مفرد لا مثنى واهل اللغة يستشهدون بالبيت ارب يبول الخ للفرق بين الذكر والانثى كما قالوا في الافعوان والعقربان وحكى الزنجشري عن الجاحظ ان الرواية هي بضم الثاء »

وقد رد شارح القاموس ردّاً مطولاً قال فيه ان قول الفيروزابادي غير صحيح والصواب ما قاله الجوهري نقلاً عن الكسائي والكسائي عمدة في هذا وثقة اذن فما ذهب اليه القائلون بالتثنية غير صحيح منشأ الغفلة وتتميماً للفائدة اقول ، ان الرواة مختلفون في صاحب هذا البيت فبعضهم يقول هو العباس بن مرداس وبعضهم يقول هو ابو ذر الغفاري وبعضهم يقول انه غاوي بن ظالم . ولهذا البيت رفيقان هما :

لقد خاب قوم املوك لشدة ارادوا نزلاً ان تكون تحارب

فلا انت تغني عن امور تواترت ولا انت دفاع اذا حل نائب

ارب . . . الخ م . اسعد طلس

حلب (سورية) بكلية الآداب — الجامعة المصرية

مساعداً تاريخية

جاء في « ٤٣ : ٨١ » من المقتطف « كما اننا لا نعلم هل كان يومئذٍ في بغداد من كان يحسن قراءة وفهم رسالة كتبت باللاتينية او ان الخادم المذكور تولى هذا الامر بنفسه »
 نقول : ورد في وفيات الاعيان لابن خلكان المتوفي سنة ٦٨١ هـ « ١ : ٣٧٧ » ما صورته « وجميع كتابات الامم من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة وهي : العربية والحمرية واليونانية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية والقبطية والبربرية والاندرلسية والهندية والصينية ، فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها وذهب من يعرفها وهي الحمرية واليونانية والقبطية والبربرية والاندرلسية ، وثلاث قد بقي استعمالها في بلادها وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام وهي الرومية والهندية والصينية ، وحصلت اربع هي مستعملات في بلاد الاسلام وهي العربية والفارسية والسريانية ^(١) والعبرانية » فقد اراد بالرومية « اللاتينية » ولكون وفاة الخليفة المكتفي المبحوث عن معرفة اللاتينية على عهده ، حدثت في آخر القرن الثالث للهجرة ووفاة ابن خلكان في آخر القرن السابع للهجرة ، يترجح انه كان في بلاد الاسلام في القرن الثالث للهجرة من يعرف الرومية فالمدّة بين العهدين قراب أربعة قرون ويؤيد هذا الرأي الرجح قول ابن خلكان « وعدم من يعرفها في بلاد الاسلام » لانه اشارة الى عرفانها قبل عصره ، بل يحشر هذا الرأي محشر الحقائق ما ورد من اخبار رسالة الروم الى الخليفة المقتدر في الصلح والقداء سنة « ٣٠٥ » هـ وكان هو التالي في الخلافة للمكتفي ، قال ابو علي أحمد ابن محمد المعروف بمسكويه في « ٥ : ٥٤ » من تجارب الامم عن رسولي ملك الروم « وكان معهما ابو عمر (عدي) بن عبد الباقي يترجم عنهما ولهما » وجاء في « ١ : ١٠٤ » من تاريخ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ما أصله « ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر فكفر له وقال الرسول لمؤنس الخادم ولنصر القشوري — وكنا يترجمان عن المقتدر — : لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبته . . . » والظاهر ان الرسالة كانت باليونانية لا باللاتينية وكذلك الترجمة لان ملك القسطنطينية واهلها اذ ذاك من اليونان ، لكن حياة اللغة اليونانية في بلاد الاسلام — وقد ذكر موتها ابن خلكان — يدل على حياة اللغة اللاتينية التي عدم العارف لها في بلاد الاسلام على عهده وكانت معروفة قبله ، ونحن لا نشك في ان

(١) قال الدكتور « اسرائيل ولفسون » في ص ١٤٧ من تاريخ اللغات السامية « وفي القرن الرابع عشر أخذت السريانية تفنى بسرعة بسبب تغلب الفتوح التنترية بشكل لم يحفظ مثله التاريخ » وابن خلكان قد ذكر استعمال هذه اللغة في بلاد الاسلام على عهده وكان القتر اذ ذاك قد استولوا على ايران والعراق وآسية الصغرى واكبر سورية حتى وصلوا الى عين الجالوت — كما في مراصد الاطلاع — وكتبت السريانية على الجدران ببغداد في اول دخول التنتر اياها

اللغة اليونانية في عهد المكتفي كانت أشيع من اللاتينية لأن كثيراً من المسيحيين النساطرة أتقنوا اليونانية وترجموا جماعة من كتبها الى العربية — كما هو مشهور في تاريخ الثقافة الاسلامية — وكانت بعضها متداولة في زمن المكتفي

القبة والطير والمظلة

وورد في ص ٤٦ بحث قيم لذيد في القبة والطير والمظلة فنقول : ذكر القبة ايضاً قطب الدين الحنفي في ص ٨٧ من الاعلام باعلام بيت الله الحرام قال في ذكره الجراكسة « وكانت تقع فتن وقتال ... الى ان يستقر الامر على واحد منهم فيركب في شعار السلطنة واصطلحوا على هيئة خاصة أخذوها عن الملوك الايوبية الاكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولاً عندهم فان العرف يحسن ويقبح وان كان صورة مضحكة عند من لم يألفها ... فكان من شعار سلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصائغ مكلفة يجعلون في مقدمها ويمينا ويسارها شكل ستة قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة في نفس الشاش يلبسها السلطان في مواكبه وديوانه ويلبس قفطاناً من فاخر الثياب يكون على كتفه اليمين طراز مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار ... ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير صغير، يظل السلطان بتلك القبة التي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته ان يصير سلطاناً بعد ذلك » . وذكر المظلة المعروفة عند الترك بالچتر ابن خلكان ايضاً قال في ترجمة المستنصر بالله الفاطمي « وكان المستنصر يستعير من ابن هبة الله صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته » وقال في موضع آخر بترجمة يعقوب بن كلس الوزير « وخرج العزيز وعليه حزن ظاهر وركب بغلته بغير مظلة وكانت عادته انه لا يركب الا بها وصلى عليه وبكى » (١) وذكر الجيتر ايضاً ابو الفضل كمال الدين عبد الرزاق بن القوطي المؤرخ البغدادى قال في أخبار سنة « ٦٩٤ هـ ما نصه « واما لاجين فانه دخل مصر ورفع البيسري الجيتر على رأسه ولقب الملك المنصور » (٢)

وورد في ص ٤٦ ايضاً « السلطان سنجر » ولم تشر السيدة المحققة مدام ديفونشير الى تاريخ هذا السلطان ولا ميزته عن اسميائه ، أهو سنجر الذي قال فيه أبو القاسم هبة الله بن الفضل المتوفي سنة « ٥٥٨ » :

تكريت تعجزنا ونحن بجهلنا نمضي لناخذ ترمذاً من سنجر (٣)

ام هو سنجر بن ملكشاه بن داود السلجوقي المتوفي سنة « ٥٥٢ » هـ (٤) وذلك أوفق

للحال ام هو سنجر آخر ؟

بغداد

مصطفى جواد

(١) الوفيات « ٢ : ٢٢٣ ، ٥٠٤ » (٢) الحوادث الجامعة (٣) الوفيات « ٢ : ٣٢١ — ٣ »
وابن الاثير « ١١ : ٧٧ » والفخري (ص ٢١) (٤) الوفيات « ١ : ٢٣٤ »

بَابُ الزَّرَاعَةِ وَالْاِقْتِصَا

المفطور له الامير كمال الدين حسين

في الجمعية الزراعية الملكية

لما فوجئت الجمعية الزراعية الملكية بنعي المفطور له رئيسها العظيم الامير كمال الدين حسين بادراء اعضاء مجلس ادارتها ومديرها وموظفيها وعلى راسهم جميعاً حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون نائب رئيس الجمعية برفع التعازي الى القصر الملكي والى صاحبة السمو السلطاني الاميرة كمال الدين والى اعضاء الاسرة العلوية الكريمة خارج القطر المصري وداخله واقفلت الجمعية مكاتبها ونكست اعلامها حداداً على فقيدتها وفقيد الامة المصرية واجلت اجتماع لجنتها الادارية

ذلك ان الجمعية الزراعية الملكية قد فقدت بوفاته ركناً متين الدعائم كانت تستند اليه في جلائل شئونها منذ ولي امرها بعد ابيه مؤسسها ساكن الجنة المرحوم السلطان حسين كامل عند ما تبوأ عرش مصر في سنة ١٩١٥ فأقفت الشبل النجيب اثر والده العظيم وسار على منواله في العمل على تحسين الاحوال الزراعية بالقطر المصري

اما اعمال الفقيد في الجمعية الزراعية فلا يكاد يحيط بها الحصر . فهو الذي انشأ متحف القطن بسراي الجمعية بالجزيرة ويعده هذا المتحف نفراً للجمعية وللبلاد لا ينافس ولا يقوّم من الوجهة العلمية اذ هو منقطع النظر في العالم اجمع وهو مدرسة جامعة لكل ما يهم الوقوف عليه من احوال القطن وتاريخه وزراعته وتجارته وصناعته . وقد بدى به في سنة ١٩٢٣ فنسقت فيه المعروضات المختلفة ارقى تنسيق من حيث روعة الوضع وسلامة النوق وكان في اقبال الجماهير من كل طبقات الزراع والصناع والتجار وغيرهم على مشاهدته والاستفادة منه في المعرض الاخير ما دلّ على ان مصر كانت في اشد الحاجة الى مثل هذا المتحف الفريد في بابه وكان رحمه الله كلفاً بالمباحث العلمية البحتة يعنى بها كل العناية وفي عهد رآسته انتجت الجمعية قطن (المعرض) الذي اصبح الآن في مقدمة الاقطان الطويلة الشعرة التي يقبل عليها الغزلون ايما اقبال فازداد انتشاره بين الزراع في الوجه البحري ازدياداً مطرداً

وكان رحمه الله فوق ذلك يعمل على تقوية روح التنافس بين الزراع فخصر في كل سنة مدينتين ذهبيتين أحدهما لأحدى مديريات الوجه البحري والأخرى لأحدى مديريات الوجه القبلي لتباري في نيلهما كبار الزراع الذين يتقدمون للمباراة تحت إشراف الجمعية الزراعية والغرض منهما التشجيع على تحسين الأحوال الزراعية بالقطر المصري ووضع سموه السلطاني شروط المباريات بنفسه وكان يشرف على إجراءات التحكيم وإهداء الميداليات لمستحقها من كبار الزراع والدوائر منذ سنة ١٩٢٤ إلى قبيل وفاته

وفي المعرض الزراعي الصناعي الأخير الذي أقيم في سنة ١٩٣١ أهدى سموه السلطاني أربع ميداليات ذهبية إلى الفائزين الذين عرضوا أحسن أنواع قطن المعرض والسكلاريديس وأكرم الماشية للنتاج

وكان سموه قبل رأسه للجمعية رئيساً لقسم تربية الحيوانات بها منذ عهد إلى الجمعية في سنة ١٩٠٨ في إدارة ذلك القسم بعد أن كان تحت إشراف لجنة تابعة لوزارة الداخلية وذلك لتحسين أنواع الخيول والمواشي فعمد رحمه الله لشغفه وشدة عنايته بتربية الماشية وعلى الأخص الخيول الأصلية العربية إلى إعادة الخيول الأصلية التي أوجدها في مصر بعض أمراء الأسرة المالكة والمرحوم علي شريف باشا بعد أن كانت قد تسربت إلى خارج القطر وكادت تنقرض بذاً في سبيل ذلك ما وسعته من خبرة ونفوذ

وبعد الحصول عليها أنشأ في الجمعية قسمًا خاصاً لإنتاج الخيول العربية واستكثارها وجمع بنفسه أنساب الخيول العربية الأصلية وأعد لها سجلاً خاصاً فأصبحت مجموعة الخيول في قسم تربية الحيوانات بالجمعية الزراعية أجود مجموعة للخيول العربية في العالم وقد جعل سموه السلطاني مزارعه خير مثال للمعتدين بقدرته الحسنة فكان يعنى بجودة النوع في حاصلاته ويحصل على أثمان لا تقاونه تكون في بعض الأحوال أعلى مما يتسنى الحصول عليه وله في تفتيش صفت خالد مجموعة ثمينة من الخيول والأغنام التي كان يوجه النظر إلى تربيتها ومن ما أثر سموه السلطاني على الزراع أيام الحرب العالمية عند ما ساءت الأحوال المالية وارتفعت أثمان الأسمدة الكيماوية ارتفاعاً عظيماً بسبب الحاجة إليها وانقطاع الواردات منها أن الجمعية بأمره وإشارته جارت الحالة المالية في ذلك الوقت العصيب بتخفيض أثمان الأسمدة وتحمل فرق السعر كواجب عليها تؤديه خدمة للمزارعين

وكان رحمه الله ينفق من جيبه الخاص آلاف الجنيهات على البعثات العلمية التي توفدها الجمعية للتخصص في الخارج وعلى طبع المؤلفات الفنية التي لا تسمح أبواب الاعتمادات في ميزانية الجمعية بتدبير الأموال لها ولا غرو فإنه كان نصير العلم والمباحث وأكبر مشجع للقائمين بها أما المعارض الزراعية والصناعية فكان شديد الاهتمام بها ويرجع إليه الفضل في وضع

البرنامج لتنسيق ارض المعرض بالجزيرة وانسجام ابنيته وتناسب الاذواق في اوضاعها يشرف بنفسه على التنظيم بجملمته ويضحي بوقته في الاطلاع على التفاصيل فكان النجاح الباهر حليف المعرضين الذين اقيموا في عهد رآسته للجمعية بالجزيرة سنة ١٩٢٦ و ١٩٣١ وبالنظر الى ما لقيا من الرعاية العليا التي تفضل بها عليهما حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك كان أثرهما عظيماً في ترقية الاحوال الزراعية والصناعية في القطر المصري

وكان الفقيد رحمه الله في كل ما يقوم به من امثال هذه الخدم الجليلة التي لا يحصرها العد يراعى ان لا يشهر له فضل او يذاع له اسم او تذكر له منقبة لا يطلب جزاء ولا يبتغي شكوراً فلا شك في ان الجمعية الزراعية الملكية اول من يشعر بعظم الرزء وفداحة الخسارة في فقدته تعمد الله برحمته واسكنه فسيح جناته

فطر اسود يهرد الفلاحين

اثر الشاي الاسود في صحة الفلاحين وقواهم

عن المقطم لكريم ثابت

لما زار المسيو موريس ديكوبرا الكاتب الروائي الفرنسي الشهير هذا القطر سألته في حديث دار معه ونشر في المقطم يومئذ عن اهم ما استوقف نظره في مصر فقال «اجتهاد الفلاح ونشاطه وتجلده على العمل» ثم استطرد الى ذكر أمور أخرى قال انها وقعت وقعا عظيماً في نفسه وقد أجمع العارفون على ان الفلاح المصري في طليعة فلاحى العالم لثلاثة اسباب جوهرية. الاول انه يقنع من الاجر بيسيره والثاني انه يكتفي من القوت بقليله والثالث ان عدد الساعات التي يمضيها في أرضه ليست محدودة . وكان أولئك العارفون يعزون نشاطه هذا الى تمتعه بصحة جيدة وباقليم ملائم لها بالرغم من رداءة مسكنه وربما كان لبساطة مأكله نصيب من تمتعه بتلك الصحة فانه يأكل الخبز والحب واللبن والخضر في معظم الاحيان ولا يذوق اللحم الا نادراً غير ان بعض الكتّاب المشتغلين بالشؤون الزراعية يكتبون من مدة عن تفشي عادة شرب الشاي بين الفلاحين وينبهون على ضررها وعواقبها لتأثيرها السيء في صحتهم وقواهم وقد نشر بعض هذا في المقطم ولكن ظهر الآن ان الحالة بلغت من الخطورة ما يقضي بمعالجتها بعلاج سريع فعال لتلافي ضررها وتدارك عواقبها فان العارفين اكدوا لنا في هذين اليومين ان الحالة لا تبعث على الاطمئنان فعلاً وان شرها سيتفاقم اذا دأبنا على مواجهتها بالتردد والتراخي اللذين واجهناها بهما حتى الآن

اجتمعت امس بحضرة صاحب العزة جلال فهم بك وكيل وزارة الزراعة فخذني عن هذا

الموضوع حديثاً مستفيضاً خاصة للقراء هنا لما حواه من معلومات وبيانات جديدة بالبحث والتحصيل قال حضرته : لا يخفى عليكم انه لما نشبت الحرب العظمى اخذت السلطة عدداً كبيراً من الفلاحين عمالاً فكان لهم القدر المثل في المهام التي نيطة بهم فلما عادوا الى بلادهم كانوا قد افوا شرب الشاي فاستمروا في شربه ونشروا هذه العادة بين اخوانهم فلم ينقض على ذلك زمان طويل حتى انتشر انتشاراً مريعاً وعم جميع طبقات الفلاحين فتراهم الآن يحملون معهم الى الحقل لوازم اعداد الشاي الى جانب آلاتهم ومعداتهم الزراعية . وغني عن البيان انهم يضيعون وقتاً طويلاً في اعداده وشربه ولو اقتصر الامر على ذلك لكان ولكنهم يشربون من الشاي ارداءً ويغلوئه الى ان يصبح لونه اسود تقريباً وهم يشربونه بهذه الكيفية عدة مرات في اليوم وقد يستغنون عن الطعام ولكنهم لا يستغنون عن الشاي وقد لا تجد عند الفلاح غلة لما كله ولكن لا بد ان تجد عنده الشاي والسكر

قال جلال بك : ومنذ ان انتشر الشاي بين الفلاحين على هذا المنوال بدأت قوى الفلاح تنحط فتضاءلت جهوده في الحقل وساءت صحته وكان لذلك تأثير وويل في تناسله واصبح لا يعمل في اليوم كله سوى جانب مما كان يعمل قبلاً بسبب ما اعتراه من وهن في فواه البدنية ونقص في ساعات العمل التي يعملها . وامامي هنا احصاء يستدل منه على مقدار الشاي الذي كان يستهلك في القطر من عشرين سنة والزيادة التي زادت بها بعد الحرب العظمى فقد استهلك مصر من الشاي في سنة ١٩١١ نحو ٨٩٥٧١٥ كيلو غراماً واستهلك في سنة ١٩٢٠ نحو ١٦٢٣٠٩٢ كيلو غراماً واستهلك في سنة ١٩٣١ نحو ٦٩٩١١٥٤ كيلو غراماً ومتوسط الزيادة في السنوات الاربع الاخيرة كان ٥٩١ في المائة عن مقطوعة ما قبل الحرب

وقد وضع قسم الطب البيطري بوزارة الزراعة مذكرة عن الشاي الاسود والمواد التي يتألف منها وتأثيرها في المرء وجاء في هذه المذكرة ان اهم تلك المواد الكافيين والتين « والكافيين جوهر سام شبه قلوي ينبه المجموع العصبي والعضلات ويزيل شعور التعب والميل الى النوم ويطيل في ضربات القلب ويرفع ضغط الدم ويعجل التنفس واذا اعطي بمقادير كبيرة يسبب اضطراباً في الاعصاب ويخفق القلب بشدة ثم يقف ويهبط ضغط الدم بعد ارتفاعه وتبطل حركة التنفس بعد اسراعها »
« والتين مادة سامة كاكثر الحوامض وهو يجفف الريق ويسبب العطش ويضعف حاسة

الذوق ويقلل من قوة العصارة المعدنية مقداراً ونوعاً وينتج عسر الهضم ويقلل افراز الامعاء»

قال جلال بك : ويتضح مما تقدم ان الشاي مزايا ومضار من حيث تأثيره في صحة الانسان فاذا امكن شربه بمقادير معتدلة تفصل بينها فترات طويلة رجحت فوائده عيوبه غير ان الاعتدال في شربه غير مكفول والمشهد انه يصبح عادة يتغلب فيها الافراط فتنتج اضراره وهي خفقان القلب وتصلب الشرايين وعسر الهضم والامساك المزمن . نعم انه ينبه الاعصاب ويزيل الشعور بالتعب ويزيد الرغبة في العمل ولكن هذا كله لا يدوم الا فترة قصيرة يعقبها ضعف في الاعصاب وفقر في العمل

ويرى جلال بك ان خير ما تصنع الحكومة لمعالجة هذه الحالة ان لا تسمح بالاستيراد الانواع الجيدة من الشاي وان تفرض ضريبة عالية عليه حتى يتعذر على الفلاح شربه وعند وكيل وزارة الزراعة ان خطر الشاي اصبح اعظم من خطر الحشيش والكوكايين لان عدد الذين يدخنون الحشيش ويشمون الكوكايين محدود في حين ان شرب الشاي يكاد يشمل جميع الفلاحين

هذا موجز الحديث الذي افضى به جلال فهم بك في هذا الموضوع الخطير رأيت ان اردده هنا عسى ان يلقى العناية التي يستحقها من الجهات المختصة فتتضافر على تدبير العلاج الناجع بلا تردد ولا توان فان الذي يرفع المصباح الاحمر هذه المرة هو وكيل وزارة الزراعة وهو بحكم منصبه وخبرته وبما له من صلة بالفلاحين من اعرف الناس بأحوالهم فاذا قال اليوم ان هنالك خطراً يهدد الفلاح وان هذا الخطر هو الشاي الاسود الذي يشربه وجب علينا ان نصدقه وتعين على الحكومة ان تعير انذاره ما هو جدير به من عناية واهتمام

اننا نرد صباحاً ومساءً ان الزراعة عماد ثروة مصر . والعارفون يقولون ان لصون هذه الثروة ثلاثة اركان اساسية اولها سلامة الفلاح من الامراض واثانيها المحافظة على خصب الاراضي وثالثها اتقان الري والصرف

ولكن ماذا تنفع المحافظة على خصب الاراضي وماذا ينفع اتقان الري والصرف اذا اضمحلت قوى الفلاح اي اذا انهار الركن الاساسي لصرح ثروة البلاد

فهل ننقذ الفلاح ام ندعه يذهب ضحية هذا الخطر الجديد — هذا الخطر القاتم — خطر الشاي الاسود

مكتبة المقتطف

ديوان ابن زيدون

رسائله ، اخباره ، شعر الملكين — شرح وضبط وتصنيف كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة —
طبع مصطفى البابا الحلبي وأولاده بمصر في ٥٢٠ صفحة تقريباً من الحجم الكبير

للادب الاندلسي — وخاصة الشعر — صلة قوية بالحركة التجديدية التي نلّسها الآن في الشعر العربي ، ولا أخل أديباً مجدداً لم يتذوق تلك الخلاوة التي يتميز بها هذا الادب ، أولم ينهل من نبعه الصافي ، كما لا احسب أن أديباً من أنصار القديم لم تستهزم تلك الخلاوة ، أولم يرتفع ايضاً من ذلك النبع . وفي الحق أننا في أشد الحاجة الى دراسة الادب الاندلسي دراسة وافية نتعرف بها الوسائل التي سماها ونهض ، وحللاً بها ورقاً

ولقد ظهر في ذلك الفردوس العربي المفقود أدباءً تفحوا جوّ الأدب طيباً ، وسموا الى مراتب الملوذ . وابن زيدون يعتبر من هؤلاء في الطليعة ، فهو متفوق عليهم بعاطفته القوية ، وقد ظل ديوانه محبوساً عنا لم يصلنا منه إلا اليسير يفيض رقة وعذوبة حتى تقدم كامل كيلاني وزميله فأخرجنا لتلك التحفة النادرة من مكمنها ، والدرة الساحرة من صدفها ، وجلّواها فتنة على فتنة وان نظرة واحدة الى التهذيبات التي قاما بها في تصحيح ما لحق آثار هذا الشاعر النابغة من تحريف الناسخين لتبين عظم ذلك المجهود الذي بذل في سبيل إخراج الديوان على حقيقة ما كان . . . فقد ظللنا زماناً نردد عن اساتذتنا هذا البيت من نونيته المشهورة هكذا :

وبيت ملك كأن الله أنشأه مسكاً ، وقد أنشأ الله الوري طينا

حتى طلع علينا الديوان مصححاً فاذا البيت هكذا :

ريبب ملك كأن الله أنشأه مسكاً ، وقدّر إنشاء الوري طينا

فظهرت الصورة جميلة ، والاسلوب متسقاً . وقد ذكر امثلة كثيرة من هذا التحريف وكتب مقدمة طويلة عن ابن زيدون — حياته وشاعريته — وعقد منها فصلاً عن ملوك الطوائف ، وذيل الديوان برسائل ابن زيدون وشعر الملكين — المعتضد والمعتد — لصلتهما بالشاعر ، وأتى ببعض معارضات الشعراء لقصائده ، كما ذيلها بأهم الدراسات التي كتبت في العصر الحديث عن ابن زيدون

وابن زيدون في اعتقادي — بالرغم من الزمن البعيد الفاصل بيننا وبينه — شاعر أحسن عند قراءته انه يعيش بيننا الآن ، تظهر الجدة على شعره ، وتظل ألوانه التي رسم بها تلك البدائع محتفظة بروائها

شاعر عاطفي يشبه من وجوه كثيرة الشعراء الانجليزيين: شلي وبيرون، والشاعرين الفرنسيين: لامرتين وموسيه... وإني لأحس بحرارة تلفحني كلما قرأت له مقطوعاته التي كتبها الى ولادة، وأجد تقارباً شديداً بين قصيدة «البحيرة» للامرتين وقصيدة ابن زيدون النونية التي مطلعها:

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وابن زيدون شاعر فنان،.. ألوانه الاخاذة وشعوره المتقد يغطيان في شعره العاطفي على صناعته اللفظية التي كان مغرمًا بها فلا تظهر فيه، وتصبح سحراً في السمع كما في مقطوعته الآتية:-

بيني وبينك ما لو شئت لم يضع سرُّ إذا ذاعت الاسرار لم يدع
يا بائعاً حظه مني، ولو بذلت لي الحياة، يحظ منه، لم أربع
يكفيك أنك إن حملت قلبي ما لم تستطع قلوب الناس، يستطع
ته أحمّل، واستطل أصبر، وعزّ أهّن وولّ أقبل، وقيل أسمع، ومُرّ أطمع

وما خلد ابن زيدون إلا عاطفته، وما قلّده تلك الزعامة إلا أنه كان يستمد من قلبه شعره، ويصوغه من وجدانه. وإني لأهتف البيت من شعره فأظلم أسمع صدها زمناً يتردد، ويخيّل اليّ أن صدى صوت ابن زيدون ما يزال يرثي في جوف الليل هاتفاً:

يا ليل طُلّ لا اشتهي - الا بوصل - قصرك

لو بات عندي قمرى ما بت أرعى قررك

أو وداعه لولادة إذ يقول:-

ودّع الصبر محبّ ودّعك ذائع من سرّ ما استودعك

أو قصيدة الذكرى التي يقول فيها:

إني ذكرتك بالزّهراء مشتاقاً والأفق طلق، ومروءى الارض قد راقا

وارتفع وياه في عالم السموّ عند ما يقول:

سأقنع منك بلحظ البصر وارضى بتسليمك المختصر

ولا أخطئ التماس المنى ولا أتعدي اختلاس النظر

أصونك من لحظات الظننوا وأعليك عن خطرات الفكر

وأحذر من لحظات الرقي ب، وقد يستدام الهوى بالحذر

أما قصيدته التي كتبها وهو في السجن، وبعث بها الى صديقه الوزير الكاتب والتي يقول منها:

ما على ظني بأس يبحر الدهر ويأسو

ربما أشرف بالمرء على الآمال يأسو

ولقد ينجيك إغفا ل، ويرديك احتراسو

فهي لوعة خالدة الذهب، وأنة أبدية الصدى

على ان طلاوة ابن زيدون ورقته لا تدفعان بشعره في المدح والرثاء الى الذروة التي تسمو بشعره اليها عاطفته ، فتظهر صناعته اللفظية وعليها من التكلف ما عليها . ولكن لحسن الحظ ان معظم شعر ابن زيدون آمال وآلام ، وتغريدات وتأوهات ، ستظل ثروة في الادب العربي سامية القدر . وانها لخدمة عظيمة قدمها الاديبان الفاضلان الى الادب العربي باخراجهما هذا الديوان في الحلة القشبية التي يستحقها ، ونشكرهما الاهتمام بالادب الاندلسي والعزم على إظهار تحفه وطرائفه

الصيرفي

حول ديوان الرصافي

لعل ديوان الرصافي الذي طبع في بيروت اخيراً (مطبعة المعرض) يعد من اكبر الدواوين الشعرية الحديثة حجماً ان لم يكن هو اكبرها على الاطلاق ، ولا شك اننا نعلم هذا الديوان ظمناً قائلاً اذا نظرناه على انه شعر كله ولكننا ننصفه الانصاف كله اذا نظرناه على انه ديوان أدب وفلسفة ولغة وتاريخ وسياسة واجتماع . أما الشعر فلعله أقل مواد هذا الديوان العظيم ولعلك لو سألت الرصافي نفسه هل نظمت ديوانك بهذا الحجم الكبير على انه شعر خالص لاجاب : كلاً . ولكنني أردته ان يكون صورة كاملة للعصر الذي أعيش فيه ولا جدال في ان الرصافي قد وفق فيما اراده من ديوانه كل التوفيق ، فديوانه يعطيك اقرب صورة للحياة العربية في مدة الثلاثين سنة الماضية ، وهو يريك بوضوح في هذه الحقبة من السنين كيف كان الشرق العربي يعالو ويهبط بين قوتين متجاذبتين كلتاهما أقوى من الاخرى ولغني بهما قوتي المجددين والمحافظين سواء أ كانت هذه المشادة في الآراء السياسية او الدينية او العلمية على حد سواء ، فديوان الرصافي يعطيك اوضح صورة للشرق العربي في هذه الحقبة التي تعد بحق اهم فترة من عصر النهضة والتجدد والانتقال ولكن من الحق ان تقرر ان في نظم الرصافي جاذبية موسيقية وانه على ما فيه من صنعة فانه يبدو غير متكلف . فاذا كان هذا الديوان ليس مثلاً لتجديد الشعر فانه بدون شك مثال لتجديد النظم . وهو اذا لم يكن جميعه شعراً مطبوعاً فان جميعه نظم مطبوع . بل هو اذا لم يكن اكثره شعراً فنياً صرفاً فان اكثره حقائق وافكار وآراء اصلاحية من احسن ما وصل اليه علماء الاجتماع والعمران . انك في هذا الديوان تقرأ قصائد برمتها قد تبلغ القصيدة منها نحو السبعين بيتاً فلا تجد بيتاً واحداً من الشعر ولكنك لا تجد بيتاً واحداً خالياً من حقيقة علمية ، أو فكرة فلسفية أو رأي اجتماعي ، ذلك الى رنين موسيقي يجذبك جذباً الى اتمام قراءة القصيدة من قبل ان يلحقك شيء من السأم او من الملل . واليك مثال لما نقول من هذه الابيات وهي مطلع القصيدة الاولى للديوان . قال تحت عنوان مشهد الكائنات

جمالك يا وجه الفضاء عجيب وصدرك يأبى الانتهاء رحيب
وعينك في ام النجوم كبيرة تضيء على ان الضياء لهيب
ومازلت تغضيها فنخطيء قصدنا وتفتحها براءة فنصيب
فيحمر منها في الغدبة مطلع ويصفر منها في العشي مغيب

فأنت ترى ان هذا النظم رائع حقاً وانه ذو موسيقى تجتذب الاسماع وقد تسترق او تستهوى بعض الطباع ولكنك الى جانب ذلك اذا بحثت في هذه الابيات عن الشعر فانك لن تجده، قل بربك اي انسان فوق هذه الارض لا يعرف ان جمال وجه الفضاء عجيب وان صدره رحيب وهل هذا الكلام الا كمثل قولهم السماء فوقنا والارض تحتنا واذا كان هذا الكلام قد وصل من التبذل الى هذا الحد فأني معنى شعري نجده فيه واي فضل للشاعر اذا نظم، ولست شعري اي فضل للشاعر اذا لم يسبق احساسه احساسات الناس جميعاً ليكشف لهم اسمي المعاني التي يزر بها هذا الوجود. ثم ومثال آخر من النظم الرائع الذي تجده في ديوان الرصافي فتشعر في قراءته بشيء كثير من الموسيقى والروعة والجلال ولكنك مع كل هذا لا تجد فيه شيئاً اصلاً من الشعر يقول

الا يا قبوراً زرتها غير عارف بها ساكن الصحراء من ساكن القصر
لقد حار فكري في ذويك وانه ليحتار في مثنوى ذويك اولو الفكر
فقلت وللأجداد كفي مشيرة ألا ان هذا الشعر من الخج الشعر

لا شك ان هذا النظم بديع حقاً ولكني أسألك هل تحس فيه بشيء من الحياة بل أسألك هل تحس فيه بشيء من الموت. أوكد انك لن تحس فيه بشيء مطلقاً لانه لم يوجد فيه النبض مطلقاً لم يوجد فيه الشعر اصلاً على رغم ان الرصافي يثبت ان فيه شعراً وانه من الخج الشعر او كما قال ان هذا النوع من النظم الرائع الذي لا يحتوي الا على الرنين الموسيقي والسلاسة اللغوية قد ضخمه دواوين الشعر العربي تضخيماً يجعلنا نترحم على المتنبي يوم عوّد سيف الدولة فقال اعيدوها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ولست ادري اي حظ عظيم كان يبلغه الشعر العربي لو أن سادتنا اصحاب هذه الدواوين الضخام قد وفقوا بين شاعرياتهم وبين مقدرتهم العجيبة على هذا النوع من هذا النظم العالي البديع تكلم بشار ذات يوم في مجلسه فقال انا اشعر العرب فليل له بماذا فقال لاني نظمت احدي عشر الف قصيدة فلو لم يكن لي في كل قصيدة الا بيت واحد لكنت اشعر العرب ويظهر ان شعراءنا لا يريد احد منهم ان يكون اقل من اشعر العرب ولكن لا بطريقة جديدة يتدعها ولا بمعان غوال يفترعها ولكن بنفس الطريقة القديمة التي جرى عليها صاحبنا اشعر العرب القديم بنظم آلاف القصائد ليبي منها آلاف او مئات ابيات

ومع اني لا اشك في ان الاستاذ الرصافي قد سبق الكثيرين من جيله الى فهم حقيقة الشعر الا انه لم يستطع ان يتحرر تماماً من سلطان هذه الطريقة التي تسود شعراء العرب حتى اصبح الجمهور وفي طليعته كثير من الادباء لا يعدون من كبار الشعراء الا المكثرين من النظامين ولا اتردد في القول بأن الرصافي لو استطاع ان يقلل من النظم نوعاً ما لكان احد شعرائنا الذين نعد اسماءهم على اصابع اليدين

وليس ادل على صدق ما اذهب اليه من ان ادعو القارئ الى قراءة مقطوعاته والمقارنة بينها وبين ما له من القصائد المطولات

واني اختتم هذه الكلمة بما ذكره لي رئيس تحرير هذه المجلة ، قبيل كتابة هذه السطور قال : « كنت اقرأ نقداً لاحدى روايات المؤلف الاميركي المشهور سنكار لوس نائل جائزة نوبل بقلم كبير النقّاد الاميركيين المستر سيدل كاني فأخذ على المستر لوس ان روايته ليست مكتملة العناصر من ناحية الفن ولكن ليس من ينكر انها مثل معظم روايات لوس تاريخ اجتماعي للاميركيين في العصر الحديث . وليس من ينكر ان لسنكار لوس المؤرخ الاجتماعي في رواياته مقام ادبي قريب من الذروة ! »

وبعد فاذا لم يكن ديوان الرصافي مكتمل العناصر الشعرية فانه ولا ريب تاريخ اجتماعي للشرق الادنى في العصر الحديث . وليس هذا بالاثر اليسير

محمود ابو الوفا

الجاحظ معلم العقل والادب

بقلم شفيق جبري عضو المجمع العلمي العربي. عدد صفحات الكتاب ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط

« فاذا ظهرت الى هذه المحاضرات آثار الانفراد بالفكر وبالشعور دون الانسحاب على ذيل أحد ، فقد بلغت الغاية التي أتوخاها ، وسواء علي بعد هذا أكنت مصيباً في فكري وشعوري أم كنت مخطئاً فيهما »

شفيق جبري

بهذه الكلمات الواضحة الحكيمة يصدر الاستاذ شفيق جبري كتابه النفيس أو على الأصح محاضراته الجديدة التي ألقاها على طلبة كلية الآداب في دمشق ، وفي هذا التصدير القصير يرى القارئ صورة واضحة المعالم دقيقة التفاصيل لمؤلف كتاب الجاحظ ، ولو أن كاتباً منصفاً يتوخى النزاهة والدقة والانصاف قرأ هذه المحاضرات من غير أن يقرأ هذا التصدير لكان اول ما يلاحظ على كاتبها ميله إلى الانفراد بالفكر وبعده الشديد عن التقليد الاعمى والجري على اساليب التعبير التي ألفها أكثر المؤلفين في هذا العصر حتى كادت تصبح (كليشيهات) مخفوفة . ولو أن هذه هي كل ما في الكتاب من مزايا لألحقنا الاستاذ الفاضل مؤلف الكتاب بطائفة من غلاة المجددين لا يسر الاستاذ أن يحشر في زمرتها ، فان كثيراً من المجددين في هذا العصر يكرهون التقليد أكثر مما يكرهه مؤلف الكتاب وينفرون منه أكثر من نفوره .

ماذا ، بل منهم من آلى على نفسه ان يعارض كل رأي قديم وينقض كل ما أجمع عليه القدماء بالحق وبالباطل رغبة في اقناع الناس بأنه مبتكر غير مقلد ، حر غير مقيد ، لا ينسحب على ذيل أحد — على حد تعبير المؤلف — ولا يعبأ بعد ذلك أكان مصيباً في فكره ، وفي شعوره ، أم كان مخطئاً فيها ، كما يقول الاستاذ شفيق ، ولكن شتان بين المذهبيين ، وان كان اسلوب التعبير عنهما واحداً ، فان اولئك يتنكبون الجادة ، ولا يعابون بالحقيقة ، ولا يُعَنِّون أنفسهم بالبحث عن المصادر وتمحيص المقدمات والوصول الى نتائج صحيحة يقرها العقل والمنطق . وليس يعينهم ان يجيدوا البحث ويمحصوه بقدر ما يعينهم ان يشتهروا بالطرافة والابتكار والبعد عن التقليد

اما الاستاذ شفيق فله مذهب آخر يخالف مذهب اولئك المسرفين كل المخالفة ، فهو يكره التقليد كل الكره ، ولكنه — الى ذلك — يحرص على الحقيقة كل الحرص ، وهو لا يندفع وراء رأي مشهور وعبارة مقررة محفوظة ، ولكنه — مع ذلك — يحرص على النصوص والاسانيد ويعتز بها كل الاعتزاز بعد أن يقرها عقله ويرضاها منطقته ، وبعد ان يضعها في بوتقة البحث ، وثمة يستشهد بها الاستاذ ليحق حقاً او يزهق بها باطلاً ، فهو يستعمل كل أدوات البحث المشروعة ويدقق ويمحص ما شاءت له دقته وتمحيصه ، فاذا اصاب فقد أرضى نفسه ، وأرضى الحقيقة معه ، واذا أخطأ فقد بذل ما في وسعه ، ولم يأل جهداً في الوصول الى الصواب ، ثم هو لا يعنيه بعد ذلك أن يكون مصيباً في فكره وفي شعوره ، او مخطئاً فيها كما يقول

هذه كلمة موجزة سريعة نكتبها للقارئ انصافاً لمؤلف الكتاب وهي — كما رأى القارئ — نقيصة في غيره ، ولكنها فضيلة فيه ، فقد كاد ينقسم الباحثون عندنا الى قسمين مغالين في الجمود ومغالين في التجديد أولئك لا يجرؤون على مخالفة القدماء والبعد عن آرائهم قيد شعرة ، وهؤلاء لا يطبقون صبراً على موافقة القدماء في اي شيء مهما أيدته النصوص التي لا سبيل الى المسكارة فيها رغبة في الجدة والطرافة أو جرياً وراء نظريات خاطئة تلقفوها بلا روية ولا تمحيص عن الفرنجة

وقد تكاثفت فئة من افاضل الباحثين في السنين الاخيرة على درس الجاحظ والعناية بآثاره ، واذاعة فضائله ومزاياه الباهرة على الناس ، وهي جهود مشكورة ستعود بأحمد النتائج على الأدب العربي والبيان العربي ، وقد وفق الاستاذ شفيق في كثير من فصول الكتاب توفيقاً عجيباً جديراً بالاغتياب والثناء والاعجاب ، وليست تتسع هذه الكلمة الموجزة السريعة الى عرض آرائه المبثوثة في كتابه ومناقشتها وهو يقع في مائتين وخمسين صفحة ، فلنجتزئ بقوله في الفصل الذي كتبه عن تحقيق الجاحظ اذ يقول :

« فالجاحظ لم يفتحه فضل العيان والتجربة ، وان فاته في بعض الاحيان روح الترتيب في الذي عاينه ، او جرب فيه ، او فاته خيال العالم ، وأعني بهذا الخيال قدرة العالم على التصميم ، وعلى الحزر والحدس لاستنباط القوانين العامة ، أو فاته التمكن من انشاء المقاييس العلمية ، فقد نجد كثيراً من معارفه مبثرة لا يجمعها نظام واحد

وكما جرب وغاين فقد سمع : وكان في معرفة السماع شديد التثبت والتوثق ، ولقد ضم إلى هذه المذاهب كلها ، الى التجربة والعيان والسماع ، مذهباً آخر وهو العقل ، فقد جعل العقل دليلاً في مجامع أموره ، فما كان يصدق إلا ما تثبته الادلة ، ويحققه الامتحان ، فالعقل في نظره انما هو الحجة في حكم الامور . وقوله :

« ولم يقتصر الجاحظ على مؤاخذة ارسطاطاليس بأنه لم يعتمد في تحقيقه على العيان والسماع والامتحان وانما عاب عليه في بعض الاحوال انه اذا تكلم على حيوان فانه لا يستوفي عجائب هذا الحيوان ، من هذا كلامه على الفيل :

« وما أعجب ما قرأت لصاحب الحيوان في كتاب المنطق ، وجدته وقد ذكر قصر عنقه ولم يذكر انقلاب لسانه ، وذلك أعجب ما فيه ، ولم ينظر في كم يضع ، ولا مقدار مدة حمله ، وكيف يخرج من بطن أمه نابت الاسنان . » الخ الخ

وقد عرض الاستاذ شفيق جبري الى كثير من النواحي الرائعة للجاحظ وأدبه وثقافته ، فذكر لنا كيف كان النقد قديماً في لغة العرب ثم تدرج في سبيله الى السكال ، وذكر لنا أول عهده بالجاحظ ، ونواحي الجاحظ ، ووطن الجاحظ ، وحياته ، وثقافته ، وحرية الفكر في عصره ، والزندقة في عهده ، وأثر الانقلاب الفكري في نفسه ، وأصوله في التحقيق ، واعتماده على التجربة والعيان ، واستعانتة بالعقل ، ونقده العلمي ، وطريقته في الشك والتعليل ، ومذهب المعزلة الجاحظية ، وشعور الجاحظ الديني ، ومذهبه في التفسير والتأويل ، وضحكه ، وتهكمه ، واسلوبه في النقد ، ورأيه في التوليد والشعر ، واهتمامه بالصنعة ، وطريقة تفكيره ، وروعة فنه وبعد ، فقد أحسن الاستاذ شفيق جبري في كتابه « المتنبي » الذي عرضنا له بالنقد والتحليل في مقتطف العام الماضي كما احسن في كتابه الجاحظ ، وانا لجهود الموقفة المحمودة القادمة لمنتظرون ، اكثر الله من امثاله ، وبارك الله في جهوده المثمرة الخصبية ، ولقد صدق الاستاذ الامام محمد عبده حين قال : « كل طعام يتناوله الصحيح ينقلب الى صحة ، وكل طعام يتناوله المريض ينقلب الى مرض » فقد انتج الاستاذ شفيق جبري في محاضراته اشهى الثمار وخلف لنا في بحوثه اروع الآثار

فتح الاندلس : رواية تمثيلية شعرية

تأليف فؤاد الخطيب

طالعت هذه الرواية التمثيلية ، وعنيت بها خاصة لأنها من قلم الاستاذ الخطيب ، ولشعر الخطيب عندي منزلة ممتازة . فقلت لعله يجيد في الرواية التمثيلية ، كما يجيد في الشعر . فهل حقاً اجاد فن الرواية ؟ وهل تثبت روايته اذا وازناها بغيرها من صنع اقطاب الفن ؟ وأين يكون مكانها بجانب روايات شوقي مثلاً وهي شبيهة بها كل الشبه ؟ الرواية تاريخية ملخصها ان القوط الذين حكموا الاندلس اساءوا الحكم وعاثوا في البلاد فساداً ، فاستغاث الشعب المظلوم بالعرب ، فأغاثنوه ، وجاء طارق بن زياد البطل المشهور ، صاحب الخطبة التاريخية الفذة ، ارسله الامير البطل موسى بن نصير ، واخيراً تم للعرب الفتح ، وامتد سلطانهم حتى عم الاندلس بأجمعها : هذه هي الرواية يعرضها الاستاذ الخطيب في فصول ثلاثة ، هي اشبه بالعرض من اي شيء آخر ، ففي الفصل الاول ترى امراء العرب واحداً بعد واحد . وفي الفصل الثاني يعرض عليك المتآمرين بملك القوط ، وفي الثالث يعرض عليك لذريق في مجده وخلاعته ، ثم يختم القصة بانتصار العرب ، وبقتل لذريق

يعرض عليك كل هذا في شعر رائع بليغ يصل الى القمة احياناً ، فعند ما يتكلم عن مجد العرب تسمع صليل السيوف ، وترى بعينيك نار المعمة ، او عند ما يسمعك سعداً يشكو غرامه يرق الشعر حتى يصير جدولاً يسيل ! وسأورد امثلة من ذلك الشعر الرصين اما الحبكة المسرحية ، اما العقدة ، والمفاجآت التي تبنى عليها الرواية فغير موجودة ، لم يعرها المؤلف اهتماماً ، لانه عني بالشعر ، وبالعرض التاريخي ، وبالمجد القديم يبعثه حياءً ، فيروح يتخير المواقف له ويخلقها خلقاً ، ولقد يغرق في ذلك فيأتي بلا شيء . خذ مثلاً مؤامرة اليهود في الفصل الثاني ، فانهم يجتمعون ويتكلمون كثيراً ، يريدون ان يساعدوا العرب ، فيفكرون في السيوف عند العرب ، السيوف البتارة ، يفكرون في المال ، لانهم يهود ، العرب اغنياء ، اذن تنتهي المؤامرة بالدعوات ! والحق انك لتضحك ملء شديك حين تنتهي مؤامرة الاسرائيليين عند ذلك . ولكن الجميل في الرواية ، انه حين يريك لذريق في جوره وفسقه ، لا يزال يحتفظ بطولته ، فتؤمن ان النفوس القوية مهما تطرق اليها الفساد ، تبقى فيها جوانب كثيرة من العظمة ، يتجنبها الفساد وتهييها !

ولنورد امثلة من الشعر البليغ الذي يروق ترديده السمع ويعذب

ما الذي كان على الظي الا غن
بعد برح الهجر لو رفه غني
انا لا ارجع عن عهد الهوى
ولئن كان الهوى صفقة غبن
صدق الباكي على احبابه
ايها الدمع على الشوق اغني !

ومن خطبة طارق :

امامكم الاعداء والبحر خلفكم
وانتم من الايتام اضيع موقفاً
كذلك يتم في الجزيرة انها
لمنزلكم بالعز او انها القبر !

ومن حوار بين الشيخ المتقاعد والشباب المتحمس :

تالله ما الموت الا العيش في ضعة
من يرض بالثوب نجعل ثوبه الكفنا
ان يعوز العرب في بنيان دولتهم
هدم الحياة بذلنا الروح والبدنا
وليجعلوا من بقايانا ومن دمنا
طيناً وماءً فيبنوا الملك والوطنا
يا سيدي الشيخ ان طأطأت ممتنهاً
فهل يطأطىء كل الشعب ممتنها

والشعر كله من هذا الطراز العالي المشرق :

وبالجملة للمؤلف كل التهئة ، فاذا كان هذا هو استهلاله فهي براعة كبيرة ! وانا لما تنتجته
عبقريته في المستقبل لمنتظرون !

الدكتور ابراهيم ناجي

المطبوعات الجديدة

رأبنا بعد اطالة النظر في موضوع المطبوعات العربية الجديدة ونقدها ان نختار كل شهر بضعة كتب ونعني بالكتابة عنها كتابة وافية ينصفها الكاتب والموضوع والقارئ معاً. وهذا ما تفعله المجلات الكبيرة في بلدان اوربا واميركا . فنحن نطالع مجلة نايتشر العلمية الأسبوعية فنطالع فيها مراجعات وافية لكتابين او ثلاثة كتب كل اسبوع ثم اشارة الى الكتب الاخرى او نبذ موجزة عنها
وقد حالت عنا بتنا — في هذا العدد — بأربعة من اهم الكتب العربية التي ظهرت حديثاً دون العناية بكل الكتب العربية الجديدة التي ظهرت في خلال فصل الصيف واهدت الينا فنكتفي بذلك الان على ان نعود الى العناية ببعضها في اعداد تالية وهي :

اهدت الينا المطبعة المصرية بمصر — جريدة سلفستر بونار تأليف انا تول فرانس وترجمة نعمة غازار ولها مقدمة بقلم محمود ابو الوفا — ومريم الجديدة تأليف موريس مترلك ترجمة الارشمنديت انطون نيوس بشير — ومراقي النجاح بقلم الارشمنديت انطون نيوس كذلك * ومطبعة التعاون بمصر العدد الاول من مجلة « ابولو » لصاحبها الدكتور ابوشادي وهي مجلة فنية لخدمة الشعر الحي * وعبد اللطيف الطيباوي بحثاً تاريخياً في جماعة اخوان الصفا * واذوار مرقص كتاب فن التعريب عن اللغة الفرنسية * ومجلة الحارس البيروتية كتاب اسماء البنات ومعانيها وعلاقاتها التاريخية واشهر نساء دعين بها * وعبد اللطيف النشار مجموعتين من قصص رابندرانات طاغور * والدكتور فدمر بحثاً ألمانيا في ادب محمود تيمور * ومجلة المشرق درس الرسالة الحاتمية بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الادب العربي في كلية القديس يوسف بيروت * وادارة الهلال كتاب المسرح الجديد وهو مجموعة ملخصات لاشهر القصص المسرحية بقلم الاستاذ محمود كامل * مكتبة صادر بيروت ترجمة رواية المثري النبيل لموليير بقلم الياس ابو شبكة — وقصتي عيد سيده صيدنايا وفاجعة حب تأليف انطون سعادة وكتاب المذهب الطبي الجديد بقلم اسكندر زخور والدره القيمة لابن المقفع ضبطها وعلق حواشيا جرجي شاهين عطية * والمكتبة العربية بدمشق رسالة الاحنف بن قيس ملخصة عن تاريخ ابن عساكر * ومطبعة دار الایتم بالقديس ترجمة رواية ناثان الحكيم تأليف الشاعر الالماني لسنع وترجمة الياس نصر الله الحداد * ومطبعة الطلبة بمصر كتاب تاريخ اللغات السامية بقلم محمود الطحلاوي * والاديب محمد قاييل قصة له موضوعها الغزلة * ومطبعة العلوم بمصر ترجمة علي ابن أبي طالب بقلم الاستاذ احمد زكي صفوت * ومطبعة العرب بالقديس كتاب العراق تأليف السرينجل دافدسون وترجمة نجاح توبهض وله مقدمة بقلم اسعد داغر * والحامي انور شاول بغداد ترجمة تمثيلية شريدان في ولم تل * ومطبعة باييل بدمشق رواية لقيط الصحراء تأليف احمد تقي الدين

باب الاخبار العلمية

بناء المادة الكهربائية

للسر الفرد يونغ

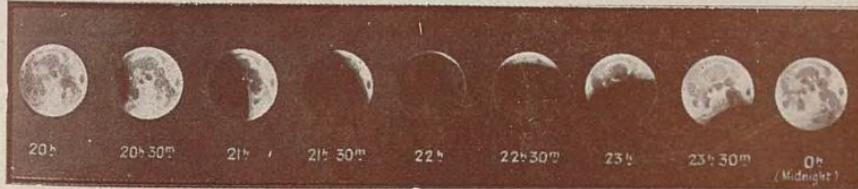
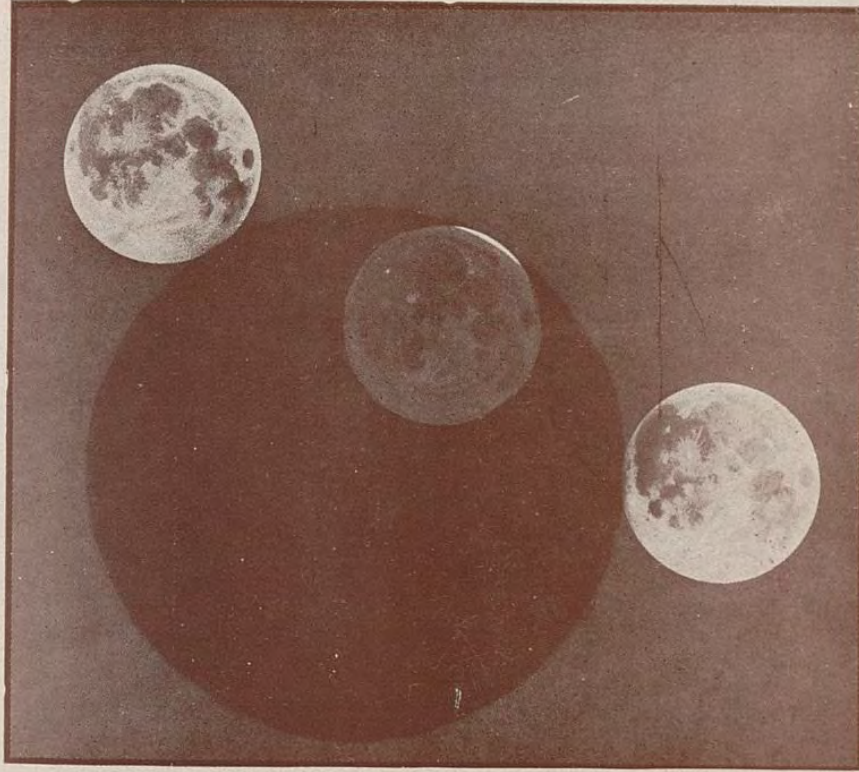
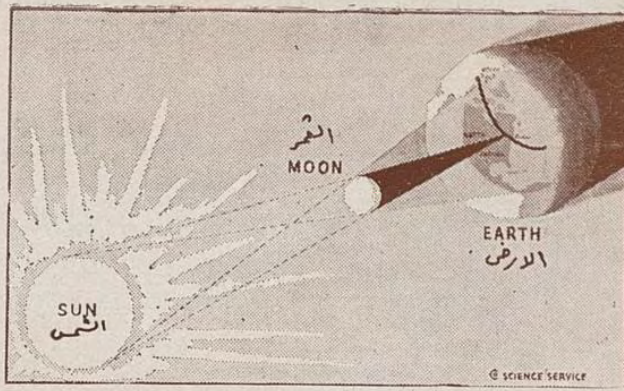
رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني ملخصاً من خطبة الـآسة فيه

الكهربائية السالبة والبروتونات وهي وحدات لا تجزأ من الكهربائية الموجبة . فالمسألة في ظاهرها بسيطة فكاننا عدنا الى غرفة طفل وقد اعطي بين العابه طائفتين من الكعاب متساويتين عدداً وكل منهما مؤلفة من كعاب متماثلة ثم طلب اليه ان يبيّن هذا النكون المادي الرحب المتنوع بهما . انها كعاب لا تحطم ولا تتغير . اما فيما يرتبط بشحنتها الكهربائية فشحنة الكعب في الطائفة الواحدة تعادل وتعادل شحنة الكعب في الطائفة المقابلة . ومع ذلك ترى ان نصيب كل منهما من كتلة الذرة يختلف عن نصيب الآخر . فنصيب البروتون - لسبب ما زلنا نجهله - من كتلة الذرة يفوق نصيب الالكترتون نحو ١٨٤٠ ضعفاً

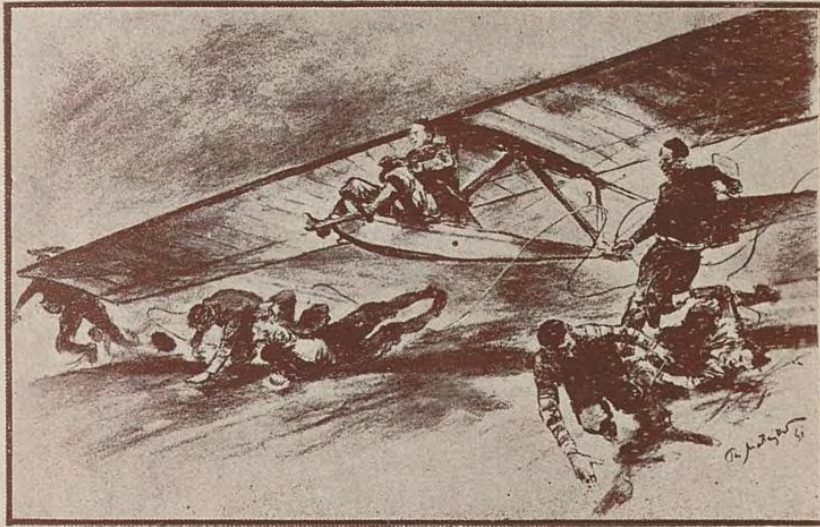
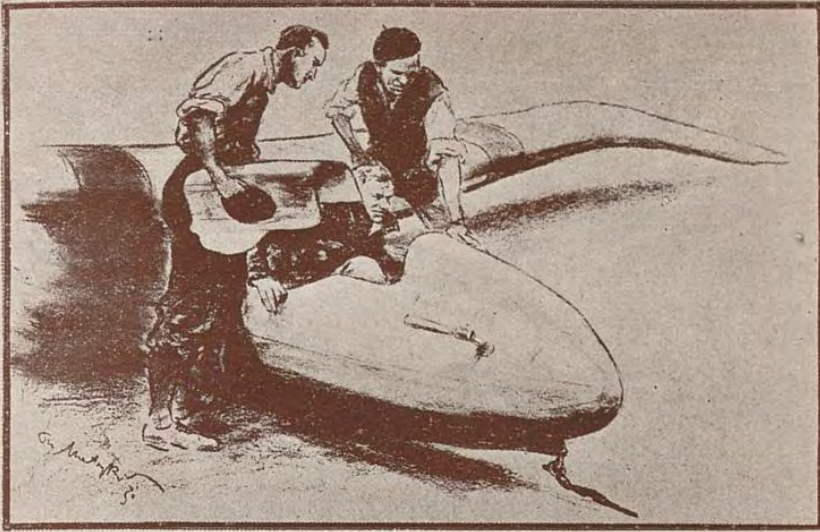
وكل مادة مبنية من هاتين الطائفتين من الكعاب . فاذا وازنت بين مادتين مختلفتين وجدت الاختلاف بين خواصهما الكيميائية ناشئاً من الاختلاف في ترتيب الكعاب الموجبة والسالبة في بنائهما . وكل ذرة ، في حالتها الطبيعية السوية ، يجب ان تحتوي على اعداد متساوية من الكهارب والبروتونات

في اواسط العقد الاخير من القرن الماضي بدأت نهضة عجيبة في علم الطبيعة كان مدارها « الذرة » ثم امتدت منها الى « النجوم » . ففي ١٨٩٥ كشف رنتجن الالماني الاشعة السينية (اشعة اكس) وفي السنة ١٨٩٦ كشف بكرل الفرنسي ظاهرة الاشعاع وفي السنة ١٨٩٧ كشف طمسن الانكليزي الكهرّب (الالكترتون) فبعثت هذه المكتشفات في اذهان الطبيعيين شعور الدهشة والحيرة ولكنها في الوقت نفسه دفعتهم الى ميادين جديدة من البحث والتجريب فهبوا الى تجهيز معاملهم بالادوات الموافقة لاساليب البحث الجديد فتلا ذلك تيار من المكتشفات الجديدة ولما ينقطع بعد . وقد انبثنا في الشهور الاخيرة انباءً جديدة بكل عنايتنا

واظني اكون ملبياً مقتضى الحال اذا انا ذكرت اهمّ ما تمّ في هذه الناحية في نظري اننا نعلم الآن بفضل المباحث التي قام بها طمسن ورذر فورد وبوهر ان الذرة مبنية بناءً شديد التعقيد من مادتين اساسيتين - هما الالكترونات وهي وحدات لا تجزأ من



في الصورة العليا رسم يمثل كسوف الشمس الاخير (٣١ اغسطس) وقد شوهد
كلياً في شمال اميركا من اعالي بكندا الى شمال الولايات المتحدة الغربي.
والصورتان التاليتان تمثلان خسوف القمر في ١٤ سبتمبر الماضي
الاخبار العلمية مقتطف اكتوبر ١٩٣٢



السابحات في الجو

كتبنا قبلا عن الرياضة الجديدة وقوامها الطيران بطائرات لا محرك لها فيعتمد الطيار اولا على جرّ الطائرة فوق سطح منحدر ثم يسبح في الجو مستعملا تيارات الهواء . وقد تمكن بعض هؤلاء الطيارين من البقاء نحو ١٥ ساعة في الجو. وهذه الصفحة يرى القارئ في اعلاها الطيار راكبا طيارته واثنان يدفعانها وفي اسفلها الطائرة وقد ارتفعت عن سطح الارض

وهذه المناطق لها صلة وثيقة بالخطوط الطيفية الخاصة بالعنصر . اما ذرات العناصر الرزينة (الثقيلة) فمناطق الالكترونات حول نواها كثيرة ولذلك نرى خطوطها الطيفية متعددة وما يجب ان نعلمه هو ان كل المادة مبنية من نوعين من الكهرباءية — البروتونات والالكترونات مع ان الكهرباءية كانت في نظر الباحثين الكهربائيين الا ول صفة من صفات المادة لاغير . اما نحن فنحسبها — المادة نفسها — الشيء الاساسي الذي تبنى منه الذرات اما اذا سألتم ما الكهرباءية فلن تحصلوا على جواب الا انها شيء تجدوه في نوعين سالب وموجب والواحد منهما يجذب الآخر . ثم عرض الخطيب للنيوترون وتحطيم الذرة مما سوف نفضله في مقالتين على حدة

الزكام : بحث طريف فيه

مدى الزكام العادي ثلاثة ايام اواربعة . فالذين يشكون اصابتهم بالزكام « طول فصل الشتاء » انما يشكون اصابتهم بعدوى ثانوية تلزمهم بعد شفاء الزكام . هذا على الاقل ملخص رأي الدكتور سملي Smillie استاذ الصحة العامة في جامعة هارفرد . فقد اجرى الدكتور سملي مباحثته في الزكام في اربع جماعات من الناس احداها في الاياما بالولايات المتحدة الاميركية والثانية في لابرادور في شمال كندا الغربي والثالثة في جزيرة سبتسبرجن التي يطير منها الذين يحاولون الطيران الى القطب الشمالي والرابعة في احدى جزائر التلنتيكي النائية

اما البروتونات فجمعة في قلب الذرة مع بعض كهارب فيتألم من مجموعها كتلة صلبة كثيفة تعرف بالنواة . ومعظم وزن الذرة في نواتها ولكنها مع ذلك لا تشغل من حيز الذرة الا جزءا يسيرا . اما الالكترونات التي في النواة فعملها ربط البروتونات بعضها ببعض . واما الالكترونات التي خارج النواة فتؤلف حولها منطقة او مناطق متوالية بعيدة بعدا نسبيا عن مركز الذرة مما يجعل بناء الذرة كثير الخواء . وقد تحدث انقلابات في هذا البناء بفعل العوامل الخارجية فيزول كهرب من الكهارب الخارجية فتصبح بقية الذرة ذات شحنة كهربائية موجبة وهو التاين Ionization . ولكن الكهرب الشارد قد يعود او يحل غير محله ، فاذا حدث هذا انطلق قدر قليل من الاشعاع . وقدر الاشعاع الذي ينطلق لدى انتقال الكترون من منطقته الى منطقة تالية يدعى « الفوتون » . والفوتون يتصرف انا كدقيقة مادية وانا كامواج . ولا بد من التسليم الآن بذلك مع عجزنا عن التوفيق بينهما . و« الفوتون » له قدر معين من الطاقة ويتذبذب تذبذبا معيناً . اما طاقته فتوقفة على المنطقة حول النواة التي هبط منها والمنطقة التي هبط اليها . وهذا يعين سرعة تذبذبه . ومن الغريب ان سرعة تذبذب الالكترون تعدل طاقته مقسومة على القيمة الطبيعية الثابتة التي اكتشفها بلانك الالماني ودعاها الكونتم . فالذرات في عنصر واحد متماثلة في مناطق الكتروناتها حول نواها .

الرؤية او النزلة الصدرية . وهذه الاختلاطات — عدا النزلة الصدرية — تطول احياناً وتحسب انها الزكام نفسه

والزكام الواحد يطول ثلاثة ايام او اربعة . فاذا شفيت منه تماماً أصبحت ذا مناعة ضد الزكام تدوم ثلاثة اشهر . اي اذا شفيت من زكامك شفاه تاماً فلا تصاب بآخر قبل انقضاء مدة المناعة الموقته وهي نحو ثلاثة اشهر . ولكن اذا اهملت الزكام نفسه فقد تصاب بعدوى ثانوية هي امتداد الزكام الاول فيبدو كأنك تصاب بزكام تلو الآخر

ولم يعثر الدكتور سملي ولا اعوانه على مكروب يحدث الزكام وانما وجد غيره من الباحثين ان سبب الزكام Virus فيروس مرشح . فاللقاح ضد الزكام لا يصنع من هذا الفيروس وانما يصنع من الميكروبات التي تحدث العدوى الثانوية . فاللقاح لا يمنع زكاماً قط ولكنه من الوجهة النظرية على الاقل يستطيع ان يمنع العدوى الثانوية التي تنشأ من الزكام

الانسان النيندرتالي في فلسطين

اعلن الدكتور مكردى MacCurdy احد اساتذة جامعة ياييل ، في اول الصيف ان بعثة المدرسة الاميركية للبحث السابق للتاريخ والمدرسة الاثرية البريطانية عثرت في كهف على مقربة من حيفا على اربعة هياكل للانسان النيندرتالي يرجع عهدها الى قبل ٧٥ الف سنة . ويختلف انسان فلسطين النيندرتالي عن انسان اوربا النيندرتالي في ان ذقن الفلسطيني

في هذه الجماعات من الناس كان الاتصال بالعالم الخارجي قليلاً فاستطاع الدكتور سملي واعوانه ان يتبعوا سير الزكام من بدئه من دون ما يعقد التبشع . فوجدوا ان الزكام معد وأنه ينتشر باللمس والاختلاط . ففي جماعة سبتسبرجن لم يصب احد بزكام — من نوفمبر — لما اقلعت آخر سفينة منها — الى ابريل بعد وصول اول سفينة بيوم واحد . فالمعدون في تلك المستعمرة خمسمائة معدن يعيشون في بيوت دافئة رطبة ويخرجون منها كل صباح الى عملهم في جو شديد البرد وريح هوجاء فيعملون في مناجم حيث الحرارة تهبط تحت درجة الجهد احياناً ثم يعودون الى بيوتهم الدافئة ليلاً . وهذه الاحوال في الرأي السائد مؤاتية كل المؤاتاة للاصابة بالزكام ولكن هؤلاء المعدنين لم يصابوا به فاما وصلت السفينة الاولى من الخارج في ابريل فخص سملي واعوانه ركابها وملاحيها قبل نزولهم الى اليابسة فكان احدهم مصاباً بزكام شديد . وفي اليوم نفسه ذهب موزع البريد من سبتسبرجن الى السفينة واصيب بالزكام الاول . فلم تنقضي ٣٦ الى ٤٨ ساعة حتى اصبحت الجماعة بوافدة من الزكام . وما شاهده الدكتور سملي في جماعة سبتسبرجن شاهده في الجماعات الثلاث الاخرى على بعد الدار بينها وتباين الاحوال . وانما وجد ان الزكام في البلدان الاستوائية اخف وطأة منه في البلدان الباردة ولا تعقبه عادة اختلاطات مثل اصابة تجاويف الانف او الاذن او الشعب

فقدت احد كهاربها اصبحت شحنتها موجبة ثم اذا اقتربت الكهارب من الارض انجذبت بفعلها المغناطيسي وتجمعت اقواساً ثم اذا دخلت طبقات الجو العليا اطارت من ذرات غازاته بعض كهاربها وهذه مصدر الضوء القطبي . فاذا قيست اقواس الاضواء القطبية امكن الوصول بعملية رياضية الى سرعة الكهارب الاولى المنطلقة من الشمس والتي جذبتها مغناطيسية الارض . والظاهر ان سرعتها لا تقل الا ٣٠ سنتمتراً عن سرعة الضوء في الثانية . واذا فهي تصل الارض في بضعة دقائق (يصل النور من الشمس الى الارض في ثماني دقائق وثلاث ثوانٍ) وآثار هذه الكهارب تحيط بالارض من كل النواحي فيبدو للباحث انها تأتينا من نواحي الفضاء على السواء . وقد حسب دوفيليه طاقة هذه الكهارب فوجدها قريبة جداً من طاقة الاشعة الكونية ويرى من العبث البحث عن تعليل آخر لهذه الاشعة

تجديد العناية بسكنى الزهرة

للزهرة جوّ تسبح فيه غيوم تحجب سطحها عن الراصد الارضي . ويقدر عمق الهواء تحت هذه الطبقة باربعة آلاف قدم . ولكن اذا رصدت الزهرة وهي عابرة وجه الشمس — أي حين تتوسط بين الارض والشمس — بدت حولها هالة من الضوء ليست الا اشعة الشمس وقد عكستها طبقة الغيوم التي تحيط بالزهرة

الى هذه الهالة وجه عالمان من علماء مرصد

ليست مرتدةً وجهته اعلى . ويتشابهان في روز حجاجي العينين واسنان الفك الاعلى وقوة العضلات كما يتبين من درس العظام ويذكر قراء المقتطف ان المستر تورفيل بيتر الانكليزي عثر سنة ١٩٢٥ في كهف تبغة على مقربة من طبرية على جمجمة انسان نيندرتالي غير كاملة فلم تصلح اساساً للعقابة بين اناس ذلك العصر في فلسطين واوروبا

وجمجمة تبغة اول اثر للانسان النيندرتالي عثر عليه المنقبون في آسيا

الاشعة الكونية : تعليل جديد

ذهب الدكتور اسكندر دوفيليه Dauvillier احد اساتذة معهد العلوم العالية في باريس مذهباً جديداً في تعليل منشأ الاشعة الكونية ومصدرها فقال ان كهارب سريعة تنطلق من الشمس بسرعة تقارب سرعة الضوء تقريباً فتحدث لدى اصطدامها بذرات الهواء الاشعة التي نحسبها قادمة اليها من رحاب الكون . ومصدر هذه الكهارب البقع الماعة على سطح الشمس lacunae حيث الحرارة تبلغ نحو سبعة آلاف درجة بميزان سنتغراد . فتنتطق الكهارب بسرعة غير عظيمة اولاً ثم تزداد سرعتها زيادة عظيمة اذ تمر في جو الشمس الموجب . وجو الشمس المؤلف من عنصري الايدروجين والكاسيوم في الغالب موجب لأن الاشعة التي فوق البنفسجية المنطلقة من قلب الشمس تصدم ذرات هذين العنصرين فتطرود بعض كهاربها . والذرة اذا

كبيرة من الزجاج افرغت الآ من قليل من الهواء فضغط الهواء فيها عائل ضغطه في طبقات الجو العليا حيث تظهر انوار الشفق القطبي ثم اطلقت في فضاء الكرة الزجاجية - حيث الهواء لطيف كل اللطف - كهارب بطيئة من مهبط (Cahodea) ضغطه ٢٠٠ فولط واجرى تياراً كهربائياً في الاسلاك التي تحيط بالكرة الحديدية . فلما انطلقت الكهارب في الهواء انحرفت بفعل مغنطيس الكرة الداخلية . وفي اثناء انطلاقها اصطدمت بذرات الهواء فاطلقت منها كهارب ثانوية احدثت اضواءً شبيهة باضواء الشفق القطبي . بل كونت حلقة منيرة حول الكرة الداخلية شبيهة بالشفق القطبي الذي رآه العالم نوردنسكيولد (Nordenskjold) سنة ١٨٧٨ ووصفه . وتختلف اشكال الشفق باختلاف حقل الارض المغنطيسي

سرعة دوران الشمس

لعلماء الفلك طريقة في قياس سرعة دوران الشمس على محورها بقياس سرعة نقطة معينة في محيط قرصها ولا يبلغ الخطأ في هذه الطريقة زيادة أو نقصاً أكثر من واحد في المائة . وقد قيست سرعة نقطة في محيط قرصها مراراً بين سنة ١٩٠٠ و ١٩١١ فبلغت سرعتها نحو كيلومترين في الثانية . ثم قيست بين سنة ١٩١٥ - ١٩٢٩ فبلغت ١٩٢ من الكيلومتر في الثانية وابطأ سرعة قيس في هذه المدة ١٩٠ من الكيلومتر . وقد عني بقياسها حديثاً

جبل ولسن التلسكوب الكبير الذي فيه وغرضهما حل الأشعة التي تحت الأحمر في ضوء هذه الهالة . فوجد أن طيف هذه الأشعة تنقصها امواج يمتصها عادة غاز ثاني اكسيد الكربون . فكمابان جو الزهرة يحتوي على هذا الغاز . ولا يخفى أن البحث لمعرفة ما يحتوي عليه جو الزهرة من مقومات الحياة - كالاكسجين وغاز ثاني اكسيد الكربون - لم يسفر قبل الآن عن نتيجة ما . فوجود غاز ثاني اكسيد الكربون - وهو من مقومات الحياة النباتية لانه أساس ما تبنيه النباتات من النشاء والسكر وهو كذلك من نقايا الحياة النباتية والحيوانية لان الحيوانات والنباتات تفرزه على اثر تنفسها - باعث على تحديد عناية الباحثين في امكان وجود احياء على سطح الزهرة وبوجه خاص لان درجة الحرارة على سطحها توافق الحياة كما نعرفها على الارض

الشفق القطبي المصطنع

صنع الاستاذ دو فيليه الفرنسي جهازاً يمكنه من توليد ضوء في المعمل كالضوء القطبي المعروف «بالشفق القطبي» . ويؤيد في الوقت نفسه المذهب الذي علم به الأشعة الكونية (راجع البنية الرابعة في هذا الباب)

اخذ كرة مفرغة من الالومنيوم ووضع داخلها كرة مفرغة كذلك من الحديد تحيط بها اسلاك موصلة للكهربائية لمغطة الكرة الحديدية متى شاء . ثم وضع الكرتين في كرة



اربعة مشاهد للشفق القطبي الشمالي صورت حديثاً نقلناها هنا على ذكر
 الرأي الجديد في تعليلها (انظر صفحتي ٣٧٥ و ٣٧٦ من هذا الجزء تحت
 عنوان «الاشعة الكونية تعليل جديد» و «الشفق القطبي المصطنع»
 الاخبار العلمية مقتطف اكتوبر ١٩٣٢

هذه المدينة تدعى تيب جورا (Tepe Gawra) وهي في شمال العراق ويرتد تاريخها الى ٣٧٠٠ ق م. والظاهر من كلام الدكتور سيميزر عليها - وهو رئيس بعثة جامعة بنسلفانيا والمدارس الاميركية للبحث الشرقي التي كشفت عنها - ان تخطيط مبانيها وشوارعها يبعث على الاعجاب بينائها. ففي قلب المدينة كان ميدان فسيح والى شماله معبدان يتصلان بمحطات ومخازن. وقرب الميدان قلعة. والى الجنوب حي السكن. وفي احدى النواحي خزان كبير للماء عمقه مائة قدم لاستعمال مائه في ايام الحصار. وبناتها اول بناء في التاريخ - على ما نعلم - عرفوا بناء القناطر. فالكشف عن هذه المدينة يضيف جديداً الى تاريخ « فن العمارة »

وقد كانت آثار هذه المدينة مدفونة حتى ثمانى طبقات متراكمة فوقها والظاهر ان الطبقة السادسة توازي في قدمها مدينة اور الكلدانيين اما الثامنة فتاريخها اقدم من ذلك بنحو خمسمائة سنة

اشعة الجسم الفتاكة

كشفت طائفة من علماء جامعة كورنل عن اشعة تنطلق من دم الانسان وانامله وانفه او تشع من عينيه وتفتك بخلايا الخلية وغيرها من الكائنات الدقيقة. وقد عني الاستاذ اوتو ران Otto Rahn البكتيريولوجي بدراسة هذه الاشعة من ناحية فعلها بالمكروبات فاسفر بحثه عن نتائج حملته على المضي في البحث وحث الآخرين عليه

الدكتور افرشد الانكليزي فبلغ متوسط السرعة ٢٠١٥ من الكيلومتر في الثانية وهو اكثر قليلاً من متوسط المقاييس بين ١٩٠٠ و ١٩١١ ولذلك يظن ان سرعة دوران الشمس حول محورها يزيد وينقص في مدد كل منها نحو ثلاثين سنة. كما يكثر ضوءها ويقل في مدد كل منها ١١ سنة - وهي مدة الدورة الكلفية (sun-spot cycle)

بعض الماس يولد كهربائية

نما يدعو الى الدهشة ان بعض انواع الماس النادرة شفافة للاشعة التي تحت الاحمر والاشعة التي فوق البنفسجي شفوفها لامواج الضوء. وما هو ادعى من ذلك الى الدهشة ان هذه الانواع النادرة تولد تياراً كهربائياً اذا صوّت اليها اشعة معينة. وقد صرح السر روبرت روبرتسن كيميائي الحكومة البريطانية انه امتحن ٢٥٠ نوعاً من الماس فلم يجد الا خمسة تولد تياراً كهربائياً. وقد جرب حديثاً تجربة بماسة منها في حفل من اعضاء الجمعية الملكية بلندن. فاخذ الماسة ووضعها بين قضيبين من الكربون وصوب اليها اولاً شعاعاً من الاشعة التي فوق البنفسجية ثم شعاعاً من الاشعة تحت الحمراء وفي كلتا الحالتين ولدت الماسة تياراً كهربائياً حرف ابرة الغلف ثاقومتر (مقياس كهربائي)

اقدم مدينة في العالم

عثر الباحثون في العراق على ما يحسبونه آثار اقدم مدينة في التاريخ عرفت حتى الآن.

املاح تؤخر الشيخوخة

يرى الدكتور فكتور لامير (La Mer) احد اساتذة جامعة فولوجيا ان املاح الكلسيوم والفسفور اذا أخذت في مقادير معينة تطيل شباب الجسم وتؤخر الشيخوخة نحو عشرة في المائة . فمن يموت عادة في السبعين من العمر يعيش الى السابعة والسبعين اذا تناول ملح فصفا الكلسيوم — وهو الملح الذي يضاف الى ملح الطعام لينع تبلله بامتصاصه للرطوبة — ولكن لا بد من تناول هذين العنصرين في نسبة معينة لان تناول العنصر الواحد دون الآخر ضار بالجسم . وما يذكر في هذا الصدد النتيجة التي وصل اليها الدكتور مكلم (Mc Collum) استاذ التغذية في جامعة جونز هوبكنز الاميركية وهو ان اسنان الفئران التي جرب تجاربها فيها يصيبها النخر اذا لم تتناول الفئران مقادير كافية من هذين العنصرين اللذين لا مندوحة عنهما لبناء العظام . والظاهر ان حاجة الاطفال اليهما هي ضعف حاجة الكبار اليه وان حاجة الامهات اليهما ثلاثة اضعاف حاجة الكبار

لقاح ضد التيفوس

وفقت طائفة من اطباء معهد الصحة الاميركي الى صنع لقاح يقي من الحمى التيفوسية المتوطنة في الولايات المتحدة الاميركية . وقد جرب في خنازير الهند فوقها من التيفوس ومتى اتقن صنعها يجرب في البشر ويرجح ان اول من يجربه الاطباء الذين استنبطوه

والاستاذ ران الماني تلقى علومه في المانيا وهو الآن استاذ البكتيريولوجيا في جامعة كورنل . فلما بسط نتائج تجاربه على المجمع الاميركي لترقية العلوم الملتئم في الصيف الماضي دهش العلماء لانها تعيد الى الدهن بعض المعتقدات القديمة بان الجسم البشري يؤثر اراً ضاراً في ما يحيط به

فمن تجاربه انه اخذ قدراً من الحميرة المستعملة في صنع الخبز فقتلت خلاياه بالاشعاع المنطلق من انامل شخص واحد في خمس دقائق . فلما وضع لوح من الكوارتز بين الانامل والحميرة انقضت ١٥ دقيقة قبلما فتكت اشعة الانامل بخلايا الحميرة

ثم قام بتجارب اثبتت له ان اشعة شبيهة باشعة الانامل التي تقتل خلايا البكتيريا تنطلق من الانف والعينين . وان اثر الاشعة المنطلقة من العين تذكرنا بقول الاقدمين في « اصابة العين » وحدث ما قام به ران من التجارب يدل على ان هذه الاشعة لا تنطلق من صدر الانسان ولكنها تنطلق من الدم واللعاب . وانما تختلف قوتها باختلاف الشخص — وان المنطلق منها من انامل اليد اليمنى اقوى دائماً مما ينطلق منها من انامل اليسرى

اما طبيعة هذه الاشعة فلم تعرف بعد ولا يبعد ان تكون من قبيل الاشعة التي فوق البنفسجي ، فانها تحترق الكوارتز مثلها ، وتبقى فعالة بعد اختراقها له

(راجع مقالة الاحياء المشعة في الصفحة ٢٨٢ من هذا الجزء من المقتطف)

المصابين انه قد توجد علاقة بينه وبين اضطراب الغدة النخمية وهي الغدة التي لها اثر قوي في عمل الغدد التناسلية . فلما عجزت وسائل معالجة الصداع العادية عن تخفيف آلامهم عمد الى حقنهم بهرمون المبيض ovarian follicular hormone تخفف الم الصداع وزالت سائر الاعراض . ولما صورت حجاجهم هؤلاء المصابين بأشعة اكس ظهر تغير في المنخفض العظمي الذي يحتوي على الغدة النخمية . فهذا المنخفض مفتوح من اعلاه عادة فاذا تضخمت الغدة النخمية كما يحدث عند النساء في بعض الادوار لم تجد ما يعيقها اما اذا كان اعلى المنخفض مسدوداً أو مسقوفاً لم تتمكن الغدة من التضخم فتضغط على بعض الاعصاب والاوعية الدموية فيحدث الصداع . اما الذين لا يصابون قط بهذا النوع من الصداع فقد ثبت ان منخفض الغدة النخمية ليس «مسقوفاً» في حجاجهم . وفي حالتين من الحالات التي درسها وجد ان الفتاة ورثت من امها الحالة العظمية المذكورة والصداع كذلك . وهذا مما يؤيد رأيه اعتراف بفضل

نشرنا في مقتطف ابريل الماضي مقالة موضوعها « حول مؤتمر الموسيقى » لبشر فارس وامام الصفحة ٣٩٥ نشرنا ثلاث صور لآلات موسيقية عربية قديمة وفاتنا ان نذكر هناك انها من كتاب « ارث الاسلام » في المقال الذي كتبه عن « موسيقى العرب » الاستاذ هنري فارمر

والحمى التيفوسية المتوطنة في الولايات المتحدة الاميركية تختلف عن الحمى التيفوسية التي تنفشي احياناً في اوربا . فالحمى الاميركية اخف وطأة على الجسم من الحمى الاوربية التي تمت المصاب في الغالب . والحمى الاميركية ينقل فيروسها برغوث متطفل على الجرذان . اما الاوربية فينقل فيروسها — وهو يختلف قليلاً عن فيروس الاميركية — القمل الصداع وهرمون التناسل

الهرمون اسم يطلق في اللغات الاوربية على ما تفرزه الغدد الصماء . ففرز البنكرياس الذي لا مندوحة عنه لوقاية الجسم من مرض البول السكري يدعى هرمون البنكرياس . وفرز الغدة الدرقية اللازم للجسم لكي يحتفظ بمحدود النمو الطبيعية يدعى هرمون الغدة الدرقية . والظاهر ان الهرمونات التي يفرزها مبيض المرأة لها اثر في علاج نوع اليم من الصداع يصحبه غثيان وقيء واحياناً زيع النظر وقد بعث الدكتور طمسن (A. P.) طبيب المستشفى العام للاطفال في مدينة برمنغهام برسالة الى مجلة اللانست الطبية ذكر فيها انه جرب هذا العلاج في عدة حالات فاسفرت تجربته عن النجاح . وكان صداع الذين عالجهم شديداً ارغمهم على ملازمة الفراش نحو يومين واضطر بعضهم الى استعمال المورفين حقناً فراراً من الألم . على انهم كانوا فيما عدا ذلك لا يشكون علة ما يمكن ان تسبب الصداع ويرى الدكتور طمسن من بحث اعراض

الجزء الثالث من المجلد الحادي والثمانين

صفحة	
٢٥٣	القوى الكامنة في الذرة
٢٥٩	السرعة
٢٦٦	حافظ ابراهيم . لمصطفى صادق الرافعي (مصورة)
٢٧٧	حالة مصر الصحية في الوقت الحاضر . للدكتور محمد شاهين باشا
٢٨٢	الاحياء المشعة
٢٨٥	قلب راقصة (قصيدة) للدكتور ابراهيم ناجي
٢٨٨	الحياة الاجتماعية في الحيرة . ليومف رزق الله غنيمة
٢٩٦	أثر الاساطير في قصة خروج بني اسرائيل . لناشد سيفين
٣٠١	القضايا الاجتماعية الكبرى . للدكتور عبد الرحمن شهنيدر
٣٠٥	ايليا ابو ماضي الشاعر . لالياس ابو شبكة
٣١٠	سر ناموس النور . لنقولا الحداد (مصورة)
٣١٦	حرقه . (قصيدة) لبشر فارس
٣١٧	ارتباد طبقات الهواء (مصورة)
٣٢٠	نشأة المسرح الاغريقي . للدكتور علي عبد الواحد
٣٢٤	الله في الحياة . لشارل مالك
٣٣١	موت عزرائيل (قصيدة) لحسن كامل الصيرفي
٣٣٣	القاهرة تستولي على بغداد . لمصطفى جواد
٣٤١	علاقة جوته بشلر . للدكتور علي مظهر
٣٤٣	الحضارة الفينيقية . لبولس مسعد



٣٥٢	باب المراسلة والمناظرة * الشاهنامه وترجمتها العربية . ثعلبان . مفرد او مثنى . مساعدات تاريخية
٣٥٨	باب الزراعة والاقتصاد * المغفور له الامير كمال الدين حسين . خطر اسود يهدد الفلاحين
٣٦٣	مكتبة المقتطف * ديوان ابن زيدون . حول ديوان الرصافي . الجاحظ معلم العقل والادب . فتح الاندلس . المطبوعات الجديدة
٣٧٢	باب الاخبار العلمية * وفيه ١٣ نبذة (مصورة)